العودة إلى «جذورنا» المسيحيّة - ١ -

† بالصَمْت والسَلاَم والصَفَاء،
خُذْ هذا الكتابْ وارتَفِعْ بِقَلْبِكَ نحوَ اللّه

مجموعة صلوات وتساعيات
للقديس ألفونس ماري دو ليغوري



مع مقدمة **قداسة البابا بندكتس السادس عشر**

— • يوزّع مجانًا • —

A

صلاة البدء

† **باسم الآب والإبن والروح القُدس الإله الواحد . آميـن**

† أيها الآب القدير، يا من تعرف ضعفي وحبي، إني أضع ذاتي أمامكَ، طالباً أن تساعدني على عيش الفضيلة والتواضع، بعد ان ارتكبتُ الخطايا وعشتُ الغرور. لا تدعِ اليأس يتملّكني، بل ساعدني كي أضع حياتي كلّها بين يديك، لأنّكَ قوّتي ورجائي وملجأي في هذه الحياة. أنت قادرٌ ان تطهّرَني، أنت قادرٌ ان تخلقني من جديد، وتحوّل قلبي إلى قلبٍ يُشبه قلبكَ الرحوم. فها أنا أرفع إليك الصلاة هاتفاً:

«يا يسوعً الوديع والمتواضع القلب، إجعل قلبي مثلَ قلبك».

† **هلم أيها الروح القدس،**
وأرسل من السماء شعاع نورك.

هلم يا أبا المساكين.
هلم يا معطي المواهب.
هلم يا ضياء القلوب.

أيها المعزّي الجليل،
يا ساكن القلوب العذب،
أيتها الإستراحة اللذيذة.

أنت في التعب راحة،
وفي الحر إعتدالٌ،
وفي البكاء تعزية.

أيها النور الطوباوي،
إملأ باطن قلوب مؤمنيك،

لأنه بدون قدرتك، لا شيء في الإنسان، ولا شيء طاهر.

طهِّر ما كان دنساً،
إسق ما كان يابساً،
إشف ما كان معلولاً.

لين ما كان صلباً،
إضرم ما كان بارداً،
دبِّر ما كان حائداً.

أعط مؤمنيك المتكلين عليك
المواهب السبع. إمنحهم ثواب
الفضيلة هب لهم غاية الخلاص
أعطهم السرور الأبدي.آمين.

† **إني أعترف للّه القدير**
وإليكم أيها الإخوة
بأني خطئت كثيرًا،
بالفكر والقول،
بالفعل والإهمال
وإن خطيئتي عظيمة
لذلك أطلب من العذراء مريم
ومن الملائكة والقديسين
ومنكم أيضًا أيها الإخوة
أن تصلوا لأجلي
الى الرب إلهنا. آمين

† نؤمنُ بإله واحد،

آب ضابطً الكل،
خالِق السماء والأرض،
كلِّ ما يرى وما لا يرى.

وبربٍّ واحد يسوعَ المسيح،
ابن اللّه الوحيد، ألمولود
من الآب قبل كل الدهور.
إله من إله، نورٍ من نور،
إلهً حق من إله حق،
مولود غير مخلوق،
مساوٍ للآب في الجوهر،
الذي به كان كل شيء.
الذي من أجلنا نحنُ البشر
ومن أجل خلاصنا،
نزل من السماء،

وتجسَّدَ من الروح القدس
ومن مريم العذراء، وصار إنساناً.
وصُلبَ عنّا على
عهدَ بيلاطسِ البُنطيّ،
تألم ومات وقبر،

وقام في اليوم الثالث
كما جاءَ في الكتب.
وصَعدَ إلى السماء
وجلسٍ عن يمين اللّه الآب،
وأيضاً يأتي بمجد عظيم
ليدينَ الأحياء والأموات
الذي لا فناءَ لمُلكه.

ونؤمنُ بالروح القدس،
الربِّ المُحيي،
المنبثق من الآب والإبن،
الذي هو مع الآبَ والإبن
يُسجَد له ويمجَّد،
الناطق بالأنبياءِ والرُسل.

وبكنيسة واحدة، جامعة،
مقدَّسة، رسولية. ونعترفُ
بمعمودية واحدة لمغفرة
الخطايا ونترجى قيامة الموتى
والحياةَ في الدهر الآتي. آمين

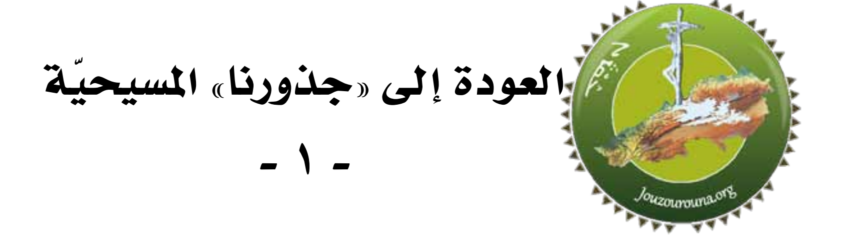
† أبانا الّذي في السَمَاوَات

ليتقدَّسِ إسْمُكَ ليَأت مَلَكوتُكَ لتَكُنْ
مَشيئتُك كما في السَمَاء كذلك على
الأَرْضِ. أعْطِنا خبزَنا كَفافَ يَوْمنا
وَاغفرْ لنا ذُنُوبَنا وخَطايانا كما نَحنُ
نغفرَ لمن خَطِىءَ إلينا. ولا تُدخلنا في
التَجاربِ لكنَ نجِّنا من الشرِّير. لأنَّ
لك المُلكَ والقُوَّةَ والمَجْد، إلى أبدِ
الآبدين. آمين

† السلامُ عليك يا مريم

يا ممتلئةً نعمةً الربُّ مَعَك، مباركةٌ
انت في النساء ومباركةٌ ثمرةُ
بطنك سيدُنا يسوعُ المسيح.

يا قديسة مريم يا والدة اللّه، صلّي
لأجلنا نحن الخطأة، الآن وفي
ساعَة موتِنا. آمين



إهداء هذا الكتاب

الى الكنيسة الجامعة الرسولية

والى البابا فرنسيس الأول

في ذكرى إنتخابه في ١٣ آذار ٢٠١٣

Ce livre est dédicacé à

Notre Eglise Universelle et Apostolique,
Et à la Sainteté de Notre Pape Francois I
En l'occasion de son élection le 13-03-2013

مجموعــة صلـوات وتســاعيــات
القـديــس ألفـونس مــاري دو ليـغــوري

العـودة إلى «جذورنا» المسيحيّة

للمزيد مـن المعلومـات:



«مجانًا أخذتم، فمجانًا أعطوا» متى ١٠:٨

نشكركم لمشاركة اختباركم او اي ملاحظة من خلال الصلاة في هذا الكتاب على البريد الإلكتروني أدناه:

البريد الإلكتروني:



info@jouzourouna.org
novena.jouzourouna@gmail.com

الموقع الإلكتروني:



www.jouzourouna.org
www.qadisha.org

يوزّع مجـــاناً

الطبعة الثانية آذار ٢٠١٣



العودة إلى «جذورنا» المسيحيّة

- ١ -

مجموعــة صلـوات وتســاعيــات

القــديــس ألفــونس مــاري دو ليــغـــوري

مع مقدمة

قداسة البــابــا بندكتس السادس عشر

فهرس

مجموعة صلوات وتساعيات
للقديس ألفونس ماري دو ليغوري

TABLE DES MATIÈRES

RECUEIL DE PRIÈRES
DE SAINT ALPHONSE MARIE DE LIGUORI

تقدمة

سيادة المطران مارون العمار

النائب البطريركي العام عن منطقة الجبة

كتاب حين تصلّي فيه تشعر أنّك في حضرة الله. يحمل تاريخاً طويلاً من الحياة الروحيةّ والمسيحية الحقّة، ومن خبرة المصلّين الحقيقيين الذين أفنوا عمرهم يناجون الله ويتضرّعون إليه ويسمعون إلهاماته.

يمكنك أيها المؤمن أن تصلّي فيه وأنت في منزلك أو في السيارة أو في الطائرة، أو في أي مكان عام تنتظر فيه خدمة، فيكون لك الملجأ الأمين، الذي تتّقي به تجارب الشيطان الكثيرة ويقودك صوب الرب عبر خبرات القديسين الغنيّة بحضور الروح القدس في حياتهم وفي كتاباتهم.

إنّنا نشجّع لا بل نحثّ كل مؤمن على الصلاة فيه حين يكون وحيداً، لا يعرف ماذا يختار في ظرف حرج أو ماذا يفعل أمام صعوبة معيّنة. أو ماذا يقول في مجمع الحيارى أو السفهاء.

بارك الله كلّ من ساهم في إعداد هذا الكتاب وعوّض عليه أضعاف أضعاف ما قدّمه.

الديمان في ٩ تشرين الثاني ٢٠١٢

المطران مارون العمّار

النائب البطريركي العام على منطقة الجبة

مقدمة

القديس ألفونس ماري دو ليغوري

(Saint Alphonse Marie de Liguori)

بقلم البابا بندكتس السادس عشر- **Benoit XVI**

إخوتي وأخواتي الأحباء.

أودّ أن أقدّم لكم اليوم صورة قديس من أحبار الكنيسة وهو الذي ندين له بالكثير كونه لاهوتياً أخلاقياً بارزاً وأستاذا في الحياة الروحية لنا جميعاً، وبشكل خاص للأشخاص البسطاء. هو مؤلف كلمات وملحّن أحد الترانيم الميلاديّة الأكثر شهرة في إيطاليا: Tu scendi della stelle (انحدرت من النجوم)، وله غيره من الترانيم.

ولد ألفونس ماري دو ليغوري عام ١٦٩٦ في مدينة نابولي من عائلة نبيلة وغنيّة. وإذ حبته الطبيعة مزايا فكريّة عديدة، فقد نال شهادة الأستاذيّة في القانون المدني والكنسي وهو فقط في السادسة عشرة من عمره. كان المحامي الأكثر براعة في نقابة المحامين في نابولي: فقد ربح طوال ثماني سنوات جميع الدعاوى التي دافع عنها. ومع ذلك: وبفضل روحه العطشى إلى الله والتوّاقة إلى الكمال، فقد كان الرب يرشده كي يدرك بأن الدعوة التي يناديه إليها كانت أمراً آخر. وبالفعل، ففي العام ١٧٢٣، وفي ذروة نقمته على الفساد والظلم اللذين كانا يفسدان الوسط القضائي، تخلّى عن مهنته، ومعها عن الغنى والنجاح، وقرّر أن يصبح كاهناً على الرغم من معارضة أبيه. وحظي بمعلّمين ممتازين لقّنوه أصول دراسة الكتاب المقدّس وتاريخ الكنيسة والعلم الروحاني. اكتسب ثقافة لاهوتيّة واسعة استفاد منها بعد

بضع سنوات حين شرع في عمله ككاتب. سيم كاهناً عام ١٧٢٦ وانضمّ إلى الجمعيّة الأبرشيّة للرسالات الرسوليّة للقيام بخدمته الكهنوتيّة.

بدأ الفونس رسالته في الأنجلة ونشر المبادئ المسيحيَّة وسط الفقراء والمهمّشين من أبناء نابولي، وكم كان يتوق إلى حمل البشارة إليهم، فجدَّ في تعليمهم حقائق الإيمان الأساسيّة. فكان من عادة معظم هؤلاء الناس، أن يستسلموا للرذائل والأعمال الإجرامية. فأخذ يعلّمهم الصلاة، ويشجّعهم على تحسين طريقة عيشهم. وتوصّل بذلك إلى نتائج باهرة. فتكاثرت اللقاءآت المسائيّة في أحياء المدينة الأشدَّ بؤساً، وفي المنازل والمتاجر، للصلاة والتأمّل بكلمة اللّه، بالتعاون مع العديد من أساتذة التعليم الديني الذين تدرّبوا على يد ألفونس وكهنة آخرين، وراحوا يزورون جماعات المؤمنين بانتظام. فعُرِف ذالك باسم "كنائس المساء". وأصبحت هذه الكنائس مصدرا حقيقيّاً للتربية الأخلاقيّة والتهذيب الاجتماعي، والتعاون بين الفقراء. فندُرَتْ السرقات والمشاجرات والدعارة.

حتى ولو كان نمط الحياة الاجتماعية والدينية لعصر القديس ألفونس مختلفاً عن عصرنا، فإن "كنائس المساء" تبدو كنموذج لعملٍ رسوليّ يمكننا أن نستلهم منه اليوم في سبيل "أنجلة جديدة" وخاصة من أجل الأكثر فقراً، ولبناء حياة مشتركة أكثر عدالة وأخوّة وتضامناً. إحدى مهام الخدمة الروحيّة أوكلت إلى الكهنة، في حين تمكَّن العلمانيّون المدرَّبون جيداً أن يكونوا مرشدين مسيحيين فعّالين وبمثابة خميرة إنجيليّة حقيقيّة في وسط المجتمع.

بعد أن فكّر ألفونس، وهو في الخامسة والثلاثين من عمره، الانتقال إلى تبشير الشعوب الملحدة، إتّصل بمزارعي ورعاة الأرياف في مملكة نابولي. إلاَّ أنَّه فوجئ بجهلهم الديني وحال التهميش الذي كانوا يعيشونه. عندها قرّر أن يغادر العاصمة ليخدُمَ هؤلاء المهمَّشين روحياً ومادياً. وفي العام ١٧٣٢ أسّس "رهبنة الفادي الأقدس" وجعلها تحت رعاية المطران توماسو فالكويا إلى أن خلفه هو في رئاستها. أمَّا المكرَّسين الذين أرشدهم ألفونس،

فكانوا مرسلين صادقين ومتجوّلين، يقصدون القرى الأكثر بُعداً، داعين إلى الاهتداء والثبات في الحياة المسيحيّة بواسطة الصلاة. واليوم أيضاً، فإنَّ مرسلي الفادي الأقدس، ينتشرون في معظم بلدان العالم، ويواصلون بشارة الأنجلة بأشكال جديدة. إنّي أفكر بهؤلاء بامتنان، داعياً إياهم أن يكونوا أمناء دائماً لمسار مؤسّسهم القديس.

في العام ١٧٦٢ عُيّن ألفونس أسقفاً على سانت أغاتا دو غوتي تقديراً لمحبَّته وغيرته الرعوية، لكنَّه تخلّى عن هذه الخدمة سنة ١٧٧٥ بإذن من البابا بيوس السادس في إثر أمراض أصابته، وتوفيَ عام ١٧٨٧ فما كان من البابا عينه إلا أن هتف: "لقد كان قديساً". لم يكن مخطئاً: فلقد أُعلن ألفونس قديساً سنة ١٨٣٩ وملفاناً للكنيسة سنة ١٨٧١. هذا اللقب ينطبق عليه لعدّة اسباب. أولاً، لأنه اقترح تعليماً مكثّفاً للاهوت الأدبي، يُعبّر بطريقة مناسبة عن العقيدة الكاثوليكيّة لدرجة أن البابا بيوس الثاني عشر أعلنه "شفيع جميع المعرّفين والأخلاقيّين". وفي عصره، كان قد انتشر تفسير صارم للحياة الأدبيَّة، وساعد في ذلك انتشار الذهنيّة الجنسينيّة (المتزمتة) التي، بديل أن تعزّز الثقة والرجاء في الرحمة الإلهية، كانت تثير الخوف، وتقدّم وجه الله العابس والقاسي، مختلفاً عن الوجه الذي كشفه لنا يسوع.

يقترح القديس ألفونس، بخاصة في مؤلّفه الرئيسي وعنوانه "اللاهوت الأدبي" مألفة متوازنة ومقنعة بين متطلبات شرع الله، المحفور في قلوبنا، والموحى به كاملاً من جانب المسيح والمفسّر بشكل رسمي من قبل الكنيسة. وبين ديناميات ضمير الإنسان وحريّته، والتي بفعل التزامها بالحقيقة والخير، تسهّل نضج الشخص البشري واكتماله.

كان ألفونس ينصح رعاة الروح وكهنة الاعتراف بأن يكونوا أمناء للعقيدة الأخلاقيّة الكاثوليكيّة، وفي الوقت عينه، أن يتحلّوا بموقف عطوف تسامحي لطيف، كي يشعر التائبون بأنهم مرافقون ومدعوون ومشجّعون على طريق إيمانهم وحياتهم المسيحيّة. لم يكن القديس ألفونس يكلّ أبداً من تكرار القول أن الكهنة هم علامة مرئيّة لرحمة اللّه اللامتناهية، التي تغفر وتنير

فكر الخاطئ وقلبه لكي يهتدي ويغيّر حياته. في عصرنا، حيث تبدو علامات واضحة لفقدان الضمير الأخلاقي، وهذا ما ينبغي الاعتراف به، أيضاً هناك وهذا ينبغي الاعتراف به، هناك عدم تقدير لسرّ الاعتراف، وعليه فإن تعليم القديس ألفونس لا يزال ذا مصداقية حتى في عصرنا الحاضر.

إلى جانب المؤلّفات في اللاهوت، حرّر القديس ألفونس كتابات عديدة، بهدف تنشئة الشعب دينياً، بأسلوب بسيط وممتع. وإذ تمت قراءاتها وترجماتها إلى عدد كبير من اللغات، فإن مؤلّفات القديس ألفونس أسهمت في بلورة الروحانيّة الشعبيّة في القرنين الأخيرين. بعض هذه النصوص لا بدّ من قراءتها باهتمام كبير في عصرنا الحاضر من مثل "الحكم الأبدية"، "أمجاد مريم"، "عيش المحبة تجاه يسوع المسيح" وهو الكتاب الذي يمثّل خلاصة فكره وروائعته. وهو يشدّد كثيراً على ضرورة الصلاة التي تسمح بالانفتاح على النعمة الإلهيّة لإتمام مشيئة الله يومياً ومتابعة التقديس الشخصي. وحول موضوع الصلاة، قال: "الله لا يرفض لأحد نعمة الصلاة التي ننال بواسطتها المساعدة للتغلّب على الشهوات والتجارب. وإني أقول، وأجيب وسوف أجيب دائماً، ما دمت حياً، بأن كل خلاصنا يكمن في الصلاة". من هنا انبثق مبدؤه الشهير: "مَن يصلِّ يخلّصْ نفسَه" (من الأسلوب العالي للصلاة وكتيبات مشابهة. أعمال تقشفيّة II، روما ١٩٦٢، ص ١٧١). في هذا الصدد يتبادر إلى ذهني إرشاد سلفي خادم الله الموقّر يوحنا بولس الثاني، وفيه: "يجب أن تصبح جماعاتنا المسيحيّة "مدارس" صلاة حقيقيّة، وبالتالي ينبغي أن تصبح التربية على الصلاة، بشكل ما، نقطة أساسيّة في كل برنامج راعوي" (إرشاد رسولي، في مطلع الألفيّة الجديدة، الفقرتان ٣٣، ٣٤).

ومن بين أشكال الصلاة الحارّة التي يوحي بها القديس ألفونس، تبرز زيارة القربان المقدس، أو كما نقول اليوم السجود، الوجيز، أو المطوّل الفردي أو الجماعي أمام سرّ القربان. كتب ألفونس: "بكل تأكيد، من بين كل أشكال العبادة، يعتبر السجود ليسوع في السرّ الأعزّ على يسوع والأكثر إفادة لنا بعد الأسرار، يا لها من لذة أن نقف أمام مذبح زاخر بالإيمان، ونقدِّم له

احتياجاتنا، كما يفعل صديق مع صديق حميم" (من مقدمة زيارات لسر القربان والعذراء القديسة لكل يوم من الشهر). إن الروحانيّة الألفونسيّة هي في الواقع مسيحانيّة بشكل بارز إذ هي متمحورة حول المسيح وإنجيله. وكثيراً ما يشكّل التأمّل في سر تجسّد الرب وآلامه، موضوع تبشيره. في سياق هذه الأحداث يُقدّم الفداء "بفيض وافر" لكل البشر. وإن التقوى الألفونسيّة، لكونها كريستولوجيّة، فإنّها مريميّة أيضاً بامتياز. ونظراً لإخلاصه الكامل لمريم، فهو يوضّح دورها في تاريخ الخلاص: إنّها الشريكة في الفداء والوسيطة للنعمة، فهي الأمّ والمحامية والملكة. بالإضافة إلى ذلك، يؤكّد ألفونس أن التعبّد لمريم سيقدّم لنا تعزية كبرى في ساعة مماتنا. لقد كان مقتنعاً بأن التأمّل في مصيرنا الأبدي، في دعوتنا إلى المشاركة إلى الأبد في التعليم الإلهي وفي إمكانية الهلاك المأساوية، كل ذلك يسهم في العيش بهدوء والتزام وفي مواجهة واقع الموت مع الحفاظ دائماً على الثقة بصلاح الله.

إنّ القديس ألفونس دو ليغوري هو نموذج رائع متحمّس، غزا النفوس مبشّراً بالإنجيل ومانحاً الأسرار معتمداً طريقة تصرّف مميّزة بالطيبة والوداعة والحلم والمتولّدة من علاقة حميمة بالله الذي هو الطيبة اللامتناهية. لقد كانت لديه رؤية واقعيّة وتفاؤليّة في آن لموارد الخير التي يمنحها الرب لكل إنسان. كما أولى أهمية لميول القلب ومشاعره، كما للذهن، وذلك للتمكن من الجمع بين محبة الله ومحبة القريب.

وفي الختام، أود التذكير بأن قديسنا (ألفونس) وبطريقة شبيهة بالقديس فرنسوا دو سال، الذي تكلّمت عنه منذ بضعة أسابيع، يشدّد على القول بأن القداسة سهلة المنال لكل مسيحي: "رجل الدين، كرجل دين، والعلماني كعلماني، والكاهن ككاهن، والزوج كزوج، والتاجر كتاجر، والجندي كجندي.. وهلمّ لكل وضع آخر" (من عيش المحبة تجاه يسوع المسيح. أعمال تقشفيّة I، روما ١٩٣٣، ص ٧٩).

فلنشكر الرب الذي بعنايته يُظهر قدّيسين وملافنة في أماكن وأزمنة مختلفة، ويتكلّمون اللغة ذاتها لدعوتنا إلى النموّ في الإيمان وعيش وجودنا المسيحي بمحبة وفرح، في أبسط الأعمال اليوميّة، في سبيل التقدّم على درب القداسة، على الدرب المؤدية إلى الله وإلى الفرح الحقيقي. وشكراً.

البابا بندكتس السادس عشر
روما الخميس ٣٠ آذار ٢٠١١

توطئة

الأباتي الياس صادر

رئيس رهبنة الفادي الأقدس في لبنان

بالصمت والسلام والصفاء، خذ هذا الكتاب وارتفع بقلبك نحو اللّه.
صلِّ، واغرق في التأمّل بسرِّ آلام المسيح.
إقرأ... فاللّه هنا، يملأ الوجود. وادخُل إلى عمق أعماق ما تقرأ.
ففي التأمّل ينفتح قلبُك للمسيح، كلِّمه وجهاً إلى وجه.
إتّحد بالثالوث المعبود ورتّل: قديش قديش قدّوسٌ اللّه.
وليسكنك إيمان ومحبّة القديسين والأنبياء، فيضاً من نعمة المحبة والتمجيد للّه مدى الدهور.
وحيثما كنتَ إنطلق مسروراً، وتمم إرادة اللّه...
أوكل ذاتك إلى رأفة ومحبّة البتول مريم، أمّ الحنان.
والعذراء القدّيسة تسمعُ مُصغيةً صوت تضرعاتك، فالتجئ إلى حمايتها.
أُطلب معونة ملاكك الحارس، لقد أوكلت عناية اللّه حياتك إليه، فهو يقود خطاك وبه تستنير.
سرّ بالرجاء والمحبّة، وردد مع صاحب الأناشيد: "لقد وجدتُ مَن يحبّه قلبي، فأمسكته ولن أُفلتَهُ" (نش ٣: ٤)
هذا الكتاب... ترجمة متجدّدة لمجموعةٍ تأملاتٍ، صلّاها ودوّنها القديس ألفونس دو ليغوري، وعاشها القديس نعمة اللّه الحرديني، معلِّماً مبادئها في معاهد اللاهوت، وقد توّجت روحانيّتها حياة قدّيسنا الكبير شربل مخلوف وآباء كنيستنا. فحبّذا لو تتشابه حياتك مع حياة إمنا العذراء القدّيسة، إذ،

عند البشارة، كانت تسأل وتتأمّل وتصلي. لقد وثقتْ كثيراً وخضعت طائعةً لإرادة للّه.

هذا الكتاب ... إقرأه بتمهُّلٍ يوماً بعد يوم... إقرأه في جوٍ من الصلاة على امتداد السنة. خذ الوقت الكافي لتدخل تدريجيًا في سر الفداء. صلِّ بالثقةِ والشفافيّة، في حوارٍ مع اللّه. إذ تتكلّم مع المسيح يسوع كما مع شخصٍ تعرفه ويعرفك، وأنت محبوبٌ منه شخصياً.

هذا الكتاب... صوتٌ نبويّ، يدعوك ومَن حولك، لحياة أنجلةٍ جديدة، واكتشافٍ مستدام لسرِّ الفداء ... ألعالم جائعٌ، ظمآنٌ إلى ينبوع الحياة.

فعليكَ أنت الآنَ أن تقرر: مَنْ هو الشخص الذي مِن أجله دُعيت؟ وما هو مسلكك في حياتك؟

تبارك اللّه الآب على محبّته.
تبارك الرب يسوع المسيح الفادي.
تبارك الروحه القدّوس المعزي على مواهبه الفيّاضة.
للثالوث الإله الواحد المجد إلى الأبد. آمين

الأب الياس يوسف صادر

رئيس رهبنة الفادي الأقدس في لبنان

ميلاد الرب يسوع المسيح ٢٠١٢

INTRODUCTION

Dans le silence, la paix et la sérénité, prends ce livre.

Élève ton cœur vers ton Dieu.

Prie, médite sur la passion du Christ.

Lis en la présence de Dieu, Il remplit l'univers.

Pénètre-toi de ce que tu lis.

Par la méditation s'ouvre ton cœur au Christ.

Parle-lui d'une vive voix.

Unis-toi à l'adorable Trinité et chante: Saint, Saint, Saint est le Seigneur.

Que n'as-tu la foi et l'amour des saints et des prophètes, la grâce d'aimer et de glorifier éternellement Dieu. Pars heureux, où que tu sois, d'avoir accompli la volonté de Dieu. Confie-toi à la clémente, à la charitable, à la douce Vierge Marie.

La Sainte Vierge t'écoute, mets-toi sous sa protection.

Invoque ton Ange gardien, à qui tu es confié par la bonté de Dieu, qui te guide et qui t'éclaire. De toute l'ardeur de ton âme porte-toi à l'espérance et à la charité.

Répète du fond de toi-même avec les cantiques " j'ai trouvé celui que mon cœur aime. Je l'ai saisi et ne le lâcherai point." (Ct3 : 4)

Ce livre est une nouvelle traduction de l'ensemble des Méditations de Saint Alphonse de Liguori que saint Nimatullah Hardini, lui-même, a vécues et enseignées dans les facultés de théologie. Ainsi que l'esprit de ces Méditations a habité la vie de Saint Charbel et celles des Pères de notre Église. Que ta vie ressemble à celle de la Sainte Vierge Marie qui à l'instant de l'annonciation méditait et priait. Elle était confiante sans réserve pour se livrer obéissante à la volonté de Dieu.

Ce livre … Lis-le jour après jour. Lis-le en priant tout le long de l'année; prends le temps qu'il faut pour atteindre progressivement le mystère de la Rédemption. Prie avec confiance et transparence dans un dialogue avec Dieu. Tu parles avec le Christ Jésus comme avec une personne que tu connais et qui te connaît parce qu'elle t'aime personnellement.

Ce livre prophétique t'appelle, ainsi que ton entourage، à revivre les Évangiles et le sens perpétuel de la Rédemption.

Le monde a faim et soif de La Source de Vie. A toi maintenant de décider qui est la personne qui t'appelle? Quelle conduite as-tu à prendre dans la vie?

Béni-soit Dieu le Père pour son Amour,

Béni-soit son Esprit Saint, Consolateur, pour ses dons.

Béni-soit le Seigneur Jésus Christ Rédempteur

A lui soit la gloire pour l’éternité. Amen.

Père Elias-Joseph Sader CSsR

Supérieur pour le Liban

Noël 2012

الكتاب الأول

تساعية الروح القدس

تاريخ بدء التساعية	النوايا
....	....
	....
	....
....	....
	....
	....
....	....
	....
	....

مقدّمــة

تتفرّد تساعيّة الرّوح القدس بتمايُزٍ موصوفٍ بين تساعيّات العبادات جميعاً، ذلك لأنّ نِعَمَهَا فاضَتْ بادئ ذي بِدءٍ في عليّة صهيون على الرّسل القديسين والعذراء مريم الفائقة قداستُها. وقد ترافقَ غناها بفيضِ النِعَمِ مُثْبَتَةً بالمعجزات. ومن النِعم أهمُّها موهبة الرّوح القدس أفاضها الرّبّ يسوع المسيح نفسُهُ بسرِّ آلامهِ. فقد سبق وأخبرنا بذلك حين قال لرسُلِهِ: "خيرٌ لكم أن أذهب، فإن لم أذهب لا يأتيكمُ المُعزّي" (يو ١٦: ٧).

فنحن بإيماننا العميق وجذريّةِ يقيننا نَعلَمُ أنَّ الروح القدّس هو الحبُّ المتبادَل بين الآب والإبن. فلا شكَّ بأن موهبة المحبّة، الّتي هي ثمرةُ الرّوح القدس، تسمو فوق مواهبِ الله الّتي أعطانا إياها، وقد عبَّر عن ذلك القديس بولس في الرسالة إلى أهل روما قال: "إن الله سَكَبَ محبَّته في قلوبِنا بالرّوح القدس الذي وهَبَهُ لنا." (روم ٥/٥).

فعلينا أن ندركَ إذاً، من خِلال هذه التساعيَّة، عظمَة محبّة الله لنا لأنه منحنا إياها هبةً ثمينةً للغاية. فلنتلهّفن لامتلاكها، مُجهدين النفسَ في اجتذابها بالأفعال التقويّة والصّلاة، لأنّ الرّبّ وعدَ بمنحِها لطالبيها بإيمان: "فما أولى أباكم السماوي بأن يهب الروح القدس للذين يسألونه؟" (لو ١١/ ١٣)

ألتأمّل الأول: ألحبُّ نارٌ تُلهِبُ

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

إنَّ أمْرَ اللهِ واضحٌ في الشّريعة القديمة إذ قال: "تبقى النارُ مُتّقِدةً باستمرارٍ على المَذبَحِ لا تُطفأ" (لاويين ٦/٦). وقد اعتبر القديس غريغوريوس أنّ قلوبَنا هي تلك الهياكل، يريدُ الله أن تشتعلَ نارُ حُبِّهِ فيها بلا إنقطاع.

لم يَكتفِ الآب الأزليّ بتقديم إبنهِ الوحيد للموت كي يفتحَ لنا باب السّعادة الأبديّة، بل أعطانا أيضًا الرّوح القدس ليسكنَ في نفوسِنا ويُشعلَها بحبهِ الخالد مدى الأبدية. وكشف لنا يسوع ذلك إذ قال: "جئت لألقيَ على الأرض نارًا وما أشدَّ رغبتي في أن تكون قد اشتعلت" (لو ١٢/ ٤٩). لقد دفعه حُبُّهُ للبشر إلى تناسي الإهانات والنّكران التي لقِيَها منهم في أثناء حياته على الأرض، وأرسل لنا روحَهُ القدوس، إثرَ صعودِهِ نحو السماء.

فيا أيّها الفادي، يا كمالَ المحبّة اللامتناهية، إنَّكَ، ومذ صعدت إلى السّماء بشعاعات المجد، ما زلتَ تفيضُ حُبَّك علينا كما أحببتنا على الأرضِ حين أسقيناك مذلّةً ومَرارةً.

لقد شاء الرّوحُ القدس أن يحلّ في العلّية على التلاميذ: "فظهرتْ لهم ألسنةٌ كأنَّها من نار" (أع ٢/ ٣). وتيمناً بذلك وضَعَتِ الكنيسةُ المقدسة على أفواه أبنائها هذه الصلاة: "نتوسّل إليك يا ربَّنا أن يُشعِلَ الرّوحُ القدسُ نارَهُ فينا، تلك التي أضرَمها ربُّنا يسوعُ المسيح على الأرض وتاقَ لو تلتهِب". تلك هي النّارُ الإلهيّة التي أشْعَلتْ قلوبَ القديسين، ومنحتهم قوّة صُنع المستحيلات حُبّاً بالله. وقد ذهبوا مذهب حبِّ الأعداء، محتملينَ الاهانات، متخلّين عن خيرات الأرض، معانقين العذاباتِ والموتَ بفرح وتهليل. فالحبُّ ما كان يوماً بطّالاً، ولا يُمكِنُهُ مرَّةً أن يقول: "كفى". لأنه على قدرِ ما تتفانى النّفسُ المُحِبَّةُ

للّه في سبيل حبيبها، على قدر ذلك تشتعِلُ الرغبة في إرضائهِ، فتستحقّ محبّتَهُ.

هذه هي النّارُ الإلهيّة التي تتّقِد في لحَظات الصلاة العقليّة "أتأمَّلُ فأشتعل نارًا" (مز ٣٩/٣). فإن رغبنا الاشتعالَ حبّاً باللّه، فلنُحب ألتأمّل لأنّه الأتون الطوباويّ الّذي في داخلِه تضطرم نارُ المحبةِ الإلهيّة.

† عواطف وصلوات

يا إلهي، إنّي، وإلى يومي هذا، لم أصنع شيئًا من أجلك أنت، يا من صنعتَ العظائم من أجلي. فيا لَتعاستي! لقد استحققتُ أن تطردني بعيدًا عنك لفرط فتوري.

أواه! يا أيّها الرّوح القدس، ألهبْ ما كان باردًا، نجِّني من صقيعي المُدقع هذا، وأضرمْ في قلبي الرغبة العارمة في أن أُرضيك. إني أتخلّى الآن عن كل ما يرضيني، وأقبَلُ أن أموتَ قبلَ أن أعملَ ما لا يُرضيك.

ربي، لقد أظهرْتَ ذاتك للنّاس بشبهِ ألسنةٍ من نار، فإني أُكرِّسُ لك لساني كي لا يُضّحي مُسبباً للخطيئة. أنت وهبتَني إيّاه لأترنّم بتسبيحِك، وها أنا أجعلهُ أداةً لإهانتك، وأدفعُ الآخرين على عصيانكَ. إني أتضوَّرُ ألماً في داخلي. فبحقِّ محبَّةِ يسوعَ المسيح الّذي أكرمَك بلسانِهِ طيلة تجسُّدِهِ على الأرض، اجعلني لا أتوقَّف عن إكرامِك والترنُّم بمديحِك واللّجوءِ إلى معونتِك والتكلُّم المُستمرّ على صلاحِك وإظهار الحبِّ اللاّمتناهي الّذي يليقُ بك. إني أحبُّك يا خيريَ الأسمى، أحبُّك يا إلهَ الحب.

يا مريمُ، يا عروسَ الروح القدس المحبوبة للغاية، استمدي ليَ نعمةَ اشتعالي بمحبتِهِ الإلهيّة...

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

ألتأمّل الثاني: ألحب نورٌ وهّاج

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

إنَّ أتعسَ ما أوصلتْنا إليه خطيئةُ آدم إنَّما هو ظلام عقولِنا، إثر شهواتِنا التي أهلكت نفوسَنا وما زالت، فيا لَبؤسِ أرواحنا. فالشَّهوةُ غيمةٌ وحجابٌ منيعٌ تُنهينا عن رؤية الحقيقة. فكيف نبتعدُ عن الشّرّ إن نحن لم ندرك مدى خطورته؟ فكلما أثقلَتْنا الخطيئةُ كلَّما ادلهمّ الظّلام داخل نفوسنا.

لكنَّ الروحَ القدس، ونسمّيه أيضًا "النور الطوباويّ"، يغمرُ قلوبَنا ويساعدُنا على المحبَّة، ويبدّدُ ظلمَات نفوسنا، ويوضح لنا بُطلانَ خيرات الأرض وسموَّ خيراتِ السّماء الخالدة. يُعرِّفُنا على أهمّيّة الخلاص وعظمةِ النّعمة، على صلاحِ اللّه وكمالِ الحبِّ الواجب نحوَهُ، وعلى محبَّتِه غير المنقطعة لنا. "فالإنسان البشريّ لا يُدرك ما هو من روح اللّه" (١ كور ٢/ ١٤)

إنَّ الإنسانَ الغائصَ في أوحالِ الملذّات الأرضيّة، لا يُمكنُهُ معرفةَ هذه الحقائق إطلاقاً. فالتّاعسُ من بينِ بني البشر يُحبُّ ما وَجُبَ بُغضهُ، ويبغضُ ما وَجُبَتْ محبّتهُ. وقد قالت ماري مادلين دو بازي هاتفةً: "يا أيّها الحبُّ الّذي لم يكن معروفًا، يا أيّها الحبُّ الّذي لم يكن محبوبًا!"

في هذا السّياق كانت القديسة تريزيا (الأفيلانية) تُردّد: "إنّ اللّه لم يكن محبوبًا لأنّهُ لم يكن معروفًا". لذلك نرى القدِّيسين لا ينفكّون يلتمسون قبساً من نور اللّهِ: "أرسلْ نورَك وحقّك فهما يهدياني" (مز ٤٣/ ١)، "لأنك أنتَ توقدُ سراجي، إلهي أنرْ ظلماتي" (مز ١٨/ ٢٩)، "يا رب إفتحْ عينيَّ فابصرَ عجائبَ شريعتك" (مز ١١٩/ ١٨). وهكذا فإنَّه مِن دون النورِ لا يمكننا أن نضمن عدم السقوطَ في المهاوي، وبالتالي أن نجدَ اللّه.

† عواطف وصلوات

يا أيها الرّوحُ الإلهيُّ أنا أؤمن حقًا أنكَ اللّه، وأنكَ مع الأب والإبن إلهٌ واحدٌ. إني أعبدُك وأُقِرُّ بأنكَ باعثُ الأنوارِ الّتي ساعدتني على كشفِ خُبثِ الشرِّ الّذي إقترفتُهُ فأهنتُك، وعرَّفَتْني أنّني ملزمٌ بمحبَّتِكَ. أشكرُكَ نادمًا على إهانتكَ. أنا مستحِقٌ أن تتركَني في الظّلمات ولكنّي أرى أنك لم تتخلَّ عنّي. أيّها الرّوحُ الأزليّ استمرَّ بإفاضة نورِك عليَّ، واجعلني أتلمّسُ صلاحك اللاّمتناهي. قوِّني كي أحبَّك من كلِّ قلبي. هبني النّعمة لتجعلَ منّي قوّةً مقدّسةً وديعةً، فألتزِمُ بعدمِ محبَّةِ أحدٍ أكثر منك.

أطلبُ ذلك باستحقاقات يسوع المسيح. إني أحبُّك يا خيريَ الأسمى، أحبُّك اكثرَ من ذاتي. وأريدُ أن أكونَ لك بكلِّيّتي، فاقبلْ عطيَّة ذاتي لكَ ولا تسمحْ بأن أبتعدَ عنك أبدًا.

يا امي مريم ساعديني بقوَّة شفاعتِكِ المقدَّسة...

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

ألتأمّل الثالث: ألحُبُّ مياهُ تُروي العِطاش

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

ويدعى الحُبُّ أيضًا، يَنبوع الحياةِ ونارٌ وهيام.

قال الربُّ فادينا للسّامرية: "من يشربُ من الماء الذي أُعطيهِ أنا فلن يعطش أبدًا" (يو٤/ ١٣). فالحبُّ مياهُ مُرويَة، ومَنْ أحبَّ اللّه من أعماقِ قلبهِ لا يطلبُ سواه ولا يرغبُ بديلاً عنه، لأنه سيجدُ كلَّ الخيرات في اللّه. وفي استقراره باللّه سيلقى الفرَحَ متهلّلاً: "يا إلهَ نفسي أنتَ خيريَ الأكمل، يا إلهي ويا كليِّ".

من أجلِ كلّ ذلك يشتكي اللّهُ من نفوسٍ عديدةٍ تلهجُ وراء ملذّات البشر

الخسيسة العابرة، مبتعدةً عن الصّلاح اللامتناهي، والنّبع الفيّاض بالأفراح كلِّها: "تركوني انا يَنبوع المياه الحيّ واحتفروا لأنفسهم آباراً، آباراً مُشقّقة لا تُمسِكُ الماء" (إرميا ٢: ١٣). وعلى الرُّغم من ذلك، فإن اللّه الّذي يحبّنا يريد ملاقاتنا بالفرح، وهو لا ينفكّ يدعو جميعَ الناس قائلاً: "إنْ عطشَ أحدٌ فليقبلْ إلّي" (يو٧/ ٣٧). ومنْ رامَ السّعادة فليأتِ إليَّ فسأمنحهُ بقوَّة الرّوح القدس بُغيةَ قلبِهِ في الحياةِ والآخرة. ومن يؤمنْ بي، فليشربْ كما ورد في الكتاب: "ستجري من جوفِهِ أنهارُ مياهِ الحياة" (يو٧/ ٣٨).

فمَنْ يؤمنُ بيسوعَ المسيح ويُحبُّه سوف يُغنيه بفيضِ النّعم الّتي يُغدقُها عليه غزيرةً من قلبِهِ، أي من عمق إرادته، ينابيعَ من الفضائلِ المقدّسة تتفجرُ وافرةً لتحفظَ له الحياة، بل ويُمكنه أيضاً أن يشاركهُ فيها آخرون.

في الواقع إن هذه المياه ليست إلاّ الروحُ القدس بالذات، أساسُ محبة الآب، وقد وعدَ الربُّ يسوع المسيح بأن يرسلَه إلينا من السّماء بعد صعودِهِ: "لأنَّ الروح القدس لم يكنْ قد أُعطيَ بعدُ لأن يسوع لم يكن قد مُجِّدَ" (يو٧/ ٣٩).

وما المفتاحُ الذي يَفتح القنوات التي تختبيءُ فيها المياهُ إلا الصّلاة المقدّسة. فالصّلاة تمنحنا أطياف الخيراتِ كلَّها بنعمة الوعد المعطى لنا: "أطلبوا تجدوا" (متى ٧/ ٧).

نحن عميان فقراء، ضعفاء، لكن الصّلاة تعطينا النّورَ والغنى والقوّة. فتودريتوس يقول: "إنّ الصّلاة وحدها تستطيعُ كلَّ شيء". ومَن يُصَلِّ ينلْ نِعَماً يسألها. واللّهِ يريد إعطاءنا نِعمَهُ الوافرة، إنّما يرغب في أن نطلب ذلك منه أولاً.

† عواطف وصلوات

"أعطني يا ربّ من هذا الماء" (يو٤/ ١٥)

يا يسوعي، أنا أتوسّلُ إليكَ كما فعلَتِ السّامريّة: أعطني من مياهِ حبِّك هذا الّذي يُنسيني الدنيويات، ولا يُشغلني إلاّ بكَ. يا أيّها الحبُّ اللامتناهي "إسقِ ما كان يابساً". نفسي قاحلةٌ لا تُنبتُ إلاَّ براعمَ وأشواكًا من الخطيئة،

فاخصبْها. آهِ يا ربّ! أخصبها من نِعمِكَ فتُثمرَ ثمارًا تليقُ بمجدك، قبل أن يفصلَها الموتُ عن جسدي.

يا يَنبوعَ الماء الحي! أيُّها الخيرُ الأسمَى! كمْ مِنْ مرّةٍ تخلّيْتُ عنكَ لأرتميَ في أوحالِ هذا العالم الّذي حرمني حبَّك المقدس. آهٍ! لماذا لم أمتْ ألفَ مرّةٍ قبل أن أُهينَك! لكنّي يا رب لن أفتشَ عن سواك فيما بعد، أغثني، واجعلْني أمينًا لمقاصدي...

يا مريمُ يا رجائي، إحفظيني دائمًا في ظلّ جناحيْك...

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

ألتأمّل الرابع: ألحبّ ندىً يُخصِبُ

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

تُعَلِّمُنا الكنيسَةُ المقدَّسة هذه الصلاة على لسانِ أولادها: "إن الروح القدس يُطهِّرُ قلوبَنا ويُخصِبُها عميقًا بندى نِعمتِهِ". فالحبّ يُخصبُ النوايا الصالحة والأعمال المقدسة الصادرة عن النفس. هذه الثمار تنبت بفعل نعمة الروح القدس في نفوسنا. والحبّ أيضًا يُدعى ندىً لإنَّهُ يهدِّئ لهيب الشهوات، ويطفئُ نار الأهواء. ويُسمى الروح القدس أيضًا مُلطّفاً ومنعشاً لظى اللَّهيب: "هو في الحرِّ إعتدال... إنَّه المنعش العذب..."

هذا الندى الإلهي يتغلغلُ في قلوبنا وقت الصلاة. لذا فإنّ ربعَ ساعةٍ من ألتأمّل كافيةٌ لتُخمدَ ميول الحقد والشهواتِ مهما كانت مُتقدةً: "أَدْخَلَنِي بَيْتَ الْخَمْرِ، وَالرّايَة فَوْقِي مَحَبّةٌ" (نشيد الأناشيد ٢/ ٤).

إنّ ألتأمّل المقدِّس هو مخزنٌ للأهراء حيث يتكدّسُ الحبّ، ومنهُ نتعلّم محبَّة القريبِ كنفوسنا، ونفقه أن حُبَّ الله يكمنُ فوقَ الأشياء كلّها. والذي يحبُّ الله يحبُ الصلاة، ومستحيلٌ على مَنْ لا يتمرّس بألتأمّل أن يُسيطر على شهواتِهِ ...

† عواطف وصلوات

يا أيها الروح القدس الإلهي، أنا لا أريدُ أن أحيا لذاتي، لكنني أرغبُ السعيَ لأن احبَّك واُرضيك طالما بَقِيَتْ ليَ حياة. لذلك أبتهلُ إليك أن تمنحني موهبة الصلاة ألتأمّلية. تعال أنت إلى قلبي وعلِّمني الصلاة كما ينبغي. قوِّني كي لا أترك هذه العبادة التقويَّة في ضجَري وجفافي. هبني روح الصلاة ونِعمتها كي أختارَ الابتهالات العزيزة على قلبك الإلهي.

أنا كنتُ تائهًا بسبب خطاياي، لكني أرى أنك تريد أن تقدسني وتنتشلني بطرقك المقدسة التي أوليتني إياها. نعم أنا اريد أن أتقدس وأن أرضيك وأحبَّك أكثر فأكثر لأنك صالحٌ إلى ما لا نهاية.

أحبك يا خيريَ الأعظم، يا حبي ويا كُلّي، ولأني أحبك فها أنا أهبك ذاتي كلَّها...

يا مريم، يا رجائي إحفظيني ...

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

ألتأمّل الخامس: ألحبّ في التّعبِ راحةٌ

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

يُسمّى الحبّ: "في التّعب راحة وفي الحزن عزاء"، وهو يُفضي إلى الإستراحة العذبة، لأن عملَهُ الأساس هو توحيد مشيئةُ الحبّيب بمشيئةِ المحبوب. فالنفس التي تُحبُّ الله، على الرغم من الضغوط والآلام والخسارات التي تعانيها، تهدأ حين تؤدي الطاعة لإرادتهِ. لذا عليها أن تعرف أنها تتألَّمُ بإرادة محبوبها مُرددةً باستمرار: "هذه مشيئة ربي"، فتجدُ سلاماً يسمو فوق محن الحياة كلّها. إنَّه سلامٌ يتخطى ملذات الحواس الدنيا: "فإن سلام الله الذي يفوق كل إدراكٍ يحفظ قلوبكم وأذهانكم" (فل٤/ ٧).

في هذا السياق، فإنَّ فرحاً عميقاً كان يغمر نفس ماري مادلين دو بازي حين كانت تردد: "إنها إرادة الله".

لذلك، على كل إنسانٍ في الحياة أن يحمل صليبَهُ مردداً مع القديسة تريزيا (الأفيلانية): "إن الصليب عذابٌ لمَن يجرُّه وعذبٌ على الذي يعانقهُ". وكما يقول أيوب: "إن الربّ يجرحُ ويشفي" (أيوب ٥/ ١٨).

فالروحُ القدس بعذوبة ميرونه يَحوِّلُ العذاب عذوبة والألم محبة. "نعم يا أبتِ، هذا ما هو رضاك" (متى١١/ ٢٦). وهذا ما ينبغي قولهُ أمام امتحانات الحياة: "فليكن كذلك يا رب لأن فيه مرضاتك". ويوم تعصفُ بنا محنُ الزمان هذا فلنردد دومًا: "قرر يا رب فأنا أقبل من أعماق قلبي ما تقررُه". فإنَّ نجاتي في أن أهبَ لك ذاتي كما كانت تفعل القديسة تريزيا طيلةَ نهارها.

† عواطف وصلوات

أوآه! يا إلهي كم من المرّات أتممتُ إرادتي أنا، وقاومتُ أرادتكَ أنت، حتى الإزدراء؟ يؤلمني هذا الشر أكثر مما عداه. فها منذ الآن أريدُ أن أحبك يا ربُّ من كلِّ قلبي: "تكلم يا رب فإن عبدك يسمع" (١صم٣/ ٩). قل لي ماذا تريدُ مني فأفعله. رغبتي الوحيدة وحبيَّ الأوحد سيستقرّان في أن أعمل مشيئتك. يا أيها الروح القدس أعِن ضعفي لأنكَ الصلاحُ بحد ذاتِه، فكيف لي أن أحبَّ غيرك؟ إني أوجِّه رغباتي العميقة إليك بعذوبة محبتِك، وأتخلّى عن كلِّ شيء لأهبك نفسي، فاقبلني وأنجدني...

يا مريم أمي فيكِ أضعُ كل ثقتي...

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

ألتأمّل السادس: ألحبّ فضيلةٌ تُقوّي

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

"قويٌّ كالموت هو الحبّ" (نشيد الاناشيد٦/٨). وكما أنَّهُ ليس من قوةٍ مخلوقةٍ باستطاعتها مقاومة الموت، كذلك ما من صعوبةٍ تقفُ أمام الحبّ في النفس المُحِبَّة.

عندما يتعلّقُ الأمر بإرضاء المحبوب يتخطَّى الحبّ كل خسارة وازدراءٍ وألَم. فما من يباسٍ لا يذوبُ داخل نار المحبة. وما يدُلّنا على أنَّ النفس تحبُّ اللّه بصدقٍ هو إن ثَبُتَتْ أمينة على محبَّتهِ في العُسر واليُسرِ.

كان القديس فرنسيس دو سال يقول: "إنَّ اللّه محبٌّ إن كافأ أو عاقبَ، لأنَّهُ يعملُ كل شيء بمحبة، وإن هو أحزننا في هذه الحياة فذلك تأكيدٌ على وفرةِ محبته.

يشرح لنا القديس يوحنا فم الذهب بأن القديس بولس كان أكثر ابتهاجاً في قيودِهِ منه آنَ اختُطِفَ إلى السماء الثالثة (٢كور ١٢: ٢-٤). لذلك كان الشهداء القديسون يتهللون وسط العذاب، شاكرين اللّه لأنه أعطاهم نعمة التألُّم ليُرضوه بتوبتهم، حيث يقول القديس أغسطينوس إن الذين يُحبون لا يتعبُون أبدًا حتى ولو تعبوا فذلك يُفرِحُهُم.

† عواطف وصلوات

يا إله نفسي إني أجاهرُ بحبِّك، لكن أيُّ برهانٍ أُبديه أثباتاً لحبي لك؟ لا أجد عندي برهاناً واحداً، فتلك علامةٌ أنّي لا أحبك كفايةً. فيا يسوعي أرسلْ إليَّ الروحَ القدس، فليأت ويهبني القوة لأن أتألَّم من أجلِّ حبِّك، وأن أعمل أي شيء من أجلك، قبل أن يباغتني الموت.

آه! يا فاديَّ المحبوب لا تسمح بأن أموت في فتوري هذا ونكراني الذي أبديتهما إلى الآن. أعطني الشجاعة كي أتألّم تكفيراً عن خطاياي الكثيرة

التي جعلتني مستحقًا الجحيم.

يا إلهي يا كلّيَّ الصلاح ويا كلّيَّ الحبّ، أنت تتوقُ إلى سُكنَى نفسي وقد طردْتُكَ منها مرارًا، تعال واتّخذها مسكنًا لك ، اِمتلكها وحوِّلها بكليتها لك. إني أحبك يا إلهي، وقد أكد لي القديس يوحنا بأنك تجعل نفوس مُحبيك سُكنى لكَ: "فمن أقام بالمحبة، أقام في اللّه وأقام اللّه فيه" (١يو ١٦/٤).

فبما أنك معي أضرِم النار وقوِّ رباطات المحبة المقدسة كي لا أرغب ولا أفتش ولا أحبَّ سواك. حتى إن أنا سرتُ مرتبطًا بك لا أنفصل عن محبتك المقدسة أبدًا. إني أريد أن أكون لك يا يسوعي ويا كلّي.

يا محاميةً عني، ويا ملكتي مريم، استمدي ليَ الحبّ والمثابرة.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

ألتأمّل السابع: ألحبّ يُسكِنُ اللّه نفوسَنا

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

نسمي الروح القدس "ساكن النفس العذب". هذا هو وعدُ يسوع المسيح الذي أعطاه لمريديه حين قال: "إن كنتم تحبوني، حفظتم وصاياي وأنا سأسأل الآب، فيَهَبُ لكم مؤيدًا آخر يكون معكم إلى الأبد... لن أدعكم يتامى، فإني أرجع إليكم" (يو١٤: ١٥- ١٦، ١٨). "إن الروح القدس لا يتخلى إلا عن النفس التي ترفضُهُ ولا يتركنا إلا إذا تركناه" (المجمع التريدانتيني).

فاللّه يسكنُ في النفس التي تحبُهُ بيد أنّه يُبدي عدم إكتفائه إن لم نحبّه من كلِّ قلوبنا. لقد أعلن القديس أغسطينوس بأن مجلس الشيوخ الروماني لم يقبل يسوع المسيح كإله من آلهته لأنه، وكما قال الشيوخ، إلهٌ فائق الطبيعة لا يريدُ إلاّ أن يُعبد وحده. وهذا عين الصواب فالمسيح لا يرغب أبدًا في أن يكون له شريك في قلب من يحبه. المسيح يريدُ أن

يجعل من كلِّ قلب سكناهُ الفريدة، وأن يكون محبوبًا أكثر ما يمكن. فإن لم يكن هو موضع المحبةِ وحده تعتريه الغَيرة، على ما كتب القديس يعقوب، إن هذه الخليقة بأسرها هي جزءٌ من قلب يريدُ أن يحتفظَها لذاته: "إن اللّه يشتاق شوق الغيرة إلى الروح الذي أَسْكَنَهُ فينا" (يعقوب ٤/ ٥). وبتعبير آخر، على ما يقول القديس إيرونيموس: "إن يسوع مملوءٌ غَيرةً". لذلك فإن العريس السماوي يمدح تلك النفس الشبيهة باليمامةِ التي تنفرد عن العالم وتنساه: "ما أجمل خديك بين العقود وعنقك بين القلائد" (أناشيد ١/ ١٠)، فالمسيح لا يريد منّا تقاسُم حُبّه مع العالم. هو يريدُه كاملاً لذاته فيمدحَ عروسَهُ ويسميها "جنّة مقفلة أختي العروس" (أناشيد ٤/ ١٢)، إنها مقفلة عن كلِّ حب أرضي. ألا تعتقدون أن يسوع المسيح يستحقُ حبَّنا كلّه؟ فالذهبي الفم القديس يقول: "لقد أعطاكم يسوع كلَّ شيء، دمه وحياته كلَّها، لم يبقَ عنده ما يعطيه لأنه لم يُبقِ لذاته شيئاً".

† عواطف وصلوات

آه! يا إلهي هاءَنذا أرى أنك تُريدني بكلّيّتي لك. لقد أبعدتُك مرارًا عن ذاتي، وأنت ما زلت تأتي كي تتَّحِدَ بي إلى أن مَلكتَني بكليتي. إني أهبُك اليوم ذاتي فاقبلني أنت يا يسوعي، ولا تسمح بأن أعيش بعيدًا عنك لحظةً واحدة. أنت تبحثُ عني فلن أبحث إلا عنك. أنت تريد نفسي ونفسي لن تريدَ إلاّكَ. أنت تحبني فانا احبك. ولأنك تحبني اجعلني مرتبطًا فيك لا أنفصلُ عنك أبدًا...

يا ملكة السماء إني أثق بك...

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

ألتأمّل الثامن: ألحبّ رباطٌ آسر

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

لأن الروح القدس هو حبٌ غير مخلوق، فهو رباطٌ لا ينحل، يربطُ الآب بالكلمة الأزلية، ويوحِّدُ روحَنا بإلهنا.

كتب القديس اغُسطينوس: "المحبةُ فضيلة تجمعنا بإلهنا". وحين امتلأ القديس لوران يستنيانسِ بالروح هتف: "يا أيها الحبّ هل إنّ رباطك قويٌ جدًا إلى درجة أنَّه أجبرَ اللّه على الاتحاد بنفوسنا؟" فقيودُ العالم موتٌ، وقيودُ اللّه حياةٌ وخلاص: "فتكون قيودُها حمايةً لك وأغلالُها حُلةَ مجدٍ" (بن سيراخ ٦/ ٢٩). ولأن اللّه يُقيِّدُنا برباطات المحبة، فهو إذن حياتُنا الفريدة والحقيقية.

قبل مجيء المسيح إبتعد الناس عن اللّه وتعلَّقوا بالأرض، ورفضوا أن يوِّحدوا قلوبَهم بخالقهم. لكنَّ الربَّ الذي يُحبُّهم اجتذبهم إليه بربطات المحبة، كما وعد في النبي هوشع: "بحبال البشر، بروابط الحبّ إجتذبهم" (هوشع ١١/ ٤).

هذه القيود هي الأعمال الصالحة والأنوارُ والدعوة إلى المحبَّةِ. هذه هي وعود اللّه التي قطعها لنا بأن يهبنا الفردوس. إنَّها العطية التي وهبنا إياها يسوع المسيح في اُضحية الصليب وفي ذبيحة المذبح. إنها عطيَّة الروح القدس. فالنبيُّ في رؤيته الرحمات تلك هتف قائلاً: "حلّي قيودَ عنقك أيتها الأسيرة بنت صهيون" (أشعيا ٥٢/ ٢).

فيا أيتها النفس المخلوقة للسماء اكسري قيودَك التي تربطك بالأرض واتحدي باللّه بروابط الحبّ: "إلبسوا ثوب المحبة لأنها رباط الكمال" (كول ٣: ١١). فالمحبة تَختصرُ الفضائلَ كلَّها وتُضفي على النفسِ كمالَها. "أحببْ وأفعلْ ما تشاء" يقول القديس أغسطينوس. فالمُحبّ يتحاشى ما يُؤذي حبيبه ولا يعملُ إلاّ ما يُرضيه.

† عواطف وصلوات

يا يسوعي الحبّيب، لقد أجبرتني على حُبِّك، وقد كلَّفك هذا غاليًا، فسأبدو عاقًا إن كنتُ متخاذلاً في حبي لك، أو إن أنا وزّعتُ قلبي بينك وبين الخلائق، بعد ما منحتنيه من دمِك وحياتِك.

بيَ حنينٌ إلى التخلّي عن كلِّ شيءٍ واضعًا كلَّ عواطفي القلبيةِ فيك. لكنّي ضعيفٌ للغاية وما باستطاعتي تحقيقَ رغباتِك السّامية. أنت يا من تعطيني كلّ شيء هبني نعمةَ أن أضع كلَّ الأشياء حيّز التنفيذ.

يا يسوعي الحبّيب، اجرَحْ قلبيَ المسكينَ بسهام حبِّك كي أتشوّقَ إلى إرضائنك وأذوبَ في حبِّك. أُفتِّش عنك وأدعوك فألاقيَك إلى الأبد.

يا يسوعي الحبّيب لا أريد أكثر من ذلك فاجعلني أردد طيلة حياتي، وفي ساعةِ مماتي، لا أريد إلاك أنت وحدَك، ولا سؤلَ لي سوى ذلك.

يا مريم يا أمي لا تجعليني أطلب إلاّ اللّه ...

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

ألتأمّل التاسع: ألحبّ كنزٌ مُتضمِّنٌ كل الخيرات

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

إنَّ الحبّ هو ذاك الكنزُ الذي يحدِّثُنا عنه الإنجيل في التخلّي عن كل شيء من أجل إمتلاكه. نعم، لأنّ الحبّ يصادقُنا مع اللّه. "هو كنزٌ للناس لا يَفنى والذين ينالونه يصيرون أصدقاء اللّه" (سفر الحكمة ٧/ ١٤).

كتب القديس أغسطينوس: "يا أيها الإنسانُ لِمَ تفتّشُ عن الخيراتِ على اختلاف أنواعها؟ فتّش عن خيرٍ أوحد يتضمَّنُها كلّها. لكننا لا نستطيعُ أن نجدَهُ إن لم نتخلَّ عن كلِّ ما يختصُّ بالأرض".

والقديسة تريزيا تقول: "افصل قلبك عن المخلوقات فتجد اللّه". فمن وجد اللّه وجد مبتغاه "ولتتنعم بالرب نفسُك فيعطيك بغية قلبك" (مز٣٧/ ٤). فالقلبُ

البشري يفتِّشُ بجشع عن خيراتٍ تُسعدُهُ، لكنَّ تفتيشه ينحصر بالمخلوقات التي، ومهما سَختْ عليه، لَن يُدرك هدفَهُ. فعلى العكس من ذلك، إنْ هو لم يبحث إلاّ عن الله، فالله يجزيه مُبتغاه. أجيلوا الطَرّفَ فوق سطحِ الأرض فمن هم أسعد الناس يا تُرى، أليس القديسون؟ ولِمَ ذلك؟ لأنهم لا يرغبون إلاّ في التفتيش عن الله.

ذهب أميرٌ يومًا يصطاد فالتقى ناسكاً هائماً في البراري يبحث عن أمرٍ ما، فسألهُ عن غاية اتخاذه القفر مقراً لمضي حياته فقال:

"وأنت أيها الأمير لِمَ جئتَ إلى هنا؟"

انا أفتشُ عن فريسةٍ.

وأنا اُفتِّش عن الله، رد الناسك.

قدّم أحد الحكَّام الظالمين يومًا هديّة ذهبٍ وأحجارٍ كريمة للقديس كليمندوس طالبًا منه نكران المسيح. لكن القديس هتف متنهدًا "وآسفاه! أتوازي الله بحفنةِ أوحال؟"

فطوبى للّذين يُقدِّرون قيمة كنز الحبّ الإلهي هذا، ويبيعون كلَّ شيء عاملين لنيله. فالقديس فرنسوا دو سال يقول: "حين تشتعل النار في البيت فإننا نرمي محتواه من النوافذ".

وكان خادمُ الله الأب بولس سينوري جِنيور يقول: "إن حبّ الله سارقٌ يعرِّينا من ميولنا الأرضية ويجعلنا نردد: ما عساني أرغب إلاك وحدك يا رب؟"

† عواطف وصلوات

يا إلهي هاءَنذا لم أفتش عنك حتى يوميَ هذا. فتَّشت عن ملذاتي لامتلاكها، وأدرتُ ظهري لك أنت يا خيريَ الأعظم. لكن تعزيتي في كلمات النبي إرميا حين قال: "الرب صالح للنفس التي تفتش عنه" (مراثي ٣/ ٢٥). فهذا ما يجعلني أتأكد بأنك خيِّرٌ لمن يفتش عنك.

يا إلهي المحبوب إني أُقِرُّ بالشر الذي اقترفتُهُ بابتعادي عنك فها أنا بائسٌ، حزينٌ من كلِّ قلبي. وأعرفُ أيضًا عظمةَ كنزك الذي لا يزول. فلن أُسيء استغلال شعاع النور هذا. سأتخلى عن كل شيء وأختارك وحدك يا حبيَ الأوحد. فيا إلهي وحبي ويا كلّي إني أريدك وأحبُك وأتوق إليك.

هلّم أيها الروح القدس واتلف بنار حبك المقدس كلَّ عواطفي الغريبة عنك. اجعلني بكلّيَتي لك، فأنتصرَ على أهوائي من أجل رضاك.

يا مريم أمي، يا محاميتي إنجديني بصلواتك...

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

ألتأمّل العاشر: دروبُ الحبّ والقداسة

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

على قدر محبّتك تتقدَّس.

يعتبر القديس فرنسيس دو بورجيا أنَّ الصلاة كالجسرِ يجتاز عَبره حبُّ اللّه صوبَ قلوبِنا، والإماتات تأتي ثانياً لتحرر القلوبَ من دنيا البسيطةِ صوب عُليا مجامر نارِ الحبّ المقدس. فكلّما اتسع القلب في ميوله الدنيويّة، صَعُبَ على الحبّ الإلهي إيجاد مكانٍ فيه: "فلا وجود للحكمة في أرضِ الغارقين بالملذات" (ايوب ٢٧/ ١٣).

لقد عمل القديسون على إماتَةِ حواسهم ومشاعرهم الأنانية. وقليلون هم قومُ القديسين، فأولى بنا أن نكون قلّةً إن نحن أردنا ان نَخلُصَ مع البقيّة القليلة. كما يقول القديس يوحنا السلُّمي: "لا يتحقق الكمال إن لم يتمايز بالفرادة. فالذي يريد عيش القداسة عليهِ أن يتوق إليها رغبةً وقرارًا. هناك أُناسٌ يتوقون دومًا إليها إنما دون وضع اليدَ حيِّز العمل. والقديسة تريزيا تقول بان الشيطان لا يعتريه الخوف من نفوس لا تتملّك قرارها. أنما اللّه على العكس من ذلك، فهو صديق النفوس المِعطاءة.

يُوهِمُنا الشيطانُ بأن التوق إلى تحقيق امورٍ عظيمة كرمى للّه هو كبرياءٌ وغرور. لا شك بأن الغرورَ يجعلُنا نتوهّم باننا نعمل العظائم في سبيل اللّه بفضل قوتنا الذاتية، لكن ليس غروراً في رغبة عيش القداسةِ إتكالاً على النعمة الالهيّة، ولنردد مع بولس الرسول: "أستطيع كل شيء بالمسيح الذي يقويني" (فيليبي ٤/ ١٣).

فلنتشجعنَّ إذاً ولنحزم أمرنا ولننطلق. فللصلاة قدرةٌ على كل شيء. وكل ما لا نستطيع فعلهُ بمفردنا فلنعملهُ بعون اللّه الذي وعد أن يهبنا كل ما نطلبُ منهُ. "كل ما ترغبون اطلبوه من الآب السماوي باسمي فتنالونه" (يوحنا ١٥/ ٧).

† عواطف وصلوات

يا فاديَّ الغالي، إنَّ رغبتك هي في أن اُعطيك حبي، وأنت تسألني أن أحبك من كلِّ قلبي. نعم يا يسوعي، انا أريد ان أحبك من كلِّ قلبي وأضع ثقتي برحمتِك وأتجرأ وأقول: قد كرهت أنانيّتي الآن وأمقتُها بكليتها. ولأني لا أنكر أبدًا أنك تنسى معاصيَّ لأنّ نفسي تائبةٌ وتحبُك، لقد اهنتك أكثر من أيِّ إنسانٍ آخر، لذا اُريدُ أن أحبَّك أكثر من الجميع بقوّة نعمتك التي أرجو ان لا أخسرها.

يا إلهي تريدُني ان أقدِّس ذاتي، وهي رغبتي أيضًا كرمى لك. إني اُحبك أيها الصلاح اللامتناهي وأهب لك ذاتي بكليتها.

أنت يا خيريَ الأوحد وحبي الوحيد إقبل قلبي واجعلني بكُلّيتي لك ولا تسمح بأن أقوم بما لا يرضيك. اجعلني اُفني ذاتي من أجلك كما تفانيتَ انت من أجلي...

يا مريم يا عروس الروح القدس المُحِبَّة والمحبوبة للغاية أطلبي لي المحبة والإخلاص.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

صلاة القديس الفونس ده ليغوري

أيها الطفل العزيز، إنني أنظر إليك في هذه المغارة و كأنك مسمّر على الصليب. لأن الصليب حاضر في عقلك مسبقاً، و قد قبلته حباً بنا...

أيها الطفل المصلوب، إنني أشكرك و أحبك. الآمك من أجلي بدأت فوق هذا القش، حيث بدأت تتحضّر لتموت من أجلي... إنك تدعوني كي أحبّك، بل تأمرني بهذا القول: «أحبب الرب إلهك». (متى ٢٢-٣٧)

وأنا لي أمنية واحدة و هي أن أحبك. إن شئت أن أحبّك، أعطني الحب الذي تطلبه منّي. حبّنا لك، هو عطية من رحمتك، أعظم عطية بوسعك أن تعطيها للإنسان! إستقبل يا يسوعي في عداد أصدقائك، خاطئاً أمعن في إهانتك.

أنت جئت من السماء لتفتش عن النعجة الضائعة، كنت تفتش عنّي إذاً، وأنا لن أفتّش إلا عنك. هل تريد نفسي؟ إن نفسي لا تريد أحداً سواك

أنت قلت: (أنا أحب الذين يحبّونني). أنا أحبك فأحببني أنت أيضاً. و إن كنت تحبني، أوثقني بحبك بقوة حتى لا أستطيع التفلّت منك

يا مريم أمي ساعديني، ليكن من أسباب مجدك أيضاً، أن تري إبنك محبوباً من خاطىء تعيس، سبق أن أهانه كثيراً.

الكتاب ألثاني

تأملات لعبادة القربان الأقدس

تاريخ بدء التساعية	النوايا
....	....
	....
	....
....	....
	....
	....
....	....
	....
	....

باسم الآب والإبن والروح القدس

تأملات: للأيام الثمانية لعبادة القربان الأقدس المعروض على المذبح

التأمل الأول: محبة المسيح يسوع في القربان الأقدس.

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

لما تمّ زمن انتقال فادينا المحبوب للغاية من هذا العالم الى الأب، وبعد أن أكمل بموته عمَلَ افتدائنا، رأى أن ساعته قد اقتربت ليدخل في أحشاء أبيه الخالدة: "هُوَ عَالِمٌ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ جَاءَتْ لِيَنْتَقِلَ مِنْ هذَا الْعَالَمِ إِلَى الآبِ" (يو١٣/١)، لم يشأ أن يتركنا لوحدنا في هذا الوادي، وادي الدموع: ماذا عمِل؟ لقد أسس سرّ القربان الأقدس، أي الإفخارستيا، التي ترك فيها ذاته كلها من أجلنا. يقول القديس بطرس دالكنترا: "ما من كلام سام، ، يستطيع التعبير عن عظمة محبة يسوع المسيح التي يحملها لنفوسنا"ً. لذلك فإن عروسنا الإلهي، حين أراد أن يترك هذه الحياة، ولكي لا يكون غيابه مدعاةً للنسيان، ترك لنا هذا القربان الأقدس كي نُحْيي ذكراه، فأقام هو نفسه في داخله، كي لا يدع أمرًا آخر غيره يفصل بيننا وبينه، ولكي يوقظ فينا ذكراه الأبدية.

فيسوع لا يريد أن لا ينفصل بموته عنّا، لذا أسس سرّ الحب هذا، كي يبقى معنا إلى الأبد: "ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر" (متى ٢٨: ٢٠). فها هو إذا، كما يعلِّمنا الإيمان، قابعٌ على عددٍ كبير من الهياكل، كما في سجونٍ من المحبّة، كي يجده الذين يبحثون عنه. لكن القديس برناردوس يقول: "هذا لا يليق بعظمتك أيها الرب". فيجيبه يسوع: "يكفي أن يتوافق ذلك مع محبتي".

فالحُجّاج الذين يزورون أورشليم لرؤية المغارة حيث ولد يسوع، والسجن الذي جُلِدَ فيه، والجلجلة حيث أسلم الروح والقبر حيث كُفِّن، إنّما ذلك برهانٌ على الإندفاع الحنون في داخلهم. إنّما الأعظم من هذا هو إندفاع الّذين يزورون الهيكل، حيثُ يسكن الرب يسوع المسيح في القربان الأقدس. فالمكرّم الأب يوحنا الأفيلِّي قال: "لأنه بين جميع المعابد لم يجد أعظم وأكثر غذاءً من ذاك الذي يُعرَض فيه الرب يسوع ضمن القربان الأقدس".

† عواطف وصلوات

يا يسوع المحبوب للغاية! يا إلهي المحبّ للبشر! ماذا يمكنك أنّ تخلُقَ أمراً أهم من هذا الإبداع لكي تجعل ناكري الجميل يحبّونك؟ فلو أنّ الكل يحبّونك، لكانت الكنائس مزدحمةً بالناس الذين يعبدونك ووجوههم ملتصقة بالأرض، شاكرينك، وهُم يتّقدون بالمحبةِ لك، ويرونك، بعيون الإيمان، محتجباً في بيت القربان.

لكن ويا للأسف فإن الناس ينسونك أنتَ، ويتناسون محبتك، ويزورون بعضهم بعضًا لأجل ربحِ مقتنيات بالية، ويتركونك أنتَ ربُّهم وإلههم. فيا ليتني أستطيع تعويض بعضٍ من نكران الجميل هذا! أنا أعترف بأني حتى الآن أبدو لا مبالياً وأنكر الجميل أنا أيضًا، لكنني لا أريد أن أستمرّ على هذا المنوال فيما بعد. إنّي أرغب دائمًا أن أكون برفقتك. ألهب قلبي بحبِّك المقدس كي لا أعيش، فيما بعد، إلا من أجلِ محبتك ورضاك. أنتَ جديرٌ بأن يُحبّك جميع الناس. فإن كنتُ قد إزدريتك في الماضي فأنا لا أرغب الآن إلاّ أن أرضيك وأحبّك. فيا يسوع أنت حبّي والهي وكلّ خيري.

أيتها العذراء مريم الفائق قدسها، أفيضي عليّ نعمة المحبّة الفائقة للقربان الأقدس.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

التأمل الثاني: يسكن يسوع فوق مذابحنا ليجعل نفسه سهل المنال لكلّ الناس.

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

تقول القديسة تريزيا، بأنّه في هذا العالم، لا يستطيع كل البشر أن يتكلموا مع الأمير، فالإنسان الفقير يجد وسيطًا ثالثًا يتكلّم بواسطته معه. أمّا بالنسبة لك، أنت يا ملك السّماء، فلسنا بحاجة الى شخصٍ ثالثٍ؛ فالذي لديه ما يقوله لك، يستطيع أن يجدك في سرّ القربان الأقدس، فيكشف ما عنده بإسهاب دون أن يساعده أحد. وهذا هو المخّطط، الذي جعل المسيح يسوع يحجب عظمته في القربان الأقدس، تحت شكل الخبز، كي يعطينا ثقةً أكبر، وينزع منّا الخوف حين نقترب منه، على ما تقول القديسة تريزيا.

يبدو أنّ المسيح يسوع يسكب ذاته على مرّ اللحظات في عمق بيوت قرباننا ويقول: "تعالوا أيها الفقراء، تعالوا أيها المتعبون والمثقلون بالأحمال وأنا أريحكم". (متى ١١/ ٢٨). يقول تعالوا أيها الفقراء ويا ذوي العاهات؛ تعالوا أيها الغارقون في الضيق، أيها الصالحون والخطأة، تعالوا، تجدوا فيّ طبيبًا محبًّا يُصلح كل ضياعٍ فيكم ويشفي كل مصائبكم. هذه هي رغبة يسوع المسيح، بأن يعطي العزاءَ لكلّ الذين يأتون إليه. فهو يبقى ليل نهار فوق مذابحنا لكي يكون سهل المنال لكلّ الناس ولكي يغمرهم جميعًا بالنّعم. من أجل ذلك كان فرح القدّيسين عظيمًا في التحادث مع يسوع أمام القربان الأقدس، يمضون الليالي والأيام كأنّها برهة عابرة. فإن أميرة فيريا، التي أصبحت راهبة في رهبنة القديسة كليرا، لم تكن لترتوي من المكوثِ أمام القربان الأقدس عند المذبح. وحين سألوها يومًا ماذا تَعملين في هذا الوقت الطويل أمام القربان الأقدس، أجابت مذهولةً: "ماذا نعمل أمام القربان الأقدس؟ ماذا نعمل به؟ نشكره، نحبّه، ونسأله". أمّا القديس فيليب دو نيري فكان يهتف أمام القربان الأقدس: "هذا هو حبّي، هذا كلّ حبّي".

فإذا كان يسوع هو كلّ حبّنا فإن النهارات والليالي تمرّ بحضوره وكأنّها لحظة قصيرة.

† عواطف وصلوات

هكذا يا يسوع، أرغب من الآن فصاعدًا أن أقول لك أنا أيضًا حين أزورك أمام المذبح: "هذا هو حبّي، هذا هو حبّي، هذا كلّ حبّي".

نعم، يا فاديّ الحبيب، لا أريد أن أحبّ غيرك، وأريد أن تكون أنت وحدك حبّ نفسي الأوحد. فأنا أموت ألمًا حين أفكّر أنّي، إلى الآن، قد أحببت الخليقة ونزواتي الخاصة أكثر منك، وقد أدرت ظهري لك، يا أيّها الصلاح اللامتناهي! لكن بما أنّك لا تريدني أن أضيع، فقد احتملتني بصبر طويل، وبدل أن تجازيني فقد جرحت قلبي بسهم المحبّة، ولم أستطع مقاومة أتّباعك، فأعطيتُ كل ذاتي لك. أرى بأنك تريدني بكليّتي لك، وبما أنّك تريد ذلك فافعله أنتَ. أبعدني عن كل العواطف الأرضية، إنزعني من ذاتي، فلا أفكّر إلاّ فيك ولا أتنفّس إلاّ من أجلك، ولا ألتهب ولا أعيش ولا أموت إلاّ من أجلك. يا محبّة يسوع تعالي واشغُلي كلّ قلبي، واطردي منه كلّ محبّة اخرى غير اللّه. أحبك يا يسوع في القربان الإلهي، أحبك يا حياتي يا كنزي ويا حبّي ويا كلّي.

يا مريم، يا رجائي صلّي من أجلي وأعيديني بكليتي الى يسوع.

التأمل الثالث: عطيّة يسوع الكبرى لنا هي أنّه وهبنا ذاته في القربان الأقدس

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

لم تكتفِ محبّة يسوع المسيح بأضحية حياتِه، التي وهبنا إيّاها وسط بحرٍ من الإهانات والآلام، كي يبرهن لنا حنانه تجاهنا؛ لكن أكثر من ذلك، فقد أجبرنا على محبّته في الليلة التي سبقت موته إذ ترك ذاته بكليّتها غذاء لنا في القربان الأقدس. إنّ اللّه كلّي القدرة لكنّه بعد أن أعطى ذاته للنفوس في سرّ محبّته لم يعد لديه شيءٌ يعطيه. يقول المجمع التريدنتيني أنّ يسوع، بإعطائِهِ ذاته لنا، في المناولة المقدّسة، قد بذل كلّ غناه وكلّ

محبّته اللامتناهية.

فكم يتمنّى الخادم، وهو على مائدة أميره أن يحصل على جزءٍ من طعامه بالأخص إذا كان قد ناله على يدَي سيّده؟ على ما قال القديس فرنسوا دو سال.

إنّ يسوع، في المناولة المقدّسة لا يعطينا فقط جزءًا من طعامه كغذاءٍ لنا، أو قسمًا من جسده المقدّس، إنّما يعطينا كلّ جسده: "خذوا وكلوا هذا هو جسدي". فبإعطائه جسده لنا يعطينا أيضًا نفسه ولاهوته. إذ يقول الذهبي الفم بأنّ الربّ فيما يعطي ذاته في هذا السّر يعطينا كلّ ما له الى درجة أنّه لا يُبقي له شيءٌ لم يُعطِه.

يا لها من آيةِ المحبة الإلهية المذهلة، إنَّ اللّه، سيّد الأكوان، صار لنا غذاءً.

† عواطف وصلوات

يا يسوعي الحبيب، ماذا عليك أن تعمل بعد كي تجعلنا نحبّك؟

إجعلنا نعرف مدى عظمة محبتك، التي بها حوّلت نفسك الى غذاءٍ، لكي تتّحد بنا نحن الخطأة المساكين. يا أيّها الفادي، لقد أحببتني كثيرًا، حتى إنّك لا ترفض أن تعطيني ذاتك في المناولة المقدّسة. أمّا أنا فكم كان عندي من الشجاعة، بأن أطردك من ذاتي، لكنّك لا تعرف أبدًا أن ترذُل قلبًا متخشّعًا متواضعًا. فأنتَ صيّرت ذاتك إنسانًا من أجلي، ومُتَّ من أجلي، وأتيتَ كي تصبح غذائي الأوحد. فماذا بقي عندك تقدّمه لتربح محبّتي؟ فكم عليّ أن أموت حُزنًا بتذكّري أنني رفضتُ نعمتك!

فيا حبي أنا آسف جدًا لأنّي أهنتك. أحبّك يا أيها الصلاح اللامتناهي، أحبّك يا أيها الحبّ الأزلي. ولا أرغب شيئًا آخر سوى أن أحبّك، ولا آسف على شيء سوى أنّي عشتُ من دون أن أحبّك. يا يسوع الحبيب لا ترفض بأن تعود الى نفسي. تعال، فإني أموت ألف مرّة ولا أطردك. وأعمل كل ما بوسعي كي أرضيك. تعال، وأشعلني بكليّتي من حبّك المقدّس. إجعلني أنسى الكون بأسره كي لا أفكّر إلاّ فيك ولا أرغب إلاك يا ملكي وخيري الأوحد.

يا أمّي مريم، صلّي من أجلي، وبتضرّعاتك إحصلي لي على هذه النعمة بأن أكون عارفًا لجميل محبّة يسوع لي.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

التأمل الرابع: في الحب الكبير الذي شهد لنا به يسوع المسيح في القربان الأقدس

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

"كان يسوع يعلم بأن قد أتت ساعة انتقاله عن هذا العالم الى أبيه، وكان قد أحبّ خاصته الذين في العالم، أحبهم حتى المنتهى". (يو١٣/ ١)

علم يسوع بأن ساعة انتقاله قد أتت، فأراد قبل صلبه، أن يترك لنا علامةً يُظهِر لنا مدى محبته الكبيرة لنا، فوهبنا القربان الأقدس: "أحبهم حتى المنتهى". شرح الذهبي الفم ذلك بقوله: "لقد أحبهم حتى أقصى درجات الحب". لقد أحب البشر بأكبر ما يمكن من الحب، ولكن في أيِّ وقت من حياة يسوع أسس هذا السرّ الذي به أعطى كل ذاتِهِ؟

"في الليلة التي سبقت آلامَهُ"، قال بولس الرسول، أنَّ الرب "أخذ الخبز وشكر وبارك وكسر وقال: "خذوا فكلوا هذا هو جسدي أنا" (١ كور ١١/ ٢٤).

ففي الوقت الذي كان الرجال يستعدّون ليعطوه الموت، أعطاهم ذاته عربوناً عن محبتِهِ. فالعاطفة التي يظهرها أصدقاؤنا لنا، لحظة موتهم، يكون لها وقعٌ كبيرٌ في قلبنا. لأجل ذلك إختار الرب يسوع هذه اللحظة، قبل موته، لكي يترك لنا هذه العطية الكبيرة لهذا السر. والقديس توما يشيرُ إلى هذه العطية بأنّها "سر وضمانة المحبة". وكذلك القديس برناردوس "الحب الفائق". لأن المسيح يسوع بهذا السر وَحّد وتمم كل أعمال الحب الباقية التي أعطانا إياها. وإن القديسة ماري مدلين بازي تسمي اليوم الذي أسس المسيح هذا السر بأنّه "يوم المحبة".

† عواطف وصلوات

يا محبة يسوع اللامتناهية، إنّك تستحقين محبةً لامتناهية! فكيف تكون محبَّتك يا رب البشر، إلى هذا الحد، وكيف يمكن للبشر أن لا يُحبوّك كثيرًا؟ فماذا يمكنك أن تفعل بعدُ كي يحبوك؟

فيا يسوع أنت المحبُّ والمحبوب، إجعل الناس يعرفوك ويحبوك فمتى أُحِبُّك كما أحببتني أنت؟ إكشف لي أكثر فأكثر عن كِبَرِ صلاحك، كي أشتعل أكثر فأكثر بمحبتك، وأعمل كل ما يرضيك؟ يا أيها الملك الذي يلهب قلبي، لماذا لا أحبك باستمرار؟ يا للأسف لقد مضى وقتٌ لم أكن فيهِ غير محب لك فقط، إنما ناكرٌ لنعمتك ومحبتك أيضًا. فإنَّ آلامي التي أثقلتني، ثمَّ وعدك بأنَّك ستغفر للقلوب التائبة، هما يعزيانني. يا مخلصي، إني أقدم لك كل عواطفي، فساعدني باستحقاقات آلامك أن أحبك من كلِّ قوتي. يا ليتني أموتُ من أجلك كما، متَّ أنت من أجلي.

يا مريم، يا أم الله، إحصلي لي على نعمةَ أن لا أحبَّ منذ الآن أمرا آخرغير الله.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

التأمل الخامس في الاتحاد الذي يتم بين يسوع والنفس التي تتناول جسَدَهُ

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

قال القديس ديونيسيوس الأريوباغي: "إن المبدأ الفاعل للمحبة هو المسير نحو الإتحاد". إنَّ الرب يسوع المسيح أسس سرّ القربان المقدس لأجل هذه الغاية وهي بأن يتّحِد كليًا مع نفوسنا. فلقد أعطى ذاته كمعلم ومثالٍ وأُضحيةٍ من أجلنا. كان ينقصُهُ أن يعطي ذاتهُ لنا غذاءً، كي يصبح واحدًا معنا، على شاكلة الغذاء الطبيعي، الذي يصبح جوهرًا واحدًا مع من يأكله؛ وهذا ما فعله بالتحديد ربنا حين أسس سر المحبةِ هذا.

يقول القديس برناردوس السياني: "إنّها أقصى درجات المحبة في وهبه

جسده لأنه أراد أقصى درجات الإتحاد". فمبادرة حبه الاخيرة، هي أنه وهبنا ذاته غذاء، كي نكون المقياس لهذا الاتحاد، متحدين مثلما تتّحد التغذية فينا. هكذا فإن الرب يسوع لم يكن ليرضى فقط بأن يتحّد بطبيعتنا البشرية في الجسد، لكن يريدُ أيضًا أن يجد وسيلةً بأن يتحد بكل واحدٍ منا بواسطة هذا السر العظيم، كي يكون بكليتِهِ لمن يتناولُهُ.

ويقول القديس فرنسوا دو سال بأن يسوع المسيح لا يمكن أن نقارنَهُ بأيِّ أمرٍ آخر أو عملٍ أو عاطفةٍ أو محبة، إذ أنّهُ ألغى ذاتَهُ وجعَلَ منها غذاءً كي يدخُلَ في نفوسنا ويتحد مع قلوبِ المخلصين لهُ. لأن الرب يسوع يحبنا بشغفٍ أراد أن يتَّحِد بنا في الإفخارستيا ليجعلنا شخصًا واحدًا مَعَهُ. فإنَّ الذهبي الفم يتكلم هكذا: "لقد اردتَ، بكلمة واحدة، أن لا يكون قلبُك وقلبنا إلا واحدًا مُذوِّبًا ذاتك فينا، يا إله الحبّ". ويقول القديس لورنسيوس يستنيانوس: "يرغب أن يكون قلبًا واحدًا معنا". قد قال يسوع نفسُهُ: "مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ". (يو ٦/ ٥٦). فالذي يتناول القربان المقدس يقيمُ في المسيح يسوع ويقيمُ المسيح فيه. هذا الإتحاد ليس فقط إتحادًا وهميًا عاطفيًا لكنَّهُ إتحاد حقيقي وواقعي.

كذلك يقول القديس كريلّوس الإسكندري: كما تتحدُ قطعتان من الشمع المذاب كذلك هو حال الذي يتناول القربان، يُصبحُ جوهرًا واحدًا مع المسيح يسوع. فلنتخيّل إذًا حين نتناول القربان الأقدس، فإنّ الرب يسوع يقول لنا كما قال لخادمة الله الأمينة مرغريت القبرصية: "أنظري يا بنيَّتي إلى هذا الإتحاد الرائع الموجود بيني وبينك، وامنحيني محبتك واستمري دائمًا على الإتحاد بي بمحبةٍ متقدة، ولا تنفصلي أبدًا عني".

† عواطف وصلوات

يا يسوع، ما أطلبُهُ منك، وما أريدُه دائمًا حين أتناول القربان الأقدس، هو أن أبقى متّحداً بك ولا أنفصل عنك أبدًا. أنا أعرف أنك أنت لا تنفصل عني

أبدا، إلا إذا ابتعدتُ أنا أولاً. لكن خوفي بأن أبتعِدَ عنك بالخطيئة، كما حصل معي في الماضي فلا تسمح بذلك يا فاديَّ المحبوب: "لا تسمح بأن أنفصل عنك". فأنا قابعٌ في هذا الخطر حتى ساعة مماتي وأسألك باستحقاقات آلامك وموتك، أن تسمح بأن أموت ولا أقعُ في الخطيئة مرةً واحدة. ها أنا اردِّدُ، وأعطني النعمة كي أردد دائمًا: "لا تسمح بأن أنفصل عنك، لا تسمح بأن أنفصل عنك، لا تسمح بأن أنفصل عنك". فيا إله روحي أُحبُّكَ وأريد أن أحبَّك دائمًا. أحلفُ بالسماء والأرض بأني لا أريد سواك ولا أريد أمرًا آخر إلاك.

يا أم الرحمة، يا مريم، صلي لأجلي على هذه النية، ونالي ليَ النعمة بأن لا أنفصل أبدًا عن يسوع وأن لا أحب غيرَهُ.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

التأمل السادس : أمَّا يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ سَاعَتَهُ قَدْ أتت لِيَنْتَقِلَ مِنْ هذا الْعَالَمِ إِلَى الآبِ (يو١٣ / ١)

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

في رغبة بالإتحاد بنا في المناولة المقدسة (يو ١٣/ ١) كان يسوع يعلم أنّ ساعته قد أتت. هذه الساعة، التي يسميها يسوع ساعتَهُ، هي بالتحديد ساعة تلك الليلة التي عاناها أوائل مراحل آلامِهِ. لكن كيف يسمِّيها ساعته تلك الساعة المشؤومة؟ لأنه من بعد هذه الساعة أسلم لنا حياتهِ كلّها، وقرر في تلك الليلة أن يترك لنا القربان المقدس، الذي بِهِ يتحدُ كليًا بنفوسنا المحبوبة، وقد افتداها بإهراق حياتِهِ وتضحيتها من أجلنا. هذا ما تكلم به تلك الليلة فقال لتلاميذِهِ: "شهوةً إشتهيت أن آكل الفصح معكم". بهذه الكلمات أراد أن يُفهمنا رغبتَهُ الحارة بأن يتحد بنا في سر الحبّ هذا.

بحسب قول القديس لورنسوس يوستنيانس، فإنَّ هذه الكلمات، "شهوةً

اشتهيتُ"، خرجت من قلب المسيح يسوع الملتهب بمحبته اللامتناهية: "صوت المحبة الاكثر اشتعالاً، هذه النار عينها، التي تشتعل في قلب يسوع، تلهبُهُ الآن أيضًا، والدعوةُ عينُها التي دعا بها تلاميذه بأن يستقبلوه، يدعونا بها اليوم أيضًا: "خُذُوا كُلُوا. هذَا هُوَ جَسَدِي" (متى ٢٦/ ٢٦). ولكي يجعلنا نلتزم باستقباله بحرارة وعَدَنا بالملكوت، لكن تحت شرط: "من يأكل جسدي فله الحياة الأبدية (يوحنا ٦/ ٥٤). وهو يتوعّدنا بالموت أن نحن رفضنا استقبالهُ (يو ٦/ ٥٣).

دعوة يسوع هذه ووعودُهُ وتنبيهاتُهُ تدخُلُ في سياق رغبته بأن يتّحد بنا في القربان الأقدس، بفضل الحب الذي يكنُّهُ لنا. قال الرب يسوع للقديسة ماتيلدا ليس هناك من نحلةٍ لا تحمل الشوق المتَّقد بأن ترتمي على الأزهار لتمتص رحيقها. كذلك رغبتي في الدخول الى النفوس التي تسعى ورائي. فيسوع يحبنا ويريدنا أن نُحِبَّهُ. ولأنّهُ يسعى وراءنا، يريدنا أن نسعى وراءهُ. لقد كتب القديس غريغوريوس: "إنّ عطش الله لكبير". فطوبى للنفس التي تقترب من المناولة المقدسة بحرارة ورغبة في الإتحاد بيسوع المسيح.

† عواطف وصلوات

يا يسوع الحبيب، ليس لك أن تعطينا برهانًا أكبر كي تُفهمنا مقدار محبتك لنا. لقد أعطيتنا حياتك. وأودعت ذاتك في السر المقدَّس، كي نأتي ونتغذّى من جسدك، وتُظهر لنا رغبتك الكبيرة في أن نقترب منك. فكيف لنا أن نفهم كلَّ مظاهر الحب التي أبديتها لنا ولا نشتعل حبًا بك؟

اخرجي أيتها العواطف الأرضية البائسة من قلبي لأنك تمنعيني من أن أحبّ يسوع كما يحبني هو. ويا أيها الفادي الحبيب أيّة عواطف يمكن أن تعطيني أكثر مما فعلتَهُ معي؟ فإنك من أجلِ محبتي بذلت حياتك كلها، وعانقت الموت بمرارة مع الإذلال، ومحوت ذاتك لكي تصبح غذاءً في القربان وتعطيني ذاتك بكلّيتها. فيا إلهي لا تسمح أبدًا بأن أعيش ناكرًا للجميل تجاه صلاحك. أشكرك على ما تعطيني من وقتٍ لأن أبكي الحزن الذي سبَّبْتُهُ لك، وأن احبّك طالما بقي لي من حياة. إني أتوب إليك أيها الملك الصالح لأني

إزدريت محبتك.

أحبك أيها الحبُّ اللامتناهي، الجدير بالمحبة اللامتناهية ساعدني يا يسوع كي أنزع من قلبي كل العواطف البعيدة عنك، ولا أرغب ولا أفتش ولا أحب إلاك.

فيا إلهي المحبوب إجعلني أجدك دائمًا. خذ إرادتي كلها كي لا تعمل إلا ما يرضيك. يا إلهي، من لي حبٌّ سواك يا أيها الصلاح اللامتناهي؟ لا أريدُ غيرك ولا شيء آخر.

يا مريمُ أمي خذي قلبي بين يديكِ واملئيه حبًا صافيًا ليسوع.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

التأمل السابع: إن المناولة المقدسة تعطينا قوة المثابرة في النعمة الإلهية

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

حين يأتي يسوع إلى النفس في المناولة المقدّسة، يحمِلُ لها معه كل الخيرات وكل النعم، بالأخص نعمة المثابرة المقدسة. وهذا هو المبدأ الفاعل الذي يخلقُهُ فينا السر المقدس على المذبح. هو يغذي الروح التي تتقبلهُ بواسطة هذا الجسد الإلهي ويعطيها قوّةً كي تسير نحو الكمال وتقاوم أعداءها الذين يعملون جاهدين على إماتتها. لذلك لقد سمى يسوع ذاتهُ بالخبز السماوي، في هذا السر المقدّس: "أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الْحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هذَا الْخُبْزِ يَحْيَا إِلَى الأَبَدِ. وَالْخُبْزُ الَّذِي أَنَا أُعْطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبْذِلُهُ مِنْ أَجْلِ حَيَاةِ الْعَالَمِ" (يو ٦/ ٥١) .

فكما إن الخبز المادي يقوّي الجسد، هكذا فإنَّ الخبز السماوي يقوّي حياة الروح إذ يجعلها ثابتةً في النعمة الإلهية. لقد علَّمنا المجمع التريدنتيني أنَّ المناولة هي الدواء الذي يحررنا من الخطيئة العرضية، ويحمينا من الخطيئة المميتة. لقد كتب إنوشانسيوس الثالث أن يسوع قد نجانا بآلامه

من الخطايا التي اقترفناها، وحفظنا بالإفخارستيا من التي قد نقترفها في حياتنا. وقال القديس بوناونتورا أيضاً أنَّ على الخاطئين أن لا يبتعدوا عن المناولة لأنهم في حال الخطيئة. إنما على العكس من ذلك عليهم الإقتراب دائمًا لأنهم خطئوا. فبقدر ما يشعر الإنسان بمرضهِ، بقدر ما هو بحاجة الى طبيب.

† عواطف وصلوات

ما أتعسني يا رب، ولماذا أنا مستاءٌ من ضعفي، وأنا أرى ذاتي أسقط ثم أسقط. كيف يمكنني أن أقاوم هجمات الجحيم بابتعادي عنك، وأنت مصدر قوَّتي فإن أنا اقتربت منك، بالمناولة المقدسة، ما كان استطاع أعدائي الإنتصار عليَّ.

في المستقبل لن يحدث هذا بعد، لأنّي "أستطيع كل شيء بالذي يقويني". لا يا رب لن أضع ثقتي بذاتي. إنّ رجائي هو فيك يا يسوع. أنت هو الذي يعطيني القوة كي لا أعود وأسقط في خطاياي القديمة. أنا ضعيف لكنك، بالمناولة المقدّسة، تجعلني قويًا ضد التجارب التي تهاجمني: "إني أستطيع كل شيء بالذي يقويني" (فيليبي ٤" ١٣). سامحني يا يسوع عن كل الإهانات التي سببتُها لك والتي أتوب عنها من كلِّ نفسي، واُفضِّل أن أموت على أن أقع فيها فيما بعد. وأرجو، باستحقاقات آلامك، أن تعطيني النعم الضرورية كي أعيش في هذه النعمة حتى الممات. بك أضع رجائي فلا أتزعزع.

يا مريم، يا أمي، إني أرفع إليك الصلاة التي رفعها القديس بونونتورا: بك أضع رجائي فلا أتزعزع.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

التأمل الثامن: في الإستعداد الواجب للمناولة المقدسة وفعل الشكران.

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

يسأل الكاردينال بونّا كيف يكون أنّ قليلاً من الناس يتقرّبون من اللّه في المناولة المقدسة؟ ويجيب: "المشكلة ليست في الغذاء، إنما في نقص الطواعية عند مُستقبليهِ". إنَّ النار تحرق الحطب الجاف بسرعة هائلة، لكنَّها لا تستطيع حرق الأخشاب الخضراء، لأن هذه لا تحوي خصائص وشروط الإشتعال.

فالقديسون قد استفادوا كثيرًا من المناولة المقدسة، لأنهم كانوا متيقظين ومطواعين في داخلهم. وهنالك شرطان أساسيان يساعدان النفس على أن تكون حاضرة للمناولة.

ألشرط الأول هو في الإنسلاخ عن المخلوقات، ويقوم على الإبتعاد الكلي عن كل ما هو خارج عن اللّه، أو كل ما لا يخّص اللّه. فكيف تكون النفس لو كانت تسكنها الأمور الأرضيّة، فإنه يَصعُب عليها أن تجد المحبة الإلهية. لقد سألتّ القديسة جرترود يوماً الرب عن أي استعداد يرغبه قبل المناولة المقدسة، فأجابها: "لا أطلب منك أمرًا آخر سوى أن تأتي لاستقبالي وانت فارغة من ذاتك".

أما الشرط الثاني المطلوب، لنيل الثمار الكبيرة من المناولة المقدسة، فهو الرغبة في استقبال يسوع المسيح، كي تحبه أكثر فأكثر. ويقول جرسون: "على هذه المائدة ليس سوى الجياع هم من يشبعون".

وقد كتب أيضًا القديس فرنسيس دو سال بأن النية الأساسية التي يجب على النفس حملها عند اقترابها من المناولة المقدسة هي التقدم في محبة اللّه: "علينا أن نستقبل بمحبة، ذاك الذي أعطانا ذاته بمحبة". لذلك قال الرب يسوع للقديسة ماتيلدا: "حين تقتربين من المناولة فليكن عندك المحبة كلها التي توجد في القلب المليء بالمحبة، وأنا أتقبل محبتك كما ترغبين أن تُعطى لكِ؟"

بعد المناولة يجب أن نقوم بفعل الشكران. ليس هناك صلوات أحبّ إلى اللّه من تلك التي تُرفع بعد المناولة المقدسة. فبعد اللحظات التي تلي هذه الفترة السعيدة، على النفس أن تتحاور مع يسوع بعواطف وصلوات. فالعواطف التقية، التي نقوم بها في هذا الوقت، تحمل استحقاقات أمام اللّه أكبر من تلك التي نرفعها في الأوقات الأُخرى، ذلك لأنها تاخذ قيمة كبيرة من جراء حضور المسيح يسوع الذي اتحد بنفوسنا.

أما بالنسبة للصلاة، فتقول القديسة تريزيا بان يسوع المسيح هو، في هذه الأثناء، الحاضر في النفس كما على عرش نعمته، يقول: "ماذا تريدينني أن أفعل لك؟". يا أيتها النفس المسيحية لقد جئتُ من السماء خصيصًا كي أُفيض عليكِ من نعمي. فاسأليني إذًا كل ما تريدين والكمية التي تريدينها وأنا أعطيك كل شيء. ما هذا الكنز من النعم، الذي يخسره في الأوقات الثمينة، أولئك الذين لا يصلّون إلا قليلا للرب يسوع المسيح الحاضر في قلوبهم؟

† عواطف وصلوات

يا إله الحب، بينما أنت تريد أن تغدق علينا نعمك، نتقاعس نحن في استقبالها. فكم سنندم في ساعة موتنا حين نتذكر لامبالاتنا المؤذية؟

يا إلهي أمِل طرفك عن ماضيَّ، ففي المستقبل وبمعونة نعمتك، سأجهدُ بان أستعدّ، بكلِّ عواطف قلبي، لأن أبتعد عن الأمور التي تمنعني من استقبال نعمك التي تهبها لي. فبعد المناولة المقدسة ساتحدث معك قدّر ما أستطيع كي أنال معونتك الضرورية التي تدفعني إلى التقُّدم في دربِ محبتك.

أعطني نعمة أخذ القرار. فيا يسوع لقد توانيتُ عن محبتك حتى الآن. والزمن الذي أعطيتنيهِ من الحياة برحمتك هو زمنٌ كي أستعدَّ للموت، وكي أعوِّض بمحبتي عن الإهانات التي فعلتها ضدك. سأعيش أوقاتي بأكملها من أجلِ محبتك، وسأندم باكيًا على خطاياي. اُحبك يا يسوع، يا حبي الأوحد وخيريّ الوحيد. فارحمني ولا تتخلى عني.

وأنتِ يا مريم يا رجائي انجديني باستمرار.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الكتاب ألثالث

زيارات القربان الأقدس
والقديسة مريم البتول
للقديس الفونس دو ليغوري

تاريخ بدء التساعية	النوايا
....	....
	....
	....
....	....
	....
	....
....	....
	....
	....

باسم الآب والإبن والروح القدس الاله الواحد

تقديم

إلى البريئة من الخطيئة الأصلية والدائمة بتوليتها مريم اُمّ اللّه.

يا ملكتي القديسة مريم، في الوقت الذي ترى هذه المجموعة المتواضعة النور، وقد دوّنتُها بحبٍ كبير لإبنِكِ الحبيب يسوع، لم أرَ أفضل من أن أقدِّمَها لك، يا أمي المحبوبة جداً، أنتِ يا مَنْ أحببتِ هذا الإبن حباً يفوقُ حنان الخليقة مجتمعةً. ولي رجاءٌ أن يكون هذا العمل المتواضع مشجِّعاً لنفوس كثيرة، على محبَّة يسوع المسيح. وأن يكون مقبولاً من قلبِكِ المُتّقِد شوقاً إلى رؤية ابنك محبوبًا بالمقدار الكبير الذي يستحقه.

لذا فإني اُقدِّم لكِ مجموعتي هذه على ما هي، فاقبليها واعضديها، لا طمعاً بثناء الناس، إنّما رغبةً لإستجابة الذين يقرأونَها بشوقٍ وإكرام، على دعوة الحب الكبير الذي رسمه مخلِّصُنا العطوف، بسرِّ آلامِهِ أولاً كما وبسرٍّ تأسيسِهِ القربان الأقدس ثانياً. هاءَنذا أضعُ مؤلَّفي هذا عند قدميكِ، متوسّلاً أن تقبليه وتقبليني أنا كاتبه المُتّكِل عليكِ منذ أمد بعيدٍ وإلى ما دامَت ليَ حياة. فلا رغبة عندي ولا هناء سوى أن اسمِّيك: "يا ملكةً محبوبةً للغاية".

ألفونس ماري دو ليغوري

رهبنة الفادي الأقدس

تقديم:

إن المثابرة على زيارة القربان والمناولة يغدقان على المؤمنِ خيرات روحية كبيرة. إذ أنَّ الإيمان يعلّمنا، ونحن على يقينٍ تام بأنّ المسيح يسوع حاضرٌ فعلاً في القربان الأقدس تحت شكل الخبز. فلندركنّ أنّهُ حاضرٌ فوق مذابحنا كما على عرشِ المحبةِ والرحمةِ، كي يفيضَ علينا نِعمَهُ، ويُظهِر المحبة الكبرى التي يكنّها لنا، ويسكن محتجبًا فيما بيننا، لا يغيبُ ليل نهار.

لقد خصَّصت الكنيسة عيداً للجسد المقدّس، على مدى ثمانية أيام متتالية، تقام خلالها زيَّاحات التكريم بالزينة اللائقة، مُرفقة بفتراتٍ للسجودِ في حضرة هذا السر الإلهيّ المَهيب. على أن يَرفعَ المصلّون واجب المحبَّةِ وعرفان الجميل والإكرام اللائقِ بحضورِ المسيح في سر القربان فوق مذبح الرب.

يا إلهي، كم احتمَلَ الفادي الحبيب، وما زال يحتملُ في كلِّ يوم على مذبح القربان، من إهاناتٍ واحتقاراتٍ من بعض الناس، لكنّه أبقى ذاتَهُ فَوق المذابح على الدوام لفيض محبَّتِه لهم. وقد أسرَّ بذلك إلى خادمة اللّه المحبوبة ماري ألاكوك، كما أعلمنا صاحب كتاب عبادة قلب يسوع. ففي يوم من الأيام، وبينما كانت غارقة في التأمُّل أمام القربان الأقدس، أظهر لها الربَ يسوع قلبَهُ المُلتهِب فوق عرشٍ من نار، يكلله الشوك فوق الصليب. ثم خاطبها قائلاً: "ها هوذا القلب الذي أحب الناس حباً لا حدَّ له، ولم يبخل عليهم بشيء، بل أفنى ذاتَهُ ليُظهِر محبته لهم. ولكن ما من أحدٍ بينهم حفظَ ليَ الجميل، بل بادلوني عدم الإحترام والجفاء والإزدراء والإهانات".

وأردف يسوع قائلاً: "إنَّ ما يؤلمني كثيراً هو جفاء القلوب التي كانت قد كرَّست ذواتها لي". ثمّ أبدى يسوع رغبته في أن يكرَّسَ يوم الجمعة، الذي يلي عيد القربان، يوما لإكرامِ قلبِهِ المحبوب، كي تُعوِّض نفوسُ محبّيه عن ما سببه بعضهم من إهاناتٍ للقربان على المذبح. ووعد بأن يُغدق نِعمه فيّاضةً على الذين يُكْرِمونَهُ.

هذا ما كان قد أعلنه الرب على لسان النبي: "نعيمي بين بني البشر" (أمثال ٨: ٣١). فليس باستطاعته الانفصال عنهم، على الرغم من هجرهم إياه والإهانات. هذا كلّه يُظهر لنا مقدار فرحه بالذين يزورونه باستمرار، ويقيمون بالقرب من مقرِّ إقامته، في الكنيسة، ضمن القربان الأقدس.

طلب يسوع من القديسة ماري مدلين دو بازي أن تزور القربان الأقدس ثلاثًا وثلاثين مرة في اليوم. ففي سيرة حياتها نجد أنّ هذه العروسة المحبوبة، قد تممت ذلك، طاعةً للرب، بتقرُّبها من المذبح. فلنسأل كل أولئك الذين يزورون القربان الأقدس ليخبرونا عن سرِّ النعيم السماوي والنِعَم النورانية التي أغدقها شعاع الأنوار هذا عليهم، في قيامهم خُشَّعاً أمام المسيح القائم فوق المذابح.

كان خادم الله الأب لويس لانازا مرسل صقليا الكبير، قد خَبِرَ محبة يسوع المسيح منذ فتوّته، فما كان بإمكانه الانسلاخ بعيداً عن هذا الحضور لِما تذوّق من عذوبتِه. فقد كان يُجهد النفسَ، كالطفلِ الرضيع، في الإنفصالِ عن صدر أمِّهِ، حين كان مرشِدُه الروحي يأمُره بذلك، وقد ألزمه عدم المكوث أكثر من ساعة واحدة في اليوم أمام القربان. ففضّلَ الطاعةَ المقدسة على العصيان، وكان يتألّمُ كثيراً عند انتهاء الوقت المحدد. كان يقفُ مُسمَّراً، مُحدقًا بالهيكل، يُحادِثُ يسوع منحنيًا بسجداتٍ متتالية، كمن لا يستطيعُ الإنسلاخَ عن رؤية سيِّدِه الحاضرِ بعذوبةٍ لا وصف لها.

كذلك مُنِع القديس لويس دو غونزاغا هو أيضاً من المكوث لمدَّةٍ طويلةٍ أمام القربان الأقدس، فكان يمرُّ أمام المذبحِ بانجذابٍ مُرهفٍ نحو الرب، طائعاً في الإبتعاد، مرددًا بشغفٍ كبير: "دعني يا ربِ، دعني أذهبً". والقديس فرنسيس كسافاروس، مُرسَل بلاد الهند، كان يرمي أثقال أتعابِ النهار عند مذبح القربان الأقدس. ويُمضي نهاره في خدمة خلاصِ النفوسِ، وليلَهُ في التأمُلِ أمام المسيح يسوع.

أما القديس فرنسيس رجيس فقد تمَّم الأمر ذاتَهُ، وإذا ما وجد الكنيسة مقفلة الأبواب، كان يعزّي نفسه بالسجود أمام بابها، يرافق الربَّ فاديهِ ولو من

بعيد، محتملاً الأمطار والجليد والطقس الرديء. وقد اعتاد القديس فرنسيس الأسيزي هو الأخير أن يَرمي بأثقال ما يزعجه عندَ أقدام يسوع القائم فوق المذبح.

كان الملك فنزسلاس يُخصص عبادةً خاصّةً للقربان الأقدس بخشوعٍ تام. وكان شديدَ المحبة ليسوع في القربان. كان يقطفُ بيديهِ حبات القمح وعنًاقيد العنب، ليصنع منها خبز القداس ونبيذه، ويزور في عشيّات الشتاء القارسة الكنائس التي يُعرضُ فيها القربان الأقدس. كانت زياراته هذه تُغدق على نفسه فيضاً من المحبة الإلهية، الى درجة أن جسَده كان يلتهبُ حرارةً فيلامس الثلج ويُذيبه نازعًا عنه البرودة. وتُخبرنا المذكرات أنَّ مرافقاً لَهُ كان يتبعهُ عن بعدٍ في الليالي، فأراد الملك القديس أن يحمي مرافقه هذا من الصقيع، الذي أصابَهُ في مسيره على الثلج، وطلب منهُ أن يسير تمامًا فوق آثار موطيء قدميه، فكان ذلك كافياً لأن يستشعرَ بالدِفءِ..

وهنالك أيضاً أمثلة كثيرة بمقدوركم التعرّف عليها من خلال شهادات حياةِ أناسٍ انجذبوا صوب الله وعاشوا خبرة العبادة هذه. وهل كان من الممكن أن يجدوا فرحًا وكنزًا أغلى وأحب من المسيح يسوع في سرِّ القربان؟

من المؤكد أنَّهُ بين كل العبادات التقوية ليس من فرح مقبول عند الله أعذب من عبادة يسوعٍ في القربان. فلا تخافي أيتها النفسُ العابدة أن تُقيمي هذه العبادة، متخليةً عن مجادلات الناس، ذاهبةً إلى درجة تقدمة الذاتِ ولو لبرهةٍ واحدةٍ في اليوم على مدى الحياة. يكفيكِ نصف ساعة، لا بل ربعها لزيارة الكنائس التي يُعرض فيها القربان الأقدس. "ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب" (مز ٣٤: ٩).

اختبرْ ذلك فتعاين أيَّة ثمار تجني. واعلمْ أن الوقت الذي تقضيهِ بالعبادةِ أمام أقدس الأسرار هذا، هو أثمن الأوقات التي تعيشها في حياتِكَ، دون أن أذكر التعزية التي تنالها والتي تساعدك عند ساعةِ الممات وفي الحياة الأبدية. واعلم أيضًا أنك تربحُ أضعافَ أضعاف، في حياتِك وطيلة نهارك، من جرّاء رُبع الساعة فقط، بحضرةِ القربان الأقدس. واعلم أنه في أحلك الظروف يستجيب

الربّ صلاتَك وهو الذي وعد قائلاً: "إسالوا تعطوا". والرسول يعلمنا أيضاً أن المسيح يُفيض نعمَهُ الغزيرة على الذين يزورونَهُ. وقد ردد الطوباوي اريك سوزانو بأن المسيح يسوع القائم على المذبح يستجيبُ صلواتنا من هناك أكثر من أي موضع آخر. في الواقع إنها صلوات القربان الأقدس. ومَن يعلم، قد تكون أنت أثناء حضورك أمامه أحد الذين يكرِّسون ذواتهم كاملةً للّه.

عرفانًا بجميل اللّه عليَّ، أريد أن أكشف لكم حقيقةً، وهي أنّه بفعل المثابرة على زيارة القربان الأقدس، على الرغم من ضعفي، قد استطعتُ التخلّي عن عالمي الهزيل، حيث عشتُ تعاسةَ السنين الست والعشرين الأولى من عمري. فطوبى لمن يستطيعُ أن يتخلى عن مغريات العالم في عمرٍ أصغر من ذلك، وأن يُعطي ذاتهُ بكليتها لمن أعطى ذاته كلها لنا. أكرر، أنَّ الطوبى هذه لا تُعطى في العالم الآتي فقط إنما في العالم الحاضر أيضًا. فجنون المآدب والمظاهر البرّاقة والمجادلات هي من مغريات عالم الأرض، تكتنفها المرارة ووخز الضمير.

عليك أن تصدِّق أن من عاش ذلك تألّم آسفًا. وكن على يقينٍ مِن أن النفس المُصلّية، بالإتحاد الكليّ بيسوع في القربان، تَجِدُ تعزيةً كبيرةً لا يمكن أن تجدها في احتفالات العالم كلّه. نعم! ما أعذب تلك اللحظات التي تمُرّ فيها اقدامُنا أمام المذبح، بالخشوع والإيمانِ والعبادةِ الراسخة، فحين نتحادث بدالة بنويّة مع يسوع المسيح الحاضر هنا، يُصغي ويستجيب، ويمنح الغفران عن الإساءات التي وُجِّهتْ إليه. ساعتئذٍ يمكننا أن نعرض عليه احتياجاتنا كما من صديق إلى صديق. نستمد منه النِعَمَ الوافرة والمحبة والملكوت الحقيقية بالقيام بأعمال المحبة، متوجهين الى اللّه الحاضرِ على المذبح حيث نراهُ متقدًا بمحبَّتنا، فيسأل الآب الأزلي من أجلنا.

هذا هو الحبُّ الفاعل الذي يسكن بيننا، مرتضيًا أن يبقى محجوبًا في سر القربان الأقدس، على الرغم من إزدراء عديمي المعروف. فليس من كلامٍ أصدق من قول الكتاب: "ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب" (مز ٣٤: ٩).

زيارة القديسة مريم البتول

لدينا قناعةٌ راسخة، في شأن زيارتنا للعذراء القديسة، المتطابقة مع ما تكلم عنه القديس برناردوس حين قال: "إن الله لا يرغبُ في أن نحصل على أمرٍ ما إذا لم نحصل عليه بواسطة مريم". وبحسب الأب سوراريز، وهو رأي الكنيسة الجامعة أيضاً، فإنك إن أردت نيل النِعم السماوية فشفاعة مريم ليست مفيدة وحسب بل هي ضرورية أيضاً: "تخصص الكنيسةُ البتولَ مريم بالشفاعة كأساسٍ أوّلي". وبرهانًا على ذلك، يكفينا أن نلاحظ أن الكنيسة تطبِّق على مريم مًا جاء في الكتاب المقدَّس على لسان ابن سيراخ: "أنا أمّ المحبة البهية والمخافة والعلم والرجاء الطاهر. فيَّ كلُّ نِعمَةِ الطريق والحق وكلُّ رجاءِ الحياة والفضيلة. "تعالوا إليّ أيها الراغبون فيَّ واشبعوا من ثماري" (سيراخ ٢٤: ٢٤-٢٦). تعالوا إليّ، "وطوبى للذي يسمعُ كلامي ويسهرُ كلَّ يوم على أبوابي" (أمثال٨: ٣٤). فالطوبى إذاً للذي يُسرعُ آتيًا إليَّ في كلِّ يومٍ طالباً شفاعتي القديرة. وحين يجدُني يجدُ الحياة والخلاص الأبدي.

إنّ الكنيسة المقدّسة تدعونا إلى اعتبار العذراء مريم رجاءنا المشترك. ويذهب القديس برناردوس أبعد من ذلك مسمِّياً إياها "برهان رجائنا الكامل". فلنطلب النِعم، فلنطلبها بواسطة مريم، وإنْ نحن سعينا وراءها من دون شفاعة مريم "كمن أراد التحليق بلا جناحين" كما يقول القديس أنطونيوس.

إن استطعتَ قراءة كتاب: "العواطف المتبادلة" للأب أموريام، فإنَّ أكثر النِعم التي أفاضتها أم الله على الذين يقيمون الصلوات بانتظام، قد نالوها في أثناء زيارتهم لكنائسها وأيقوناتها. ولنا المثال بكلٍ من الطوباوي ألبير الكبير والأب روبير بوارز اللذيَن نالا موهبة العلم الراجح. أما الأخ جان بركمان، من الرهبنة اليسوعية، فقد نال النعم من جراء زياراته اليومية للعذراء في كنيسة المدرسة الرومانية. وكان يُجَدِّدُ وعده بالتخلي عن كل العواطف العالمية كي يتكرّس لمحبّة الله وحده وللعذراء الكلّية القداسة من بعده. وقد كتب هذه العبارة تحت الأيقونة: "أنا لا أجدُ الراحة لقلبي إن لم أرفع الحبَّ اللائق تجاه أمي".

وأخيرًا فإن المواهب التي نالها القديس برناردوس السياني، الذي كان منذ صغر سِنِهِ يزور يومياً الكنيسة الصغيرة قرب باب المدينة مردداً بأن مريم قد أذهلت قلبَهُ. فكان يدعوها معلمتَهُ المحبوبة التي لا يستطيع منع ذاتِهِ من زيارتها. وبهذه الوسيلة نال نعمةَ الإنتقال من هذا العالم ليُصبح قديسًا كبيرًا ورسول إيطاليا.

إلتزم، يا أخي المؤمن، بأن تتعلق أكثر فاكثر بزيارةِ مريم بعد زيارتك القربان الأقدس، إنّ في الكنيسةِ أم في أي مكانٍ تجِدُ أيقونتها. فإن أنت ثابرتَ على هذه العبادة بمحبة وثقة، فستنالُ نِعماً غزيرة. لأنها ترغب في توزيع المواهب العظيمة. فيا مريم الحنون يا رجائي ليس باستطاعة أحدٍ أن ينساكِ. فيا ملكة السماوات تحننى عليَّ.

التناول الروحي:

كما في كلِّ زيارةٍ للقربان الأقدس، سنتكلَّم عن المناولة الروحية، ومن الضروري أن أشرح لكم ما تعنيه هذه الكلمة، وما الفوائد الوافرة التي تجنيها. إن المناولة الروحية بحسب القديس توما اللاهوتي، ترتكزُ على الرغبة الجامحة في تحقيق المناولة الفعلية، ضمن مشاعر المحبة، كما ولو أننا تناولنا فعلاً. فإن الله يرتضي هذه المناولات الروحية مُغدقاً نِعَمَهُ. وقد أعلن هو نفسُهُ ذلك لخادمته الأمينة الأخت باولا مارشيسكا، مؤسسة دير القديسة كاترينا السيانية في نابولي، فنقرأ في قصة حياتها بأن الله أظهر لها إناءَين ثمينَين، أوّلهما من ذهب والثاني من فضة وقال لها: "إنني أحفظ في إناء الذهب المناولات الفعليّة، وفي إناء الفضّة المناولات الروحية".

كانت الطوباوية حنة للصليب قد سمعت الربَّ يقول لها بأنها كلّما تناولت مناولة روحية تنالُ النعمة عينَها التي تجنيها من المناولة الفعليّة. ويكفي أن نعرف بأن المجمع التريدنتيني يمتدحُ المناولات الروحية ويلحُّ على المؤمنين أن يواظبوا عليها.

كان الفرح ينتاب النفوس المتعبدة بفضلِ تكرار المناولة الروحية. وكانت

الطوباوية أغاتا للصليب تتناول نحو مئتي مرة في اليوم. وكان الأب بيار فابر، الذي عاصر القديس اغناطيوس دو لويولا، يردد بأنك إن أردت تناول القربان الأقدس بنوعٍ جيد عليك أن تواظب على المناولة الروحية.

نشجع الذين يسعَون إلى التعمّق بمحبَّة يسوع، أن يعيشوا المناولة الروحية مرةً واحدةً على الأقل حين يزورون القربان الأقدس. ويتناولون مرةً عند بدء القداس، ومرةً خلاله، ومرةً عند انتهائه. هذا إلتزامٌ عملي تَقويّ مفيدٌ أكثر من أي أمرٍ آخر، وباستطاعتنا عيشَهُ بسهولة. إن الطوباوية حنة للصليب، التي سبق ذكرُها، كانت تردد بأنّنا نستطيع أن نتناول روحيًا دون أن يشعر بنا أحد، كما أننا لسنا بحاجة إلى أن نكون صائمين أو بحاجة إلى إذن مرشدنا الروحي. يمكننا أن نفعل ذلك ساعة نريد.

فعل المناولة الروحية:

أنا أؤمن يا يسوع بأنك موجود في سر القربان الأقدس. وإني أحبك فوق كل شيء، وأريدك من كلِّ كياني. وبما أنني لا أستطيع تناولك الآن في سر القربان، فانزل بالروح الى قلبي. إني أغمرك وأتحد بكليتي بك، فلا تسمح أبداً بأن أنفصل عنكَ.

فعل مناولةٍ روحية أقصر:

أنا أؤمن يا يسوع أنَّك في القربان الأقدس، أحبك واريدك، فهلمّ إلى قلبي، إني أغمرك فلا تنفصل عني: "أسألك أيها الرب يسوع المسيح ان تملأ عقلي من قوةِ حُبِك ومن وهج نارك المضطرمة لأموتَ في سبيل محبتك لأنك سبق ومُتّ في سبيل محبتي" (فرنسيس الأسيزي). "يا محبةً غير محبوبة يا محبةً غير معروفة". (القديسة ماري مدلين دو بازي) "يا عريسي متى ستأخذني إليك" (القديس بطرس دالكنتارا)

يا يسوع، يا خيري الأوحد، يا حبيَ العذب، إجرح قلبي واغمره، أضرمه واجعله دائم الأشتعال حباً بك. فلتُعط محبةُ يسوع نفسَنا حياةً. ولتُنعِش مريم فينا الرجاء. آمين

صلاة قبل زيارة القربان الأقدس:

ربي يسوع، يا من بمحبتك للبشر، أردت السكن في القربان الأقدس ليلاً ونهارًا، يا مَن يغمرُك الحبُّ والحنان، إنك تدعو وتنتظرُ كلّ الذين يرغبون في زيارتِك، وتستقبلهم. أنا أؤمن أيماناً راسخاً بوجودك في سر القربان على المذبح، وأعبدك من عمق أعماقِ ذُلِّي وعدمي، شاكرًا لك خيراتك التي منحتني إياها، خصوصاً من أجلِ اقنومك الذي أسلمتني أياه في سرِّ القربان. أشكرك أيضاً من أجلِ أمِك القديسة مريم البتول، وقد وهبتني إياها شفيعةً. أشكرك لأنك دعوتني الى زيارتك في هذه الكنيسة.

فالسلام ثلاث مرّات على قلبك الفيّاض محبة: الأول لأشكرك، والثاني لأعوّض عن الإهانات التي لحقت بك من اعداء القربان، والثالث لأقدّم لك السجود الواجب وكأنني في زيارةٍ لجميع المواضع التي أهملك الناس فيها وتركوك وحيداً.

فيا يسوع إني احبُّك من كلِّ قلبي، وأتوبُ أمام صلاحك اللامتناهي، نادمًا لأني أغظتك، وأقصدُ بنعمتِك أن لا اغيظك فيما بعد. هاءَنذا البائس المسكين، أكرِّس لك ذاتي الآن بكليتها وأسلمك إرادتي وعواطفي ورغباتي وكل ما بي، فافعل بي ما تشاء. ليس لي طلب آخر سوى رحمتك القدّوسة لأستطيع المثابرة حتى النهاية واُتمِّم مشيئتك كاملةً. إني أكِلُ إليكَ الأنفس المطهرية، بخاصةٍ تلك التي واظبت على التعبُّد لجسدك الأقدس، وقدّمتَ واجب الإكرام للبتول مريم الكليَّة القداسة. وأكِل أيضاً الخطأة المساكين، فتطلَّع إليهم برحمتكَ وغفرانك.

يا مُخلصي الغالي، إنّي اُقدِّم لك عواطفي كلَّها متحدةً بعواطف قلبك

المحبوب، رافعًا إياها إلى أبيك الأزلي، متوسلاً أن يقبلها، مستجيبًا إكراماً لاسمك ومحبّتك.

الزيارة الأولى:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

إنَّ يسوعَ حاضرٌ في سر القربان: "هذا هو يَنبوع كلِّ صلاح". وقد قال: "من كان عطشانًا فليأتِ إليَّ" (يو ١٤:٤). نعم! كم غزيرةٌ هي مياه النِعم، تتدفّق من ينبوع سر القربان الأقدس وقد استقى القديسون منها. فيسوعُ نفسُهُ قد أفاضها علينا بسرِّ آلامه، والنبي قال: "تستقون المياه بفرحٍ من ينابيع الخلاص". (أش ١٢ : ٣).

دخلت أميرة دو فيريا، وهي تلميذة الأب "أفيلا" المكرم، رهبنة القديسة كلارا، وكانت الراهبات يلقِّبنَها بعروسة القربان الأقدس. فسألنها مرَّةً عن سبب الزيارات الطويلة تلك، وعمّا يُمكنها التكلم به في حضرة هذا السرّ؟ أجابت: "سأبقى مَعهُ مدى الأبدية، أليس اللّه موجودًا بجوهره هناك، وهو غذاء الطوباويين كلهم؟".

يا إلهي العظيم ما الذي يمكننا عمله، أو بالأحرى ما الذي لا نعمله أمام هذا السرّ؟ أنُحبّ، أنُسبِّح، أنؤدي الشكر، أنسأل حاجةً؟ وماذا يمكن أن يعمل فقيرٌ أمام غني أو مريضٌ أمام طبيب، أو عطشانٌ أمام يَنبوعٍ عذب، أو جائعٍ أمام مائدةِ الطيبات؟

فيا يسوع العذب المحبوبُ والمُحب، أنت الحياة والرجاء والكنز الثمين، يا حُبَّ نفسيَ الأوحد، كم دفعتَ غالياً من أجل المكوث معنا في القربان؟ أكان عليك أن تموتَ كي نأتي لنراك فوق المذابح؟ كم آلمتك الإهانات جرّاء حضورك في هذا السر؟ تحبنا يا ربّ على قدر ما تريدنا أن نُحبَّك.

تعال يا رب تعال وامكث في نفسي. أقفل بابها إلى الأبد، فلا تستطيع خليقةٌ أخرى أن تدخُل وتجدَ مكانًا لها داخل هذا الحبِّ المُعدِّ لك، لأني لا أريد أن

أشارك به أحداً سواك. فيا فاديَّ الحبيب إمتلكني بكليتي. وإن كنتُ خالفتُ طاعتك مرَّةً من المرات، فأنبني كي أتمِّمَ إرادتك وأخدُمَك على القدر الذي يليق بك.

لا تسمح يا رب بأن تتمَلكني رغبةٌ سوى أن ارضيك واتابع زيارتك في هيكلك، أحادثك وأستقبلك في سر المناولة المقدسة. ففيما الآخرون يبحثون عن خيراتٍ زمنية، أنا لا أريد إلاّ أن أربح كنزَ محبتك عند مذبحك. اجعلني يا ربُّ أنسى ذاتي ولا أتذكرّ إلاّ صلاحك.

وأنتم يا أيها السيرافيم الطوباويون، إني لا أحسدكم على مجدكم، لكن باسم الحُبِّ الذي تكنّونَهُ لإلهكم، الذي هو إلهي أيضاً، علّموني ماذا أعمل كي أستزيد حباً له وأحظى برضاه.

†: يا يسوعُ إلهي، لا أريد أن أحبَّ سواك، ولا أرضي أحداً إلاّك.

(بعد كلِّ صلاة نتناول المناولة الروحية وننطلق لزيارة الأم القديسة مريم البتول بالتأمل أمام إحدى أيقوناتها المقدسة).

زيارة القديسة مريم البتول:

إن مريم القديسة هي ينبوعنا الثاني الغني بالخيرات والنِعم. فما من إنسان على الأرض إلاّ وبإمكانه أن ينهَل بوفرةٍ من هذا اليَنبوع، على ما ذكر القديس برنردوس. فقد أكد لنا ملاكٌ من عند الرب أنَّ مريم هي "الممتلئة نعمَةً". إلاّ أنّها لم تمتلكها لذاتها فقط "بل نالتّ تلك النِعم لكي تَهبَ العالم فداءً أبديًا"، هذا ما قاله القديس بطرس كريزولُغُس.

†: "يا سبب سرورنا صلي لأجلنا".

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة الثانية:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

قال رجل التقوى نيرمبرغ: "إن خبزَ الطعام يذوبُ متحللاً إن أكلناهُ، لكنه يبقى سليماً إن أودعناه المخزن". هكذا أراد يَسوع البقاء في عالمنا تحت شكلِ

الخبز رغبةً منه في الإتحاد بأنفسِ محبيهِ. هو يذوبُ عندما نتناوله، ويبقى سليماً إن وضعناه في شعاع القربان أمامنا، ليذكِّرنا بحبه الكبير: "لقد أخلى ذاتَهُ آخذًا صورةَ عبدٍ" (فيليبي ٢: ٧). فماذا نقول نحن إن رأيناه آخذاً صورةَ خبزٍ؟ لقد قال القديس بطرس ألكنتارا: "ليس باستطاعة اللسانِ البشري أن يشرح عِظَمَ محبة المسيح للذين يَعيشون في حالةِ النعمة". فعلى تدفاق هذا الحبِّ، الذي أنعم به علينا عريسُ أنفسِنا المحبوب بعد صعوده، لم يشأ أن ننساه، فترك ذاته في القربان الأقدس، مريدًا بذلك أن لا يفصل أحدٌ بينه وبيننا.

فيا يسوع، وبما أنك سجنتَ ذاتك في شعاعِ القربان كي تصغي إلى توسلات مآسينا، نرجوك أن استجب تضرعاتنا. لا تغفل اليوم عن توسلاتي أنا الأكثر نكراناً لك بين الخاطئين. أعودُ تائبًا عند قدميك، لأني أدركتُ مدى الشر الذي سببتُه بإبتعادي عنك. فأسألك يا إلهي أن تغفر معاصِيّ.

نعم يا رب، لماذا سببتُ لك هذه الإهانات؟ فلقد أريتني كل ما هو مُحَبَّبٌ فيك، وهاءنذا في غاية الشوق لأن أحبَّك وأخدمَك. فهل بأستطاعتي أن أفعل ذلك من دونِ معونتك؟ اجعلني يا رب، أنا البائس التائه عن دربك، أن أحفظَ لك حباً كبيراً، وأصيرَ أولَ الطائعين لإرادتك بين مخلوقاتِك كلِّها.

عندما أرى صنيعَك من أجلي، تفرحُ السماء بجبروتِك وصلاحِك اللامتناهي. فارفعْ بمشيئتك كل نقص فيَّ، حتى تنتصر محبتي لك على الإهانات. إني أحبُّك يا يسوع فوق كلِّ شيء، احبك أكثر من حبي لحياتي عينِها. فإنّك أنت إلهي وحبي، أنت كلي.

†: الربُّ هو كلُّ ما لديَّ.

(المناولة الروحية)

زيارة القديسة مريم البتول

"فلنُقبِل الى عرشِ النعمة بثقةٍ لننال الرحمةَ الآتية في آوانها" (عب ٤/١٦).

"هي مريم عرشُ النعمة التي بواسطتها يوزِّعُ الله نِعَمهُ كلَّها"، هذا ما قاله

القديس أنطونيوس. فيا أيتها الملكة المحبوبة للغاية، إنكِ تسعَينَ إلى ارتدادِ الخطأة ومساعدتِهم بكلِّ قدرتِكِ. فها أنا أكبر الخاطئين، الممتلئ معاصيَ، ألتجيء إليكِ، فلا ترفضي طلب إستغاثتي، بل أعينيني الآن.

†: "يا ملجأ الخطأة الأوحد تحنني عليَّ". (القديس أغسطينوس)

الزيارة الثالثة:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

"نعيمي أن أكون بين بني البشر" (أمثال ٨/ ٣١).

لم يكتف مسيحنا بأن يموت على أرضنا ليخلِّصَنا، إنما أراد بعد موتِهِ أن يسكُنَ بالقرب منّا، في هذا السر الأقدس. وقد أوضح لنا بأن نعيمَهُ في أن يسكن بين بني البشر. هذا وقد كتبتْ القديسة تريزيا: "يا أيها المائتون كيف باستطاعتكم الإساءة الى الله الذي يستعذب المكوثَ في ما بينكم". فإن كان يسوع وجد عذوبَةً في الإقامة عندنا، فكيف يمكننا أن لا نستعذبَ القيامَ عنده؟ فالإنسان يتهلّلُ بالشرف العظيم إن دعاه أميرٌ للسكن في قصره، فماذا نقول عن هذا القصر الذي يُسكِنُنا فيه يسوع معه؟ فلنرفع لهُ الشكران، ولنتنعم بالقرب منه.

هاءَنذا أيّها السيِّدُ إلهي، قائمٌ أمامَ هذا المذبح، حيث تقيمُ ليلاً ونهارًا حبًا بي. أنت يا نبعَ الخيرات، ويا بلسمَ الأمراض، يا كنزاً مُغنيَ الفقراء، هاءَنذا أتعسُ الخاطئين، وأكثرُ المعلولين مرضًا، جئتُك طالباً النعمةَ والرحمَة فارأف بي. يا لَذُهلي وأنا أراك منحدراً من السماءِ ساكناً المذبحَ كي تحميني، إني أبارك اسمك وأشكرك وأحبك. وإذا كان قد آلمكَ طلبي هذا، فلا ترفضه، لأني لن اُهينك فيما بعد. هبني النورَ والقوةَ كي أحبَّك وأجعَلَ عواطفي كلّها مُلكاً لك. هبني القدرة على طلبِ ذلك بصدقٍ لا في هذه الحياة وحسب بل في الأبدية أيضًا.

يا مريم كوني شفيعتي، ويا ملائكة السماء ساعدوني كي أحب الله الجدير بكل محبّة.

†: يا أيها الراعيِ الصالح والخبز الحق، يا يسوع الرحوم، ترأف بجماعتنا وارعَنا وأشبعنا وأملِ بنظرك نحونا، وأعطنا أن نتمتع بمشاهدة الخيرات في أرض الاحياء.

(التناول الروحي)

زيارة القديسة مريم البتول

"إن رباطاتها هي رباطات الخلاص" (بن سيراخ٦: ٣١). قال بالبارتوس العابد: "إنَّ إكرام مريم هو رباطٌ يوصل إلى ما هو مرجو"، فلنتوسلنَّ الى سيدتنا البتول بأن تقودنا برباطات المحبّة مجتذبة إيانا بالثقة تحت كنف حمايتها.

†: يا شفوقة يا رؤوفة يا مريم البتول الحلوة اللذيذة.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة الرابعة

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

"التصرُّف بحكمةٍ ليس فيهِ مرارةً ولا ضجر" (حكمة٨: ١٦).

يجد الأصدقاء فيٍ هذه الدنيا ابتهاجاً عظيماً في التحادث فيما بينَهم، حتى ولو أضاعوا ساعات طويلة. والذي لا يحب يسوع المسيح، ينتابه الضجر من حضوره. أما القديسون فيجدون نعيمهم أمام القربان الأقدس. لقد ألمحتِ القديسة تريزيا بعد موتها إلى إحدى الراهبات قائلةً: "على سكّان السماءِ وقاطني الأرض التساوي في الطهارة والحب، نحن هنا بالفرح وأنتم هناك بالجهاد. فكل ما نفعله نحن في السماء، قدَّام العزّة الالهية، عليكم أنتم عمله على الأرض أمام القربان الأقدس". ففردوسنا، على الأرض إذاً، هو القربان الأقدس.

أيها الحمل الطاهر المذبوحُ لأجلنا على الصليبّ، اذكرني على أنّني نفسٌ من تلك النفوس التي افتديتها بآلامك وموتِك. كن مُلكاً لي، فأنا لا اُريد أن أخسَرك

أبداً لأنك أعطيتَ ذاتك، وما زلتَ تعطيها في الذبيحة الإلهية على المذبح. اجعلني لك بكُلِّيَّتي واستخدمني على هواك. إني أسلّمُ لك إرادتي، فأوثقها بروابط محبتك اللطيفة، لتكون خادمةً لإرادتك إلى الأبد. لا أريدُ العيش لأُشبِع رغائبي، بل لأستجيب لجودتك فقط. دمّر فيّ ما يُزعجُكَ، أنعم عليّ بألاّ أرضى إلاّ بما يرضيك، وألاّ أرغب إلاّ بما ترغب. أحبك يا فاديَّ الحبيب بكل قوتي ومن كل قلبي. أحبك لأنكَ تريد أن تكون محبوباً مني. أحبّك لأنّك وحدك الجديرُ بالحب. لكنّي أخاف أن أعجزَ عن محبَّتِك على قدر ما تستحق. أريد أن أموتَ في حبِّك، فاقبلْ منّي أمنيتي هذه يا رب، وامنحني رعايتك، آمين

†: يا رضى إلهي الصالح، إني أُكرِّس لك ذاتي بكلّيتها.

المناولة الروحية

زيارة القديسة مريم البتول:

"أنا أم المحبة المثالية"، تقول مريم، وهذا يعني أنها أمُّ الحبِّ الذي يُجمّل النفوس. فالقديسة ماري مادلين دو بازي رأت العذراء الفائق قدسها وهي توزِّع شراباً طيِّباً، إنه الحب الإلهي. فمريم وحدها تمنح هذا الشراب الغالي الثمن، فلنطلبه منها.

†: يا أمي، ويا رجائي، امنحيني أن أكون بكلِّيتي مُلكاً ليسوع.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة الخامسة:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

" العصفور وجد له مأوى، واليمامة عُشّاً تضع فيه فراخها، مَن لي بمذابحك يا رب الجنود، ملكي وإلهي". (مز ٨٤: ٤)

هذا ما قاله داود الملك، أمَّا أنتَ يا ملكي وإلهي، فقد اخترتَ المذبح سكنىً لك، كي نلتقيَك بلا انقطاع، وتكون بذاتك معنا. فيا رب، إنك تحب الناس حباً

عظيماً، ولا تدري ما الذي تفعله بعدُ كي يحبوك. فيا يسوع المحبّ بلا حدود، أضرم فينا نار حبِّك، فلا يكونَ حباً بارداً تجاه إله يحبنا بهذا القدر من الحنان. اجذبنا إليك بروابط الحب اللطيف، وعرّفنا عِظَمَ جودتك التي جعلتْك محبوباً للغاية.

يا أيها الجبروتُ والطيبة معاً بلا حدود، لقد اجترحت العظائم كي يحبك الناس، فكيف يَعقل ألاّ يحبك إلاّ القليل منهم؟ فلا أريد أن أكونَ بين عداد ناكري الجميل. لقد قررتُ أن أحبك من كل قوَّتي، ولا يكونَ لي حُبٌّ سواك، فأنت تستحقُ ذلك وتريدُني أن أعملَ مرضاتَك.

عسايَ، يا إله نفسي، أن أرضيك بالكامل. لذا أتوسَّلُ إليك باستحقاقات آلامِك أن تمنح الخيرات الدنيوية للذين يطلبونها، أما أنا فامنحني كنز محبتِك، فهذا مطلبي الوحيد. أُحبك يا يسوع، أيها الصلاح اللامتناهي، أنت غنايَ كلُّه ورضاي ومحبتي.

†: يا يسوع، أعطيتني ذاتك كلّها، فها أنا أعطيك ذاتي بجملتها.

المناولة الروحية

زيارة القديسة مريم البتول:

كان القديس برناردوس يهتف إليكِ قائلاً: "يا ملكتي، إنك تبهرين القلوب بجمالك وصلاحك". فأتوسل إليك أن تبهري قلبي وإرادتي أيضاً وتقدميهما إلى الله بالاتحاد مع قلبِك وإرادتِك.

†: يا أماً حبيبة صلي لأجلي.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

ألزيارة السادسة:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

"حيث يكون كنزكم فهناك يكون قلبكم" (لو ١٢: ٣٤). هذا ما قاله الرب يسوع المسيح. فالقديسون الذين لم يجدوا كنزاً أعظم من يسوع المسيح ولم يحبّوا سواه، وضعوا قلوبَهم ومحبَّتهم في سر القربان الأقدس على المذبح. فيا

يسوع الحبيب الذي سجن ذاته ليلاً ونهاراً في شعاع القربان من أجل محبتنا جميعاً، إجذب قلبي إليك بكلِّيته حتى لا يفكر إلاّ فيك، ولا يرجو سواك، ولا يبحث إلاّ عنك ولا يحب إلاّك، حقِّقْ ذلك باستحقاقات، إسمك القدّوس، فأنا أطلبُ ذلك منك وحدك.

يا مخلصي وحُبِّيَ الإلهي، كم هي عظيمةٌ إبداعات محبتك الرحيمة، فهي تساعد النفوس على حبِّك. يا أيها الكلمة الأزلي الذي صار إنساناً، لأنك لم تكتفِ بالموت من أجلنا، بل أعطيتنا هذا السرّ غذاءً ورفيقاً وعربوناً للنعيم. لقد واضعت نفسك لتَظهر بيننا كطفلٍ في مذودٍ، وكفقيرٍ في محترف نجار، وكمحكوم عليه فوق خشبة الموت، وتحت شكل الخبز على المذبح، فهل يمكنك أن تفعلَ أكثر من ذلك كي تدفعنا إلى محبتك؟

أيها الحب اللامتناهي، متى أستجيب لوفرة حبك؟

لا أريد يا رب أن أعيش إلاّ لأجل محبتِّك، فما نفع حياتي إن لم أضعها بكلِّيتها في خدمة حبِّك ورضاك؟ أنت هو فاديَّ الحبيب وقد وهبتَ حياتك لأجلي، فلا يمكن أن أحبّ سواك. إنّك الجمال والشهامة والصلاح والطيبة والحبُّ بحدّ ذاتك، فلتحيَ نفسي من أجل محبتك، ولتذب بهذا الحب، ولتتذكر دائماً حبك لها. فباسم المذود والصليب والقربان ليضطرم فيَّ شوقُ القيام بالأعمال السامية من أجل مرضاتك، يا مَن صنعتَ العظائم من أجلي وعانيت الآلام.

†: هبني يا رب قبل مماتي أن أقوم بأي عملٍ من أجلك.

المناولة الروحية

زيارة القديسة مريم البتول:

"كالزيتونة الحلوة في الحقول". ها قد أعلنت مريم: "أنا شجرة الزيتون الجميلة منها ينضح زيت المراحم بلا انقطاع، أنا في الحقول كي يراني الجميع فيلتجئوا إليّ". ولنقل كلنا مع القديس أغسطينوس: "أيتها الملكة الفائقة الرأفة، لم يُسمَع قط أنَّ إلتجأ أحدٌ إلى معونتك وعاد خائباً". فأنا لا أريد أن أكون ذلك الشقي الذي تتخلَّين عنه عند التجائي إلى شفاعتك.

†: إمنحيني، يا مريم، نعمة اللجوء إليك في احتياجاتي كلها.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

ألزيارة السابعة:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

"هاءَنذا معكم طوال الأيام، حتى انقضاء الدهر" (مت ٢٨ : ٢٠).

لم يشأ راعينا المحبوب، الذي منح خرافه حياته، أن ينفصل عنّا بموته، فقال: "هاءَنذا يا نعاجي الحبيبة، سأبقى معك إلى الأبد، سأبقى على الأرض في هذا السر الأقدس. ستجدينني على استعدادٍ دائمٍ لمساعدتك وتعزيتك بحضوري، وطالما أنتِ على الأرض فلن أتركك."

يقول القديس بيار دو ألكانتارا: "ها إنّ العريس أراد أن يترك، لعروسه البعيدة، شيئاً منه لئلاّ تبقى وحيدةً، فترك لها ذاته في هذا السر الأقدس. تلك هي أغلى رفقةٍ يمكن أن يُعطيها".

يا رب، يا أيها المخلِّص الفائق المحبة، أزورك اليوم على هذا المذبح، لكنك أنت تزورني بحبّ أكبر حين تسكن نفسي بالمناولة المقدسة. ما اكتفيتَ بأن تتركني أشاهدك فقط، بل صرتَ غذائي، تُعطيني ذاتك وتتَّحِد بي، حتى استطعتُ أن أقول بحق، يا يسوع، أنت لي بكلّيتك. فمن الواجب أن أمنحك، أنا أيضاً، نفسي كاملةً.

أنا كحشرة الأرض الصغيرة، وأنت الله، يا إله حبِّي، يا حبّ روحي! متى أجد نفسي فعلاً بكلِّيتها لك لا قولاً فقط؟ نعم، يمكنك أن تحقق لي ذلك، فزدني ثقةً باستحقاقات دمك، كي أنال منك هذه النعمة، وأشعر قبل مماتي بأنّني كلّي لك ولم أعد مُلكاً لنفسي؟ أنت تقبل يا رب كل الصلوات، فاقبل اليوم ابتهالات نفسٍ تريد أن تحبك حباً حقيقياً وبكل قوتها، وترغب في طاعتك بكلِّ ما تريده من دون مقابل أو عزاء أو مكافأة، بل أريد أن أخدمك حباً بك، وأرضي قلبَك الذي

يحبني بشغف كبير. لأنال بحبك أجراً كافياً.

يا ابن الآب السرمدي الوحيد، خذ حريتي وإرادتي وكل ما أملك وخذ ذاتي. أعطني أن أملكك، فأنا أحبك وأفتّش عنك وأتوق إليك وأريدك!

†: يا يسوع هبني أن أكون مُلْكاً لك بكليّتي.

المناولة الروحية

زيارة القديسة مريم البتول:

يا سيدتنا المحبوبة، إنَّ الكنيسة تسميكِ: "رجاءَنا"، إذًا أنتِ رجاء البشر أجمعين، فكوني رجائي أنا أيضاً. وكان القديس برناردوس يهتف نحوكِ قائلاً: "أنتِ رجائي الأكيد وفيكِ رجاء مَن لا رجاء لهم"، وأنا أيضاً أقول: يا مريم، أنت تخلصين البشر من اليأس، فعليكِ أضع كل رجائي.

†: يا مريم، يا والدة الله، تضرعي إلى يسوع من أجلي.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة الثامنة:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

يتوجّه يسوع إلى كل نفسٍ تزوره في القربان الأقدس بالكلمات التي فاه بها عروس نشيد الأناشيد حين قال: "قومي يا رفيقتي، يا جميلتي هلمّي" (نشيد ٢: ١٠). فيا أيتها النفس التي تزورني، انهضي وتحرري من شقائك فأنا هنا لأُغنيك بنِعَمي. اقتربي مني لا تخافي عظمتي فإنَّها تواضعَتْ منحدرةً نحو هذا القربان لانتزاع الخوف منك وتزويدكِ بالثقة. فيا مرافقتي لا تكوني عدوّةً لي، بل صديقة، أنتِ تحبيني وأنا أحبك. أنت جميلتي وقد زادتك نعمتي جمالاً. فتعالَيَ، تعاليَ إليَّ، واطلبي مني كلَّ ما تريدين بثقة كاملة.

كانت القديسة تيريزيا تقول: "إنّ ملك المجد العظيم هذا لم يسكنِ الخبز في سرِّ القربان الأقدس ولم يُخفِ جلاله إلاّ ليمنحنا فرصة الاقتراب من قلبه

الإلهي بثقة أكبر". فلنتقدم إذاً بعاطفةٍ وحبٍ نحو يسوع، ولنتّحد به ونسأله نِعمَه.

يا أيها الكلمة السرمدي الذي صار إنساناً وأسكنَ ذاته في القربان من أجلي، كم هو فرحي عظيمٌ حين أُدركُ أنني واقفٌ في حضرتك، وأعرف أنّ رأفتك بي عظيمة، أنت يا إلهي، يا أيها الصلاح اللامتناهي. فيا أيتها النفوس المُحِبَّةُ للّه، أينما كنتِ، في السماء أو على الأرض، ضاعفي حبّك له تعويضاً عني. ويا مريم أُمي، ساعديني كي أُحبَّه. وأنتَ يا إلهي، إجذب عواطفي وخذ إرادتي وامتلكني بكليّتي. إني أُكرِّس لك عقلي في التأمُّل بصلاحك، وجسدي في إرضائك بمسلكه الصالح، ونفسي كي تكون مُلكاً لك بكلِّيتها.

أُريد يا حبيب نفسي أن يعرفَ الناسُ حنان حبِّك الذي تحفظه لهم، فيحيَوا حياتَهم في إكرامك وخدمتك، على حسب رغبات قلبك، بالقَدْر الذي تستحقُّهُ. فحسبي أن أعيش دائماً مبهوراً بجمالك اللامتناهي، وأعمل كل ما يزيدك رِضىً. سأتخلى عن كل شيء لأرضي مشيئتك مهما آلمني ذلك، وأعمل على خسران كل ما أملك، حتى وإن فقدتُ حياتي عينها. فهنيئاً لي إن أنا خسرت كل ما أملك لأربحك، يا ربي ويا كنزي، يا حبِّي ويا كلِّي.

†: يا يسوع، يا حبي، اجذبني اليك وامتلكني بكلِّيتي.

المناولة الروحية

زيارة القديسة مريم البتول

"من كان صغيراً فليأتِ إليَّ" (أمثال ٩: ٤)، هي مريم تدعو كل الأطفال الذين حُرموا من أمهاتهم، تدعوهم لأنها أكثر الأمهات محبةً. فقد سبق وأشارَ رجل التقوى نيرينبورغ بأنّ حبّ الأمهات كلّهنَّ لا يُشكِّلُ سوى ظل الحبِّ الذي تحمله مريم لكلِ منّا. فيا أمّي وأُمّ روحي، يا مَن أحببتني وتريدين خلاصي، فلتكن أمومتك واضحةً أمام الجميع.

†: يا أمي اجعليني أفتكر فيك دائماً.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة التاسعة :

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

كتب القديس يوحنا في رؤياه: "إن الرب قد لبس ثوباً وشد صدره بزنار من ذهب" (رؤ ١: ١٣). كذلك هي حالُ يسوع في القربان على المذابح، كالثديين الممتلئين حليبَ النِعم تُغدقها رحمتُه علينا، وكالأمِّ الحنون تُقدِّمُ ثديَيها لأطفالها. هكذا يقدِّم الرب ذاته لنا قائلاً: "لترضعوا وتشبعوا" (أش ٦٦: ١١). إنَّ الأب ألفاريز رأى يسوع في القربان ويداه مملوءتان نِعماً يريد توزيعها. والقديسة كاترينا السيّانية عند اقترابها من القربان، كانت كأنها تنهل بنهمِ المشتاق الولهان.

يا ابن الآب السرمدي الوحيد، أنا أعترف بأنّك تستحقّ أن نحبّك فوق كلِّ شيء، فأرغب في أن أحبّك على قدر ما تستحق. وأعلم، أنا خائن محبتك، أني لا أستحق الجلوس بالقرب منك كما الآن في هذه الكنيسة، وأسمعك تقول: "يا بُني أعطني قلبك، أحببِ الربَّ إلهَك من كل قلبك". ولكن أعلمُ أيضاً بأنّك حفظتني إلى الآن، وأنك تبعدني عن عذابات جهنم كي أتوب وأحبك.

فبما أنّك تريد ذلك، ها إني واهبٌ لك ذاتي يا ربّ، أنت يا إله الصلاح والحب، وأختارك ربّاً ومَلكاً على قلبيَ المسكين الذي اخترته أنت، فها أنا مُعطيك إياه بارداً وملطخاً بالخطيئة، فإن اخذته منّي بدّلته. بدِّلني يا رب، بدّلني لأنّي لا أريد الإستمرار كما كنتُ إلى الآن، ناكراً لجميلك، وقد أحببتني حباً عظيماً بصلاحك اللامتناهي. هبني يا رب أن أعوّض بكل كياني عن الحبِّ الذي حرمتُك إياه حتى الآن.

†: يا إلهي، يا إلهي، يا إلهي، أريد أن أحبَّك، أريد أن أحبَّك، أريد أن أحبَّك!

المناولة الروحية

زيارة القديسة مريم البتول

إنّ مريم كثيرة الشبه بابنها يسوع، فهي أمّ الرحمة، وتفرح حين تنقذ البائسين وتعزّيهم. فهذه الأم الصالحة تتوق إلى إغداق النعم على الجميع حتى قال برنار دايوستيس: "إنها تتوق إلى إغداق النِعم عليك أكثر مما ترغب أنت".

†: السلام عليك يا رجاءنا.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة العاشرة:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

يقول القديس أغسطينوس: "يا كُفَّار هذا العالم، أيها اليائسون، إلى أين تذهبون لإرضاء رغبات قلوبكم؟ تعالوا إلى يسوع فوحده يمنحكم ما تحتاجون إليه". فإن كنتِ غير حمقاء يا نفسي فلا تتبعي هؤلاء الناس، ولا تبحثي إلاّ عن الله، فإن كنتِ تريدينه في الحال، فها هو بالقرب منك، فاسأليه ما تريدين، إنه هنا داخل القربان، يعزيك ويستجيب أمانيك.

تقول القديسة تيريزيا أنه من غير المسموح لأيّ إنسانٍ التكلُّم مع ملكٍ من هذا العالم، فقد تتحقّقُ هذه الأُمنية عبر وسيطٍ ثالث. لكنَّ التكلُّم معك، يا ملك المجد، لا يحتاج إلى وسيط. فأنت مستعدٌ دوماً عبر القربان الطاهر لأن تصغي إلينا. فمَن يُريدكَ يجدك فيه ويحادثك وجهاً لوجه. فإن أردنا التكلم إلى أحدِ الملوك، فكم من الوقت نخسَر في الانتظار؟ والملوك لا وقت لديهم للإستماع إلينا. أمّا أنتَ يا ربّ، فإنّك في القربان ليلاً ونهارا، تُصغي إلينا ساعةَ نأتي إليك.

يا لَسرِّ الحبِّ العجيب، أنت تنتظرنا إمّا على المذبح، أو في المناولةِ المقدسة لتمنحنا ذاتك. لقد فزت بقلوب الكثيرين عبر جاذبية حبِّك، كي يزداد شغفُهم بك، ويؤخَذوا بصلاحك ولا يفكِّروا إلاّ فيك. هلمّ أيضاً وفز بقلبيَ الشقي الذي

يرغبُ في أن يحبك ويصبحَ خادماً لمحبتك. ها إني أتخلى عن كلِّ مصالحي وتطلّعاتي وعواطفي ونفسي وجسدي وكلِّ كياني، وأضعها جميعها بين يدَيك. فاقبلني يا رب واستخدمني كما تشاء. لا أُريد الابتعاد عن نِعمِكَ المقدسة، لأنها تنبع من قلبِك المُحِب، ولأنها مليئة بالعاطفة، فهذا يكفيني، وهذا ما أُريده اليومَ وإلى الأبد، فافعل بي ومن خلالي كل ما يرضيك. فها أنا سأتّحِدُ بكلِّيّتي بمشيئتك المقدسة الطيبة والكاملة. كم هي عظيمة مشيئة اللّه! إنِّي أريد العيش بالإتحاد الدائم بها ليصبح ذوقي كذوقها، ورغائبها رغائبي.

يا إلهي، ساعدني، واجعلني، منذ الآن، لا أحيا إلاّ لك. وبما أنّك متّ من أجلي هبني أن أموت من أجل حبك لأحقق مشيئتك الرحيمة. في هذا اليوم، الذي فيه عملتُ بارادتي فأهنتك، أُعلن عن تحقيق إرادة اللّه كمثلِ محبّتي له. أُحبُّه من كل قلبي وأهبُه نفسي بكليتها.

†: يا مشيئة اللّه، أنت حبِّيَ كلَّه.

المناولة الروحية

زيارة القديسة مريم البتول

لقد قلتِ أيتها الملكة العظيمة: "الغنى والكرامة عندي... فأُورث الذين يحبونني" (أمثال٨ :١٨و٢١). فإن أردنا الاغتناء بالنعمة فلنحِبَّ مريم، وهنيئًا لمَن يلتجيء إليها بثقة ومحبّة. يا أمي ويا أملي أنتِ قادرةٌ على أن تقدسيني وهذا غاية ما أريد.

†: يا امًا حبيبة صلي لأجلي.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة الحادية عشرة:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

تقول القديسة تيريزيا: فلنحاول ألاّ نبتعد عن يسوع، وألاّ نُبعد ناظرَينا عن راعينا الحبيب، فالنعاجُ التي تقتربُ من الراعي تنالُ دلالاً وعنايةً أكثر من

الأخريات، وتحصل على جزءٍ مما يتناوله الراعي نفسه. وإن نام الراعي تبقى بقربه حتى إذا ما استيقظ أو إيقظته يدلّلها من جديد. يا مخلصي، ها أنا بقربك، ولا أريد سوى الإندفاع والمثابرة في الحب.

أشكرك أيها الإيمان المقدس لأنّك تعلِّمُني وتؤكّد لي بأنّ الخبز في القربان الأقدس على المذبح ليس خبزاً عادياً، بل هو الرب المسيح يسوع بكلِّ كيانه، وإنه هنا من أجلي.

يا إلهي، أومن بأنك حاضرٌ في القربان الأقدس، وعلى الرُّغم من أنّ عينَيّ جسدي لا يمكنهما أن ترياك مختفياً في هذا الكيان، فأنت مَلِكُ السماوات.

يا يسوع الوديع، على قدر ما أنت رجائي وسلامي وقوّتي وعزائي، أريدك أن تكون حبّي والهدف الوحيد لعقلي ورغباتي وعواطفي. ها إنّي أبتهجُ بفرحِك في أبديّتك، أكثر من كل خيرات الدنيا التي يمكنُ أن أربحها. فاملُكْ على نفسي، املكْ عليها، فأنا أمنحك إياها كاملةً، لتكن مُلكاً لك على الدوام! لتستسلم إرادتي وحواسي وقدرتي أمام إرادتك، فلا أستعملها إلاّ لتمجيدك، كما صنعتَ أنت في حياتك على الأرض.

يا أمّ يسوع، أيتها الفائق قدسها مريم، ساعديني واستمدّي لي نعمة العيش كما كنتِ دوماً، سعيدة بكونك مُلكاً للّه.

†: يا يسوع، دعني أن أكون لك بكلِّيَتي، كما أنت لي بكليَّتك.

المناولة الروحية

زيارة القدّيسة مريم البتول

"هنيئاً لمَن يُصغي إليَّ ساهراً عند أبوابي يوماً فيوماً منتظراً عند مدخل داري". (أمثال ٨: ٣٤) "هنيئاً لمن"، على غرار الفقراء الذين ينتظرون على أبواب الأغنياء، على أبواب رحمة مريم ينتظرون! والطوبى العظمى لمَن يحاول اتِّباع مريم في فضائلها، خصوصاً في طهارتها وعفتها.

†: يا مريم يا رجائي خلصيني.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة الثانية عشرة:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

"اللّه محبة فمن أقام في المحبة أقام في اللّه وأقام اللّه فيه" (١ يوحنا ٤: ١٦) مَن يحبّ المسيح يُقيم مع المسيح، والمسيح يُقيمُ معه: "إذا أحبني احدٌ حفظ كلامي فأحبَّهُ أبي واليه نأتي وعنده نجعل مقامنا" (يوحنا ١٤:٢٣). حين أتى الكهنة ليعطوا القديس فيليب دو نيري القربان زادًا لسفره الأخير، صاح هاتفاً: "ها هوذا حبي! ها هوذا حبي!" فلنردد إذاً مع حضور المسيح يسوع في القربان "ها هوذا حبي!" فهو حُبُّ الحياة إلى الأبد.

ربي وإلهي، أنت قلتَ في الإنجيل إنّ مَن يحبّك ستحبّه وتدخل لتُقيمَ في قلبه ولا تنفصل عنه أبداً. أحبّك يا ربّ أكثر من كل شيء، فأحببني لأنّي آثرتُ حبّك على كل ممالك العالم. تعالَ واختر المسكن الفقير الذي تقدمه نفسي لك لتُقيم فيه، فلا تنفصل عني، لن أُرغمَك بعد الآن على الابتعاد عني، فلا تغادرني في حال مخالفاتي.

بما أنّني طردتُك من داخل قلبي أنا البائس فلا تسمح بأن أنال جزاءَ ناكر الجميل. لقد أغدقتَ عليّ فيضاً من النِعم، فأتمنى الموت، إن أرضاك ذلك، كي أتّحد بك وأتشبّهَ بصلاحك. أجل يا يسوع، أرجو ان أقبّلك وأضمَّك إلى قلبي حتى اثابرَ على حبّك ولا أشعر بعد الآن ببُعدِكَ عنّي. أجل يا مخلصي الفائق المحبة، سأحبَّك وستحبّني على الدوام. أنا واثقٌ أنّ واحدنا سيحبّ الآخر ما دام الزمان، يا إله نفسي.

†: يا يسوع، أريد أن أحبّك إلى الأبد، وأن تحبّني على الدوام.

المناولة الروحية

زيارة القدّيسة مريم البتول

تقول مريم إنّ مَن يُطوِّبُها ينال نعمة الخلود. "مَن يريد التعرُّف عليَّ ويحمل الآخرين على محبّتي فقد اختير للمجد الأبدي". فليكن الوعد بالتَّكلُّم علناً أو

سراً عن أمجاد مريم البتول، وعن المحبَّة التي يجب أن نكنّها لها.

†: أهّليني أيتها البتول القديسة لأن أمدحكِ.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة الثالثة عشرة:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

"وستكون عيناي وقلبي هناك كلَّ الأيام" (١ ملوك ٣: ٩). هذا هو يسوع الذي يؤكد لنا وعده السماوي بأن يكون معنا ليلاً ونهاراً في القربان على المذبح، وقد احتجز نفسه من أجلنا.

يا رب، ألا يكفي أن تبقى في القربان نهاراً فقط؟ بذلك يمكن لبعض المتعبدين البقاء معك طوال وجودك، فلِمَ تبقى في الليل أيضاً؟ إنَّك في الوقت الذي يقفل فيه الناس الكنائس ويعودون إلى منازلهم تبقى هناك وحيداً. أنا أفهم ذلك يا رب فالحبُّ جعلك سجيناً من أجلنا. هذا الحبُّ المليء بشغفك لنا يجعلك تتشبّث بالأرض بشكل لا تودّ فيه الانفصال عنا في الليل.

أيها المخلّص المُحب، علامةُ الحبِّ هذه هي التي تدفع البشر الى البقاء بقربك ولا يصدُّهم أحد. وإذا ابتعدوا فذلك ليتركوا أمانيهم وعواطفهم عند أقدام مذبحِك. فأنت تريد أن تبقى محتجَزاً وحيداً في بيت القربان، كي تلبّي كل احتياجاتنا، وتطيل بقاءك بالقرب ممَن تُحِب، لذا فإنّك تنتظر النهار كلّه لتزورك النفوس التي تحبها.

أريد أن أرضيك يا يسوع، وأكرّس لك إرادتي وعواطفي.

يا إلهَ المجد اللامتناهي، تنازلتَ لتكونَ في القربان، لا لنفرح نحن بوجودك وحسب، بل لتتّحِد أنت بالنفوس المُخلِصَة لكَ. فمَن يجرؤ على أن يتغذى من جسدك، ثم يبتعد عنك؟ أنت تختبيء يا رب في القربان الأقدس لتدخل في نفوسنا وتُصبح سيِّدا على قلوبنا. رغبتك فائقةٌ في أن تهبنا نفسك، وتُسَرّ باتحادنا معك، فتعالَ يا يسوع، تعال، أنا أريد أن أستقبلك لتصبح ربَّ قلبي

وإرادتي. يا مخلصي الحبيب، أُعطيك كل ما بي من الرضى والسرور والإرادة، أُعطيك كل ما لديّ. يا إلهَ الحبّ، انتصر عليّ ودمّر كل ما ليس منك. لا تسمح لنفسٍ استقبلتك في المناولة المقدسة وامتلأت من جلالك، بأن تتعلق بالمخلوقات. أحبك يا إلهي، أحبّك ولا أريد حُباً سوى حبِّك!

†: اجتذبني اليك برباطات حبك.

المناولة الروحية

زيارة القدّيسة مريم البتول

يردد القديس برناردوس: "فلنطلبنَّ النعمة، فلنطلبها بواسطة مريم". والقديس بيار داميان يُسمّي مريم "كنز النِعم الإلهية". فهي القادرةُ أن تغنينا وتحقق ذلك بلا ريب، ولديها القدرة والإرادة على إغنائنا، لذلك تدعونا وتنادينا: "من كان صغيرًا فليأت اليَّ" (امثال٩ :٤). فيا سيدة المحبة والشهامة والكرم، اعطفي نظرَك على خاطيءٍ مسكين يوصيك بنفسه ويتَّكِل عليك.

†: إلى ظلِّ حمايتكِ نلتجيءُ يا والدة الله القديسة.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة الرابعة عشرة:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

يا يسوع الفائق المحبة، الذي احتجزتَ نفسَك في القربان إني أسمعُك تقول: "هذه هي دياري إلى الأبد. فيها أُقيمُ لأني اشتهيتُها" (مزمور١٣٢ : ١٤). إنّ اخترتَ مسكنَك بيننا على المذبح، وإنّ حملك حبُّك لنا على إيجاد راحتِك في القربان الأقدس، فمِن العدل أن تسكن قلوبُنا معك إلى الأبد، وأن تبحث عن الراحة ضمن رضاك.

هنيئاً للنفوس المُحِبَّة التي لا راحة لها إلاّ بالقرب من مذبحك. هنيئاً لي يا رب، لأني لن أجد فرحاً إلاّ في أن أمكثَ في حضرتك، وأغرق بالتفكير بك، يا مَنْ لا تفكر إلاّ بي وبخلاصي.

يا ربّ، لماذا أضعتُ كلَّ هذه الأعوام من دون أن أُحبَّكَ؟ ملعونةٌ تلك الأعوام التعيسة، ومباركٌ طول أناتك يا ربَّ الأزل، يا مَنْ حفظتني هذا الزمن كلَّه على الرغمِ من نكراني للجميل. فلِماذا تنتظر إنسانًا مثلي؟ لِمَ يا ربّ؟ لِمَ انتظرتَني حتى أُعطيك نفسي كاملةً؟ لقد غلبَتْني محبتُك ورحمتُك. فمن العدل أن أكرِّس لك كل ما بقي من حياتي.

أرجو يا يسوع أن تساعدني لأكونَ لك بكليّتي. لقد بحثتَ عنِّي يوم كنتُ أهربُ منك وأزدري محبتك. فإلى متى أهربُ من الإعتماد على جودِكَ، والبحثِ عنك، والشوقِ إلى محبَّتِكَ؟ فيا إله الحب اللامتناهي امنحني نعمةَ المقدرة على حبّك. أُحبك من كل قلبي، احبُّك أكثر من نفسي وحياتي. أنا نادمٌ على إهانتك، أيها الصلاح اللامتناهي، فاغفر ذنوبي، وامنحني نعمة محبَّتِكَ حتى الرّمق الأخير، خلال حياتي الحاضرة ومدى الأبديّة في الدهر الآتي. أظهر للعالمِ عِظَمَ حكمتِك، فتحوّل نفساً ناكرةً للجميل كنفسي إلى نفسٍ أكثر إخلاصاً لمحبتك، يا أيها الإله الفائق القدرة. حقق ذلك بفضل استحقاقاتك يا يسوع. أنت تعرف رغبات قلبي ونواياه، وأنت هو مَن وهبني إياها، فامنحني قوة العمل بهذا الشوق والإخلاص.

†: يا يسوع، أشكرك لأنك انتظرتني حتى الآن.

المناولة الروحية

زيارة القدّيسة مريم البتول

قال القديس جرمانوس وهو يحادث العذراء الفائق قدسها: "ما من أحدٍ يرجو الفوز بالخلاص والنجاة من الشر بدونكِ، ولا يحصل أحد على النِعم من دون شفاعتكِ". لذا يا ملكتي، يا أملي الوحيد، إن لم تعينيني فأنا مائتٌ، ولن أتمكن من إكرامك في السماء. والقديسون يقولون إنّكِ لا تتخلين عمّن يلجأون إليك. فالخاسر هو مَن يبتعد عنكِ. هاءنذا أناجيك من أعماق ذلّي، متّكلاً عليك.

†: أهتف مع القديس برناردوس قائلا: "عليكِ أضع كلَّ اتكالي ورجائي".

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة الخامسة عشرة:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

"جئت لألقي ناراً على الأرض ولا أُريد إلاّ اضطرامها" (لوقا١٢: ٤٩). كان الأب فرانسوا أولمبوس يقول: "لا شيء يُضرِمُ نار الحب الإلهي في قلب الإنسان أكثر من القربان الأقدس على المذبح". لذا أظهر الرب ذاته، للقديسة كاترين السيانية، في القربان الأقدس، مثل أتوّن تتدفق منه مجامر الشعلة الإلهية وتنتشر في الأرض كلِّها. وقد استغربتْ القديسة كيف أنَّ البشر لا يضطرمون بنار الحب الغزير الآتي إليهم.

يا يسوع، هبني أن أحترق كَرمى لكَ، فلا أرغب إلاّك ولا أبحث إلاّ عنك، ولا أستغيث إلاّ بك. كم ينتابني الفرحُ حين أشعرُ بأنّ هذه النار المقدسة ستدخل حياتي، هذه النار التي، باحتراق عمري رويداً رويداً، ستُحرِق كل العواطف العالمية.

أيها الكلمة الإلهي، تنازلتَ وتلاشيتَ ودمّرتَ ذاتك على المذبح من أجل حبي. وبما أنك أردتَ أن تُصبح ضحيَّة الحبِّ، فمن العدل أن أكرّس لك ذاتي بكلِّيتها.

أجل يا الله، يا ملكي، أقدِّم اليوم لك نفسي وإرادتي وحياتي وكياني كلَّه. وأوحّدُ هذه التضحية الصغيرة بالتقدمة اللامتناهية التي قدّمَها لك ابنُك يسوع نفسُه حين انحدر إلى أرضنا، وما زال يقدمها اليوم على المذبح. اقبلها يا إلهي بحق آلام يسوع، وامنحني نعمة تجديدها في كل أيام حياتي، وحتى مماتي، وأنا أقدِّمُ ذاتي كلَّها إكرامًا لك. أريد النعمة التي نالها الكثيرُ من الشهداء، وهي الموت من أجل حبّك. لكن إن لم أكن أستحق هذه النعمة العظمى، فلا ترفض لي نعمة أن أقدِّم، حياتي كلها لأجلك، بكاملِ إرادتي، وأن أتقبّل الميتة التي تريدها لي.

يا ربّ، أتوسَّل إليك أن تمنحني ما أطلب، فأنا أريد أن أُمضي حياتي بعد

الآن في إكرامك وخدمتك وإرضائك وإهدائك مماتي أُضحيةً، في الزّمان والمكان اللذين تريدهما.

†: يا يسوع، أريد أن أُهرق ذاتي كي ارضيك.

المناولة الروحية

زيارة القدّيسة مريم البتول

أكرر واناديكِ مع القديس برناردوس: "أيتها العذراء الفائقة الحنان والحب، انتِ برهان رجائي كله". ومع القديس يوحنا الدمشقي: "عليكِ وضعتُ اتكالي فاستمدي ليَ الغفران والثبات في البر حتى الموت، والنجاة من عذابات المطهر لأن الجميع لا ينالون الخلاص إلاّ بمعونتك. فأعينيني يا مريم لأخلُص". وأنا بدوري أناديك مستغيثاً بكلمات القديس بونونتورا: "إنِّ أردتِ خلاصي فأخلص، لأنَّكِ خلاص المستغيثين بك".

†: يا نجاة المستغيثين بكِ خلِّصيني.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة السادسة عشرة:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

ليت أنَّ البشر يلتجأون دائماً إلى القربان الأقدس لينالوا الدواء لآلامهم، وهكذا يصبحون أقل تعاسة ممّا هم عليه، فقد كتب إرميا: "أليس من بلسانٍ في جلعاد، أمِ ليس هناك من طبيبٍ فلِماذا لا يلتئم جرح ابنةَ شعبي" (إر ٨: ٢٢). وكان جبلُ جلعاد الغني بالعطور يشبه المسيح حاملاً بلسم خطايانا كلها في القربان الأقدس على ما قال البار بيدا. والمخلِّص يقول: "تعالوا اليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم". فلِمَ تتذمر يا ابن آدم ولديك هذا القربان كطبيبٍ ودواءٍ قادرَين على شفاء أوجاعكَ؟

لذا سأقول لَك يا ربٍ مع اختَي لعازر: "يا سيدنا هوذا الذي تحبه مريض" (يو ١١: ٣). فأنا هو ذاك المريض الذي تحبه، ونفسي ملطَّخة بالخطايا وأنت

الطبيب الإلهي الآتي ليشفيني، فإن شئتَ فأنت قادرٌ. فيا يسوع الحنون، شدّني إليك بجاذبية حبك، أنا أريد أن أتّحد بك لا أن أمتلك العالم، لأنّني لا أريد سوى محبَّتِك. ليس لديّ إلاّ القليل اُقدمه لك، لكن وإنْ كنتُ أملك ممالك العالم بأسرها، فسأتخلى عنها من أجل حبّك، أتخلّى عن كلِّ ما لديّ واُعطيك إياه. اعطيك كلّ ملذاتي وميولي وحريتي وإرادتي وكلَّ التعزيات الروحية. أعطيك كل عواطفي، أحبك أكثر من نفسي، فرجائي أن أحبك إلى الأبد.

†: إني أهَبُ لك ذاتي يا يسوع، فاقبلني.

المناولة الروحية

زيارة القدّيسة مريم البتول

يا ملكتي، أنتِ قلتِ للقديسة بريجيت: "إنَّ الإنسان مهما انغمس في الخطايا، إن هو التجأ اليَّ بنيةٍ صادقة عازمًا على إصلاح حاله، فأنا على استعدادٍ لأن أقبله بكلِّ كرامة، ولا اُفتِّش عن عدد مآثمه. بل أنظر إلى رجوعه اليَّ ولا أرفض التماسه الشفاء، لأني امّ الرحمة". فبما أنكِ قادرة على شفائي وترغبين في ذلك، ألتجيء إليك كما ألتجيء إلى الطبيب السماوي كي تشفي جراح نفسي. فأنتِ لا تحتاجين إلاّ إلى كلمة واحدةٍ تقولينها لابنك.

†: يا مريم، أشفقي عليّ.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة السابعة عشرة:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

تبتهج النفوس المُحِبَّة عندما تتواجد مع حبيبها. فإن كنّا نحبُّ يسوع المسيح حقاً، فها نحن معه. هو مرئيٌ وملموسٌ في القربان لكننا لا نحادثه بشيء. فلنتصالح معه، ولنفرح بمجده وبالمحبّة التي يكنّها له العديد من النفوس، ولنتشوّق كي يحبّ الناسُ يسوع، ويكرّسوا له قلوبَهم. أما نحن فلنكرّس له عواطفنا كلّها، وليكن هو وحده هدف مشاعرنا ورغباتنا.

كان الأب ساليز اليسوعيّ يشعر بعزاءٍ كبيرٍ حين يتحدث عن سرِّ القربان الأقدس، ولم يتعب يوماً من القيام بزيارته. وحين كان يناديه أحدٌ، أو يُضطرّ العودة إلى غرفته، كان يتحيَّن الفرص ليرجع ويزوره على عدد الساعات. وقد استُشهد على يد أصحاب البدع وهو يدافع عن سرِّ القربان الأقدس.

فإن شاءتِ السماءُ فأنا أتوق لنيل شرف الموت من أجل قضيةٍ بهذا البهاء، أموت مدافعاً عن سرِّ القربان الذي عرَّفَنا عن مدى محبتك، أنت الفائق الحُبّ، يا يسوع. فيا مَن يحقق معجزات عظيمة عبر القربان الأقدس، يا ربّ، قمْ بمعجزةٍ ثانية وهي أن أكون لك بكليتي. امنحني قوة أن أحبك بكل ما بي من المشاعر. هب الآخرين الخيرات الدنيوية، فأنا أتخلى عنها، ولا أُريد ولا أطمح إلاّ بمحبّتِك. هذه أمنيتي الوحيدة، ولا أملك غيرها. إنِّي أُحبك يا يسوع، فهبني أن لا أحبَّ أحداً سواك.

†: متى يا يسوع، سأستطيع أن أحبّك حقاً؟

المناولة الروحية

زيارة القدّيسة مريم البتول

يا سلطانتي الفائقة العذوبة، كم يسرّني أن أدعوكِ "يا أماً حبيبة". هذا الإسم الذي يسميك به خدّامك، وهو الإسم الذي يليق بك. إنّك الجميلة الفائقة المحبة وقد اختارك اللّه على حسب قول داود: "فيشتهي الملك جمالك". يقول القديس بونونتورا إنّ اسمَكِ يَجمُل في نظر مَن يحبّك حتى إنّه حين ينطق باسمك أو يسمع أحداً يدعوك يضطرم فيه لهيب الحبِّ نحوكِ. لذا فمن العدل أن أحبّك أيتها الأم الفائقة المحبَّة، ولا أكتفي بأن أحبَّك على الأرض، بل أريد أن أكون بعد اللّه أوّل مَن يحبّك في السماء. وإن تجرّأتُ ورغبتُ أكثر من ذلك فعليَّ توجيه عواطفي نحو محبتّك الكبيرة التي أظهرتِها للناس. فلو كنتِ مُقِلَّةً في مُحبّتِكِ، لأقللتُ أنا في محبتِك، فاقبلي الشوق الذي أُبديه، وأظهري لي أنكِ قَبِلْتِ طلبتي، واسألي اللّه قبول طلبي، لأن نعيمه في أن نحبَّكِ.

†: يا أمي الفائقة المحبة، أحبك إلى ما لا نهاية.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة الثامنة عشرة:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

سيملك يسوع يوماً في وادي يوشفاط على عرش المجد، لكنَّه الآن يسكن في القربان الأقدس على عرش المحبة. فإن صادق أميرٌ ما قرويين، أفلا نحسَبهم ناكري الجميل إن لم يزوروه باستمرار؟ فيا يسوع، إنّك أتيت لتسكن في القربانِ على المذبح، فانا أريد، ما أمكنني، أن أقيم بقربك ليلاً ونهاراً. إنَّ الملائكة تحيط بك بلا انقطاع، وتعرف مدى حبِّك لها. أمَّا أنا وعند رؤيتك متوارياً فوق المذبح، منقاداً بالحبِّ، تفيض النِعم، فمن واجبي أن أمكث في حضرتك مردداً: "أسجد لك في هيكل قدسِك وأعترف باسمك لأجل رحمتك وحقك (مزمور١٣٨: ٢).

يا إله القربان الأقدس، يا خبز الملائكة، أيها الغذاء الإلهي، أُحبُّك! لكن كلانا غير راض بالحب الذي أكنّه لك، لأنه قليل جداً. فهبني يا رب أن أعرف طيبة وجمال مَنْ اُحِب. ساعد قلبي على التخلّي عن كل عاطفةٍ أرضيةٍ ليمتلئ بأكمله من حبِّك. لأنَّك ومن أجل أن تهبني ذاتك بكلِّيتها تنحدر كل يوم من السماء إلى الأرض، فهل بإمكاني التفكير بما يخالف محبّتك وعبادتك ورضَاك؟ فإن أردت أن تكافئني فزدني حباً كي أستزيد محبّةً ورضى لك.

†: يا يسوع الحبيب، زدني حباً.

المناولة الروحية

زيارة القدّيسة مريم البتول

على غرار المرضى الذين ينبذهم الجميع بسبب شقائهم، ولا يجدون ملجأً سوى المآوي العامة، هكذا فإن مريم الرؤوفة تستقبل الجميع. فلقد اختارها اللّه لتكون ملجأ الخطأة المنبوذين في كل مكان، ومأواهم العام بحسب ما يقوله القديس باسيليوس: "إن اللّه قد منح الخطأة ملجأً عاماً في شخص مريم". ويدعوها القديس أفرام دار ضيافة الخطأة المنبوذين.

فيا ملكتي إني ألتجيء إليكِ، ولن ترفضيني بسبب خطاياي، بل أعتمد على

حمايتِكِ أنا البائس، لأنَّ اللّه أوجدكِ لتكوني ملجأ التعساء. ألتجئ إليك يا مريم وأضع ذاتي تحت رعايتك، فكوني أملي وعوني. فإن أنتِ رفضتني فإلى مَن ألتجئ؟

†: يا مريم، يا ملجأي، أنجديني.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة التاسعة عشرة:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

من أكثر المواقف تأثُّراً هو لقاء صديقٍ نحبُّه. وليس أحبّ، في وادي الدموع هذا، من موقف لقاء أعزّ صديق قد نحظى به، صديقٍ يُشعِرنا بالإرتياح، صديقٍ يحبنا بحنان ويبقى معنا باستمرار. فمن خلال القربان الأقدس على المذبح، يمكننا التحدث مع يسوع المسيح بحرية، إذاً لنفتح له قلوبنا ونعرض حاجاتنا الضرورية أمامه ونطلب نعمه. هكذا يمكننا التحادث مع ملك السماوات بثقة كبيرة من دون خنوع.

لقد فرح يوسف حين نزل الرب إلى السجن لمؤآساته كما قد كُتب: "لم تهمل صديقًا مباعًا بل نشلته من الخطيئة ونزلت معهُ الى الجب ولم تتركه في قيوده إلى أن فوضّت إليهِ قضية الملك" (حكمة ١٠: ١٣-١٤). ففي أرض الشقاء هذه، فلنفرح، أكثر من يوسف، بعمل إلهنا المتأنس الذي يساعدنا كل يوم من أيام حياتنا بقدر كبير من العاطفة والرعاية، بفضل وجوده الحقيقي. فللسجين عزاء كبير حين يزوره صديق له، يؤاسيه ويعطيه الأمل ويقدّم له المعونة ويعزّيه في شقائه. هذا صديقنا العزيز يسوع الذي لا يزال يردد: "ها أنا معكم كلِ الأيام" في هذا القربان. ها أنا أتيت من السماء إلى هذا السجن بإرادتي لأُعزيكم وأُساعدكم واُحرركم. فاستقبلوني وتعلقوا بي وكونوا معي دون تردد فلن تشعروا بشقائكم، ومن ثَمّ ستأتون إلى الفردوس حيث ستنالون سعادتكم المثالية.

يا رب، أيها الحبُّ غير المُدرَك عُمقه، إن كنت بهذه الطيبة معنا، فابقَ بالقرب منّا. أنت قبلت أن تنحدر إلى مذابحنا، أريد أن أزورك باستمرار، أريد أن أفرح بحضورك على مثالِ القديسين في السماء.

كم أتمنى أن أبقى دائماً بقربِك لأعبدَك وأقدِّم لك أعمالَ المحبَّة. أتوسل إليك أن توقظ نفسي حين أُهمل زيارتك بسبب الفتور أو الاهتمامات الدنيوية. أشعِلْ فيَّ الرغبةَ الكبيرة في أن أكون دائماً بقربِك، في حضرة القربان الأقدس. يا يسوع المُحب، كم توانيتُ في منحك حبّيَ الدائم؟ لكنّني أتعزّى لأنك ما زلتَ تعطيني بعض الوقت لأقوم بذلك، في هذه الحياة وفي الحياة الثانية. أريد أن أحبك حقاً يا خيريَ الأعظم، يا حبي ويا كنزي ويا كليّتي. أريد أن أحبّك بكل ما لديّ من قوة.

†: يا إلهي، ساعدني كي أحبّك.

المناولة الروحية

زيارة القدّيسة مريم البتول

هتف البار برناردوس البوستي وهو يتوجّه إلى الخطأة: "لا تيأس من الرجاء أيها الخاطئ، بل التجئ الى السيدة بطمأنينة وثقة لأنَّ في يديها الرحمة والسخاء". ثمَّ أضاف: "هي تتوق إلى أن تمنحَكَ النِعمَ والخيراتِ السخيَّة الواسعة، أكثر من رغبتِكَ وشوقك أنت إلى اقتبال ذلك منها". فيا مريم، إني أشكر اللّه لأنَّه وهبني نعمةَ معرفتِك. فما كان مصيري لو لم أعرفكِ، أو لو أني نسيتُكِ، وأين يصبحُ سلامي الداخلي؟ لكن يا أُمّي أنا أباركُ اسمكِ وأحبُّك وأثقُ بك ثقةً عظيمةً، وأضعُ ذاتي بين يدَيكِ.

†: يا مريم، طوبى لمَن يعرفُكِ ويتّكِلُ عليكِ.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة العشرون:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

يقول النبي زكريا: "في ذلك اليوم ينفتح ينبوعٌ لتطهير بيت داود وسكان أورشليم من الخطيئة" (زك ١٣: ١). فيسوع في القربان هو هذا الينبوع الذي تنبّأ عنه زكريا، والذي سيجري ليغسل نفوسنا من الخطايا التي اقترفناها، شرط أن نرغب في ذلك. فحين نرزح تحت وطأة الخطيئة، فأيّ دواء أجمل من اللجوء سريعاً إلى القربان الأقدس؟

هذا ما أنوي عمله منذ هذه اللحظة يا يسوع، فأُدركَ بلا تجاهل أنّ مياه ينبوعِك لا تَغسل نفسي وحسب، بل تنيرُ روحي أيضاً وتَمنحني القوة لئلاّ أقع، وتعينني في المحن، فيضطرم حبّي أكثر فأكثر. أنا أعلم أنّك تنتظر زيارتي، وأنت تكافئ مَن يحبّك بالنعم الغزيرة.

يا يسوع، اغسلني من كل الخطايا التي اقترفتها حتى اليوم، والتي أتوب عنها لأنها أزعجتك، ولن أقع فيها إن أنتَ منحتني شوقاً فائقاً لمحبّتك.

كم أتمنّى أن أكونَ بقربِكَ، كما فعلَتْ أَمَتُك المخلِصة ماري دياز التي عاشت أيام القديسة تيريزيا، والتي سمح لها الأسقف بأن تُقيم دائماً عند رواق الكنيسة، بالقرب من القربان الأقدس، تدعوه جارها، ولا تبتعد إلاّ للإعتراف والمناولة المقدّسة. والأخ المكرّم فرنسيس الطفل يسوع، وهو راهب كرملي لا ينتعل حذاءً، كان يقوم بزيارة القربان الأقدس المعروض في الكنيسة مردداً أنه من غير اللائق المرور بمنزل صديق من دون الدخول لإلقاء التحية عليه والتكلُّم معه بكلمة أو بكلمتَين على الأقل. ولم يكتف بالكلمات، بل كان يسجد أمام ربه أطول وقت ممكن.

يا إله الأبد، يا خيريَ الأوحد، ألآن أدركتُ الهدف من تأسيسك لسر القربان الأقدس، ذلك كي يحبّك الناس، وقد أعطيتهم قلباً عطوفاً لهذه الغاية. فلماذا إذاً لم أستطع أن أحبَّك ولو قليلاً؟ أنا لم أحبَّك فأنا ناكرٌ للجميل! ومن غير العدل أن أحبّ، حبّاً قليلاً، إلهاً بهذه الطيبة والمحبة والرحمة الوافرة! فأنت

لامتناهٍ وأنا دودة مسكينة، فقليل عليّ أن أموت وأضمحلَّ من أجلك، أنت الذي مُتّ وما زلتَ تبذل ذاتك كل يوم على المذبح من أجلي.

أريد أن أحبّك بقدر ما تستحقّه من المحبة، فساعدني يا يسوع، ساعدني كي أفعل كل ما يرضيك وكلَّ ما تأمرني به.

†: "حبيبي لي وأنا له" (نشيد ٢: ١٦)

المناولة الروحية

زيارة القدّيسة مريم البتول

يا ملكتي الفائقة الحنان والرأفة والحبّ أنّي حين ألجأ إليك، أستمدُّ ثقةً كبيرةً من كلمات القديس برناردوس وهو القائل: "ان مريم لا تقيم إمتحاناً للاستحقاقات، بل هي تنعطف بكليّتها إلى معونة الضارعين اليها". أنتِ إذاً تسمعينني حين أُصلّي، فإليكِ مطلبي هذا: أنا خاطيء مسكين استحققتُ جهنّم مراراً. أريد أن أُغيّر حياتي وأريد أن أحبّ الله الذي طالما أهنته، أكرّسُ نفسي كخادم لكِ، وأعطيكِ ذاتي كما هي، فخلّصي مَنْ أصبح خاصّتكِ. أرجو أنّ تكوني قد استمعتِ إلى إستغاثتي يا مريم فاستجيبي دعائي.

†: أنا لكِ يا مريم فأنجديني.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

ألزيارة الحادية والعشرون:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

"حيثما تكون الجثَّة تجتمع النسور" (لوقا ١٧: ٣٧). لقد فهم القديسون بأنَّ الكلام هذا يشير إلى جسد المسيح يسوع. أما النسور فهي تلك النفوس التي تجرّدت عن الأرضيات مرتفعةً نحو السماء حيث مواضع أفكارها وعواطفها الدائمة. لقد وجدَتْ فردوسها في هذه الدنيا بالقربِ من القربان الأقدس ولم تكن لتشبع من ذاك الحضور. فالقديس جيروم يقول: "إنّ النسور، حين تشتمّ

رائحة الأجسام، تأتي من بعيد نحوها". فكم علينا إذاً التشوّق لأن نأتي إلى يسوع في القربان الأقدس حيث يقدِّم ذاته طعاماً ثميناً لقلبنا؟

لقد فتَّش القديسون في هذا الوادي، وادي الدموع، كالأيائل الظامئة للوصول نحو يَنبوع الفردوس هذا. فالأب "بالتازار ألفاريز" اليسوعي كان يذهب دائماً نحو القربان الأقدس مُحدِقاً به، طاوياً لياليَ طوالاً بالقرب منه. فكان يذرف الدموع عند رؤيته قصور عظماء هذا الدهر مليئة بالمتزلِّفين من أجل نيل مصالحهم، مهملين الكنيسة، مسكن الملك سيّدِ الكون، الجالس في وسطنا، كما على عرش المحبة، الغنيِّ بالخيرات الدفّاقة إلى الأبد. وكان يردِّد إنّ جماعةَ المُكرّسين هم سعداءُ حقاً، لأنهم قادرون على المجيء ليلاً ونهاراً لزيارة يسوع المسيح في القربان الأقدس من دون الإبتعاد عن منازلهم، كما هو حال العامة من الناس.

يا رب، ها إنّك تراني مُلطّخاً بالخطايا، جاحداً حبّك، وعلى الرُّغم من ذلك فإنَّ صلاحك يدعوني دائماً إليك. لن أسمح لتعاستي بأن تثنيني عن الاقتراب منك. فيا رب، بدِّلني بكلِّيتي، واطرُد من قلبي كل حبّ ليس منك، أو ميولٍ لا ترضيك، أو تفكيرٍ لا يهفو إليك. يا يسوع، يا حبي، يا كنزي، ويا كلّي، لا أريد أن أُرضي سواك، ولا أن أحبّ غيرك. أنت وحدك تستحق كلَّ الحب.

افصلني يا رب عن الأمور الدنيويّة، ووحّدني فيك، اجعلني أتعلَّق بك، فلا أنفصلَ عنك في هذه الحياة ولا في الدهر الآتي، آمين.

†: يا يسوع، يا عذوبتي، لا تسمح بأن أنفصل عنك.

ألمناولة الروحية

زيارة القديسة مريم البتول

كان رجلُ المحبّةِ المتقدة، ديونيسيوس كارتوريانوس، يسمّي العذراء القديسة "شفيعة الخطأة الملتجئين إليها". فيا والدة الله، المُدافعة عن كبار المجرمين الملتجئين إليك، ها أنا الآن أضرع عند قدمَيك مردِّداً مع القديس توما الفيلنوفي: "إنَّ مهمّتَكِ هي التشفُّع، فتممي الشفاعة وتولي الدفاع عني". أنّي أُقِرُّ بذنوبٍ اقترفتُها بحقِّ الربِّ فأهنته، هو الذي أغدقَ عليَّ فيضاً من

إنعاماته، لكن الشر قد حصل، وأنتِ القادرة أن تنقذيني. يكفي أن تذكري أمام الرب بإنك محاميتي، لأنال الغفران والخلاص.
†: يا أمّي الحبيبة بك منوطةٌ مهمة خلاصي.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة الثانية والعشرون:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

إنَّ عروسةَ نشيد الأناشيد كانت لا تهدأ في البحث عن حبيبِها سائلةً: "أرأيتم من احبَّتْه نفسي؟" (نشيد٣: ٣). في ذلك الحين لم يكن يسوع قد جاء بَعدُ إلى أرضنا. أما اليوم، فالنفسُ التي تحبّ يسوع وتبحثُ عنه تجُده دائمَ الوجودِ في القربان. وقد قال البار أفيلا الكاهنُ: "ليس هناك في الكنائس أجمل من تلك التي يُعرض فيها القربان الأقدس".

فيا يسوع، يا حبّ الله اللامتناهي، كيف أمكنَكَ أن تنحدر لتسكنَ بين بني البشر؟ وتختبئَ في الخبز مريداً توحيد ذاتك بقلوبهم؟ أيها الكلمة اللامتناهي، إنحدرتَ إلى أقصى درجات الإتّضاع، فكيف لي أن لا اُحِبَّك بعد يقيني بما فعلتَه مِن أجلي؟ أُحبُّك وأسعى وراء إرضائكَ أكثر من حبّي لنفسي، وجُلّ فرحي هو أن أُرضيك. فأشعل فيَّ الرغبة الجامحة في المثولِ أمام القربان الأقدس، لأستقبلك وأبقى بالقرب منك. سأُمسي عاقاً إن لم أقبل عطاياك الرحومة. أزل يا رب كل ميلٍ يدفعني نحو المخلوقات. تريدني أن أجعل منك هدف شوقي وحبيَ الوحيد. اُحبك يا إلهي الفائق الصلاح ولا أريد سواك. لن أبحث عمّا يرضيني، ولا أريد إلاّ رضاك. فيا يسوع إقبل من خاطئ رغبتَه الصادقة في أن يحبَّك. ساعدني بنعمتك وهب عبدَ الجحيم التاعس هذا، أن يَكون خادماً سعيداً في محبَّتك.
†: أحبك يا يسوع، يا نعيمي فوق كلّ النِعم.

المناولة الروحية

زيارة القديسة مريم البتول

يا أمّي الحنون، أنا لست، سوى ذاك الشقيِّ المتمرِّدِ على ابنك، لكنّني في توبتي أسجدُ تحت قدمَيك فاسألي ليَ الغفران. لا تقولي إنَّك غير قادرة على ذلك، أنتِ التي يدعوك القديس برناردوس "وزيرة الغفران"، والقديس أفرام "دعامة مَن هم في خطر"، فمَن يا تُرى يقبع في الخطر أكثر مني؟ لقد فقدتُ الله وحُكِمَ عليّ بعذابات جهنم، ولا أعلم إن كان الله قد سامحني أم لا، ومن المحتمل أن أفقده مجدداً، لكنّكِ قادرةٌ على نيل كل ما تريدينه، لا أنتظر منك إلا نيل المغفرة والثبات والنِعم. أَرجو أن أكون من عدادِ الذين سيسبّحون رأفتك في مملكة المبارَكين، لأنّ شفاعتكِ أنقذتني.

†: هاءَنذا أترنَّم بمراحِم مريم الى الأبد وأُبارك رأفتها على الدوام آمين

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة الثالثة والعشرون:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

كثيرٌ من المسيحيين يواجهون المخاطر والأتعاب عند زيارتهم الأراضي المقدَّسة والأماكن التي وُلد فيها وتألم ومات مخلصُنا الحبيب. أما نحن فلسنا بحاجةٍ إلى القيام بهذه الأسفار الطويلة، ولا إلى مقارعة الأخطار. لأنَّ الرب قريبٌ منّا، في الكنيسة بجانب منزلنا. والقديس باولينوس يقول: "إن كان الحجاج، بعد معاناة أخطار الطرقات، يبتهجون إن هم أحضروا معهم حفنةَ غبارٍ من مغارة الميلاد، أو من قبر المسيح في الأراضي المقدّسة، فكم ينبغي علينا نحن أن نتلهّف إلى زيارة القربان الأقدس، بلا أتعاب أو مخاطر، حيث نجد المسيح بحدِّ ذاته هناك؟

كان هناك رجلٌ تقي وقد منحه الله نعمة التكرُّس والتوق الكبيرَين إلى زيارة سرِّ القربان الأقدس، فكتب في رسالة مرهفةِ الأحاسيس قال: "لقد وجدتُ أنَّ

نعيمي مُتأتٍ من القربان الأقدس، فسلَّمتُ ذاتي بكليّتها ليسوع على المذبح، ونلتُ الكثير من النِعم التي لم يستطع بشرٌ نيلها لأنّهم لم يبحثوا عنها ههنا، على الرُغم من أنّ للمسيح رغبة عميقة في إعطائها. فيا أيها السرُّ القدّوس، يا قرباناً مقدّساً! فيكَ كشف الله عظيم جبروته، وبك يكمن كمالَ صنيع الله من أجلنا. فلا نحسدنَّ سعادة الطوباويين لأن الربَّ نفسَه موجودٌ معنا على الأرض في تجلّيات حُبِّه بأكملها. فلنشجِّع الذين نتكلم معهم كي يكرّسوا ذواتهم بأكملها للقربان الأقدس. وأنا، حين أفكّر في هذا الأمر، أغيب عن عالمي ولا يُمكنني السكوت عن التّكلّم عن القربان الجدير بالحبِّ الفائق. لستُ أدري ما يُمكنني فِعلُهُ كي أنال رضى يسوع الكامن في القربان". بهذا الكلام أنهى الرجل التقيّ رسالته.

فيا أيها السيرافيم الذين يُضرِمون نار الحبِّ اللطيفة حول إلهكم وإلهي، دعوني أحترق في تلك النيران عينِها، لأنَّ ملك السماء انحدر ليسكن هنا في القربان من أجلي أنا. فيا يسوع أشركني بلهيبك لأحترق بك. اجعلني أعرفُ عظمة الحبِّ الذي تشعر به تجاه البشر، لأشعر بنار حبِّك وخدمتك تنبثق من داخلي. أحبك أيها الربُّ الفائقُ المحبة، أحبُّك دوماً وسأعمل كلَّ ما يرضيك.

†: يا يسوع، أومن بك وأضعُ رجائي فيك وأحبك وأمنحك ذاتي.

المناولة الروحية

زيارة القديسة مريم البتول

أيتها العذراء الفائقة المحبة، يسمّيكِ القديس بونونتورا: "أُمَّ اليتامى"، والقديس أفرام: "معونة اليتامى". لكن اليتامى الحقيقيين هم الخطأة البائسون الذين فقدوا إلههم، لذا إنّي ألتجئُ إليك يا أمّي الغالية. وقد فقدتُ أبي، فأعينيني كي أجِدَهُ.

أدعوكِ إلى مساعدتي في شقائي، فأعينيني. هل تتركينني من دون عزاء؟ إن البابا إينوشنسيوس الثالث يقول: "تُرى مَن يستغيث بمريم ولا تستجيب له؟". تُرى مَن تضرّع ولم تُصغي أنتِ إليه وتُعينيه؟ فالذي لم يستعن بك ضاع. لذا

أردت أنْ أخْلُصَ يا ملكتي، امنحيني أن أتضرّع إليك دائماً وأن اُسلّمك ذاتي.

†: أيتها البتول الفائق قدسها، يا ملكتي، إمنحيني الثقةَ بكِ.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

ألزيارة الرابعة والعشرون:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

"إنّكَ إلهٌ محتجب" (اشعيا ٤٥: ١٥). لا يوجد تعبيرٌ أصدق من هذه الكلمات، تكشف عن عمل الحب الإلهي، أكثر من سر القربان المعبود، الذي فيه يحتجبُ اللّه بكلِّيته. لقد احتجب لاهوتُ الكلمة السرمدي في سر التجسُّد، وظهرَ على الأرض بالطبيعة الإنسانية. وحين وضعَ يسوع نفسَه في هذا القربان ليبقى معنا، حجب إنسانيّته تحت شكلِ الخبز ليثبت لنا حبه الكامل. ويقول القديس برناردوس : "إنهُ تعالى أخفى لاهوته ثمّ أخفى ناسوته وأظهر فقط عمق محبته"

يا مخلِّصي الغالي، حين أرى محبّتك الكبيرة للبشر، يُجَنُّ جنوني ولا أعلم ماذا أقول. فأنت تسكن في هذا القربان حباً بهم، حاجباً جلالك، مُواضعاً مجدَك مُتخلِّياً عن حياتك الإلهية. وبما أنّك على المذبح، فإنك لا تفكر إلاّ بحبِّك للبشر كاشفًا لهم عن هذا الحبّ. فكيف يشكرونك على جميلك، يا ابن اللّه المختار؟

يا يسوع، يا صديقًا مولعاً بحُبِّ البشر، إنَّك تَراهم يفضِّلون ذواتهم عليك، فهل تجهل كم تواجه من الازدراء؟ إني أرى، كما رأيتَ أنت، أنّ البشر لا يعبدونك ما فيه الكفاية، وهم يرفضون أن يعترفوا بأنَّك هديتهم في القربان. لقد رموا شعاعَ القربان مراراً على الأرض وفي الماء وضمن النار. وأرى أيضاً أنّ بين المؤمنين بك، وبدل التعويض عن تلك الإهانات بمسلكهم الحسن، يهينونك بعدم زيارتك في الكنيسة متخلِّين عنك متروكاً وحيداً على المذبح.

نعم يا مخلصي أليس باستطاعتي أن أغسل بدموع الندامة، بل وحتى بدمي، كلّ الأماكن التي أُهينَ فيها وجودُك في القربان الأقدس. لكن إن كان يصعُبُ عليَّ ذلك، فأرغب في أن أزورك دائمًا لتأدية العبادة، كما يليق بك، يا مخلِّصي.

إقبل أيها الآب السرمدي هذه المبادرة الضعيفة، تعويضاً عن إهانات تتلقاها في هذا السر الإلهي، وعن تلك التي يتلقاها ابنك الحبيب أيضاً، إقبلها منّي أنا أحقر الناس. فإنَّ ابنك المسيح يسوع قد مجّدك تمجيداً لامتناهياً على الصليب، ويمجِّدك كل يوم على المذبح.

يا يسوع الحنون، كم أنا عاجزٌ عن أن أجعل البشر كلَّهم يحبّون القربان الأقدس بالقدر اللائق.

†: يا يسوع المحب، هبنا أن نعرفك وأن نحبّك.

المناولة الروحية

زيارة القديسة مريم البتول

يا سلطانتي الكلِّية القدرة، أنا في مخاوفي بشأن خلاصي الأبدي، لي ثقةٌ كاملة بلجوئي إليكِ، وأعرفُ يا أمّي أنّك الغنيَّة بالنعم. فالقديس يوحنا الدمشقي يدعوكِ "يا بحرَ النعم"، والقديس بونفانتورا يسميك "ينبوع تجمُّع النعم"، والقديس برناردوس: "مليئةً بكل النعم". وأنا على يقينٍ من أنّكِ تريدين أن تهبي النعم الفيّاضة، وتعتبرين الإهانة في أنْ نمرّ بقربك دون أن نطلب منك شيئًا، كما قال القديس بونفانتورا. فيا ملكتي الفائقة الغنى والحكمة والرأفة، أنت تعلَمين حاجات نفسي أكثر مني، وتحبّينني أكثر ممّا أُحبُّك. فاستمدّي ليَ النعمة التي تساعدني في خلاصي.

†: يا رب، امنحني النِعم التي تَطْلبُها مريم لي.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

ألزيارة الخامسة والعشرون:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

يمدح القديس بولس طاعة المسيح الذي أطاع الآب السرمدي حتى الموت:

"لقد وَضَعَ نفسَه وأطاع حتى الموت موتِ الصليب" (فيليبس ٢: ٨). لكن في هذا القربان أنجز يسوع عملاً أعظم بكثير من ذلك، فلم يطِع أباه وحسب، بل أطاع الإنسان أيضاً، ليس حتى الموت فقط، لكن كل الأيام الى انقضاء الدهر.

فها هو ملك السماوات ينحدر إلى الأرض طائعاً الإنسان، منتظراً على المذبح ليحقق الطلبات: "اما أنا فلست اُخالف" (اشعيا٥٠: ٥). يمكث حيث يضعه البشر، على منصّة القربان الأقدس، أو في بيت القربان مُقفلاً عليه، لا يحرّك ساكناً. ويتركنا نتنقَّل أينما أردنا، في الشوارع والمنازل، مُقفلاً عليه بالمناولة لكلّ الناس أبرارًا أو خطأة. ويقول القديس لوقا إنّه كان مطيعاً لمريم ويوسف. لكنه في القربان الأقدس، يطيع الكهنة الذين ينادونه، ويردد مع أشعيا: "أما انا فلست اُخالف".

فيا قلبَ يسوعَ المُحبّ، الذي منه خرجتّ كل الأسرار المقدسة وقربان المحبة هذا، أريد أن أكرّمك اليوم وأمجّدك بقدر ما تكرّم أنت الآب السرمدي وتمجّده. وأنا عارفٌ أنّه عبر هذا المذبح بالذات أحببتني كما فعلتَ حين قدَّمتَ ذاتك على الصليب مُضَرَجاً بالمرارة والعذاب. نوّرنا أيّها القلب الإلهي ليعرفك الذين يجهلونك. حرّر النفوس المطهرية الحزينة، أو على الأقل خفِّف آلامها فقد أصبحتّ عروساً لك في الأبدية.

أعبدك وأباركك وأُحبك مع كل النفوس التي تحبُّك على الأرض وفي السماء. طهّر قلبي يا رمز الطهارة، وافصله عن كل الخلائق واملأه بحبك المقدس. امتلك قلبي بكامله كي اُردد دائماً: "من يفصلني عن محبَّة المسيح" (روم ٨ :٣٥). احفر في قلبي تذكار كل الآلام المريرة التي عانيتَها على الأرض لسنواتٍ عديدة، واحتملتَها من أجل محبتك الفائقة لي، كي أتشوّق من الآن فصاعداً إلى تقبُّلِ آلام الحياة الحاضرة، أو أقله أن أحتملها بصبر من أجل محبّتك.

يا قلب يسوع الفائق التواضع، شاركني بتواضعك. أيها القلبُ المليء وداعةً

شاركني بحنوّك وحررني من كلّ ما يزعجك. اجذبني إليك تماماً فلا أريد إلاّ ما تريده أنت، ولا أرغب إلاّ ما ترغبُه أنت. هبني ألاّ أعيش إلاّ لأطيعك وأحبّك وأرضيك. أقرّ بأنّني أدين لك بالكثير، بأنّك ألححتَ وأغدقت عليّ النِعم. فليس بالأمر الكثير أن أحترق بكلِّيتي من أجلك.

†: يا قلب ربي يسوع، يا ربّ قلبي الوحيد.

المناولة الروحية

زيارة القديسة مريم البتول

يقول القديس برناردوس إنّ مريم هي سفينةٌ سماويةٌ، فإن نحن لجأنا إليها في الوقت المناسب، تنقذنا من الغرق يوم اللعنة الأبدية. ويمكننا بسهولة رؤية صورة مريم في سفينة نوح الناجية في أثناء الطوفان. لكن حزقيال يقول إنّ مريم هي السفينة الأقوى والأرحب بكثير. فسفينة نوح لا يمكنها أن تستقبل سوى العدد القليل من البشر والمخلوقات، لكن سفينة مريم تستقبل كلّ مَن يلجأ إلى حمايتها، وتخلّصهم جميعاً: "لقد امتلأتِ وثَقُلَ حِملُكِ في قلب البحر" (حز ٢٧: ٢٥).

فما أشقى حالَنا لو لم تكن مريم موجودة، لأن الكثير من البشر سيضلّون؟ ولماذا يضلون؟ لأنهم لم يلجأوا إليك يا ملكتي. فمّن تراه سيضل إن هو التجأ إليك؟

†: أيتها الفائق قدسها مريم، أعطنا أن نلجأ إليك دائماً.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة السادسة والعشرون:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

"إبتهجي وتهللي يا ساكنة صهيون لأنَّ قدوُّسَ إسرائيل في وسطك عظيمٌ" (اشعيا١٢:٦). يا إلهي، أيّ ابتهاجٍ أو رجاءٍ أو شعورٍ ينتاب البشر حين

يدركون أنّ عندهم، في كنائسهم، بالقرب من منازلهم، في قدس الأقداس، يحلُّ على المذبح في القربان الأقدس، ألإله الحق، الذي يهب القديسين السعادة في الفردوس بحضوره، إنّه الحب الحقيقي. فالقديس برناردوس يقول: "على مقدار عظمته يفيضُ فيهِ الحب". فالقربان الأقدس ليس قربانَ محبةٍ فقط، لكنه الحب في حد ذاته، هو "الله محبة" بفضل المحبة الفائقة التي يكنّها لمخلوقاته. (١يوحنا ٤:٨) لكنّني أسمعك تتأوّه يا يسوع، فتقول: "كنتُ غريباً فما آويتموني" (متى ٢٥: ٣٥)

أتيتَ لتكون مُضيفاً لنا على الأرض وتخلّصنا فلم نستقبلك. أنت على حقّ يا رب، أنت على حقّ، فأنا بنفسي أحد ناكري الجميل المهمِلين الذين لم يزوروك. عاقبني، لكن لا تحكم عليّ بالعقوبة التي أستحقها، وهي أن أُحرَم من وجودك. لا يا ربّ! أريد أن أُصلح كل أخطائي تجاهك! أريد أن أزورك في معظم الأحيان، وأتحدّث إليك أطول وقت ممكن.

يا فاديَّ العطوف، هبني أن أكون أميناً لك، وأن أُشجِّع الآخرين بمثَلي أمامهم على البقاء برفقتك في القربان الأقدس. ها أنا أسمع الآب السماوي يقول: "هذا ابني الحبيب الذي عنه رضيت" (متى١٧ :٦). فإن كان الله يجد فيك كلّ مرضاته، فها أنا الكائن الحقير، لن أجد سروراً أعظم من البقاء بقربك في وادي الدموع هذا! يا نارًا آكِلة دمّر فيّ كلّ عاطفةٍ تجاه المخلوقات التي يمكنها أن تُثنيني عن الأمانة لك أو تبعدني عنك. إنْ شئت فأنت قادر. لقد فعلتَ الكثير من أجلي، فتعال أيضاً واطرد من قلبي كل حبٍّ ليس لك. هيا يا ربّ، إني أهبك نفسي بجملتها، مع كلّ ما تبقّى من حياتي، وأكرّسها للقربان الأقدس.

كن يا يسوع معونتي وحبّي طوال حياتي. وفي ساعة مماتي ستأتي إليّ في المناولة المقدسة الأخيرة، وستقودني إلى ملكوتك السعيد، آمين، آمين، هذا ما أرجوه يا يسوع، آمين.

†: متى أرى يا يسوع وجهك الجميل؟

المناولة الروحية

زيارة القديسة مريم البتول

أيتها الأم الفائق قدسها، فيك نجد الدواء لكل آلامنا والمساندة لضعفنا. لذلك يدعوك القديس جرمانوس: "قوةَ ضعفنا". فأنت الباب الذي نخرج من خلاله من عبودية الخطيئة فيسمّيكِ القديس بونونتورا: "باب النجاة" و"سلامنا الداخلي". وكما يقول القديس لورانسيوس يستنيانوس: "انتِ شفاؤنا وانتعاشنا في زمن غربتنا". فيك أيضاً نجد النعمة الإلهية والله في حدّ ذاته يا عرش نعمة الله. وكما يقول بروكوس: "أنتِ جسرٌ يوصل الله إلينا، ومرفأٌ به يعود الله ليعيش بالنعمة في النفوس التائبة، بعد أن أرغمته خطايانا على الابتعاد.

†: يا مريم، أنت قوّتي وراحتي وخلاصي.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة السابعة والعشرون:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

تقول ترنيمة الكنيسة أمام القربان الأقدس: "لا توجد اُمةٌ اخرى عظيمة تنعم باله قريب منها، مقيم معها، كما يوجد إلهنا فيما بيننا". فحين كانت الأمم تسمع حديثاً عن أعمال برّ إلهنا كانت تقول: "يا لصلاح هذا الإله، إله المسيحيّين!". بالحقيقة، مهما صنعت الأمم آلهة بحسب هواها، كما يذكر التاريخ، فليس لها شبهٌ بالإله الحقيقي، فهو من أجل حبِّه للبشر، ولأجل إغنائهم بنعمته، يأتي ليسكن ليلاً ونهاراً على مذابحنا كأنه عاجز عن الابتعاد عنّا ولو لبرهةٍ واحدةٍ "صانعًا ذكرًا لعجائبه" (مزمور ٤:١١٠).

فيا يسوع الفائق الحنان، لقد صنعت أكبر معجزاتك لترضي رغبتك الكبيرة في أن تتواجد في ما بيننا إلى الأبد. تُرى لماذا يهرب البشرُ من حضورك في ما بينهم؟ كيف يستطيعون العيش زمناً طويلاً بعيدين عنك؟ كيف لا يزورونك إلاّ نُدرة؟ ولِمَ نفورهم الكبير في أثناء زيارتهم لك، معتبرين

ربع ساعة من الوقت دهراً طويلا؟

كم أنت طويل الأناة يا يسوع! نعم لأنّ حبَّك للبشر كبير، وهذا ما يدفعك إلى البقاء بين ناكري الجميل هؤلاء. فيا إلهي اللامتناهي في المحبة وفي المثالية، لا تسمح أبداً بأن أُحزِنك فيما بعد بكوني في عداد الذين أنكروا جميلك.

إمنحني حبّا يتناغم مع استحقاقاتك، ويلبّي ما أدين به إليك. لقد مرّ زمنٌ من حياتي كنتُ أشعر فيه بالنفور تجاهَك. لم أكن أحبّك كفايةً، لكن إن أتت نعمتك لإغاثتي، واستطعتُ أن أحبّك كما أرغب، فلن أشعر بأيّ نفور، ولا بأيّ ملل حين أقضي الأيامِ والليالي تحت أقدام القربان الأقدس الذي تسكنه.

أيها الآب السرمدي، اُهديك ابنك ذاته، فاقبله، وامنحني باستحقاقاته حباً قوياً وحنوناً للقربان الأقدس. فحين أذهب إلى الكنيسة حيث هو معروض، لن أفكّر إلاّ في السجود في حضرته، ولن أرغب إلاّ في ذلك.

†: إلهي، من أجل محبَّة يسوع المسيح، إمنحني حباً كبيراً للقربان الأقدس

المناولة الروحية

زيارة القديسة مريم البتول

مريم هي برج داود على ما قال الروح القدس في سفر الأناشيد: "إنَّ عنقكِ كبرج داود المبني بالمحاصن المعلق عليه ألف ترس وجميع دروع الجبابرة" (نشيد ٤:٤). لقد بُني هذا البرج مع ألف قلعة تحميه، وفيه كل أنواع الأسلحة لمَن يلجأ إليه. وأنتِ أيتها البتول إنَّكِ فائقة القداسة، بحسب قول الشهيد القديس إغناطيوس: "قلعة حصينة وملجأ لكل المناضلين". فيا للهجومات المستمرّة التي يشنّها أعدائي، لحرماني من النعمة الإلهية ومن حمايتي. لكن، أيتها الملكة الغالية الثمن، أنت القلعة المناضلة عمّن يسلّم نفسه إليك. " أنتِ المحاربة عن الواثقين بكِ" كما قال القديس أفرام، فدافعي عنّي، وناضلي من أجلي لأنّني أضع فيك كلّ ثقتي ورجائي.

†: يا مريم، يا مريم! إسمك هو قلعتي الحصينة.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

ألزيارة الثامنة والعشرون:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

يقول القديس بولس "إن الله لم يُشفق على ابنه، بل أسلمه من أجلنا كلنا، فكيف لا يهب لنا معه كل شيء؟" (رومية٨ :٢٢). فليكن معلوماً أنّ الآب السرمدي منح المسيح يسوع كلّ ما له. "إن الآب جعل الكلَّ في يديه" (يوحنا١٣:٣). ولنشكرن إلهنا الفائق المحبة على صلاحه وكرمه ورحمته، فقد أراد إغناءنا بكل خير إذ أعطانا يسوع في القربان الأقدس. "إنني أشكر إلهي في كل حين لأجلكم على نعمة الله المعطاة لكم في المسيح يسوع لأنكم قد أغتنيتم بهِ... حتى إنهُ لا يعوزكم من المواهب شيء" (١كورنتس١: ٤-٧).

أنا استطيع، يا فادي العالم ويا أيها الكلمة المتجسد، أن أُوَكّد أنّك لي بكلِّيتك، لكن هل يمكنني أن أقول إنّني لك بكلِّيتي وماذا تريد مني؟ يا ربّ، لا تسمح بأن يُنظر إليَّ كناكر للجميل وممانع لإرادتِك، أنت الذي أردتَ أن تقبلني. لا أُريد أن يحدث ذلك مرّةً ثانية. فليتبدّلً الزمن الآتي عن الماضي. أعتزم اليوم أن أكرّس ذاتي كاملةً لك في هذه الحياة وفي الحياة الآتية. إني أعطيك حياتي وإرادتي وأفكاري وأعمالي وآلامي. هاءَنذا لك بكلِّيَّتي أُضحيةَ تقدمةٍ، وقد تحررتُ من الخلائق، فاغمرني بنار محبّتك، لأني لا أرغب في أن تستوليً الخلائق على أدنى جزء من عواطفي. ها إن إشارات الحب التي أعطيتنيها، حتى في الوقتٍ الذي لم أحبّك فيه، تحملني على الرجاء بأنّك ستقبلني لأنّني أحبّك اليوم، وأُعطيك ذاتي حباً بك.

يا أيها الآب السرمدي، أقدّم لك كل فضائل قلب ابنك الحبيب وأعماله وعواطفه. فاقبلها منّي وباستحقاقاته التي أصبحت الآن ملكاً لي، بما أنّه أعطاني إياها، إمنحني هذه النعمة، ويسوع نفسُهُ يطلبها لي. وبالاستحقاقات نفسِها أشكرك على كل رحمةٍ نلتُها منك، فبها أسدّد الدين الذي راكمته خطاياي تجاهك، لأنال النعمً التي أحتاج إليها، من غفران المآثم والمثابرة والملكوت السماوي، وبخاصّةٍ النعمة الثمينة في حبّك الطاهر. فمعوقات

العمل بمشيئتك تصدر عنِّي، لكن العلاج بين يدَيك يا ربّ. فأطلبُه منك باسم يسوع المسيح الذي قال: "الحق اقول لكم ان كل شيء تسألون الآب باسمي يعطيكموه" (يوحنا١٦:٢٣). فلا يمكنك رفضي، وأنا لا أريد سوى أن أحبك وأن أعطيك ذاتي كاملةً، وأتخلى عن نكران الجميل إلى الأبد. لبِّ طلبي يا ربّ، ليكن هذا النهار نهار ارتدادي إليك كاملاً، وهبني ألاّ أتوقف عن حبك أبداً. أحبك يا إلهي، أحبك أيّها الصلاح اللامتناهي، أحبك يا محبتي، يا جنّتي، يا خيري ويا كلي.

†: يا يسوع، يا كلّي، أنت تريدني، وأنا أريدك.

المناولة الروحية

زيارة القديسة مريم البتول

أيّة راحة أشعر بها في كلّ شقائي! كم أتعزّى في كلّ محني! أيّة قوّة أشعر بها في خضمّ تجاربي، حين أناديكِ لتنقذيني، يا أمّيَ الفائقة الحنان والقداسة، يا مريم. فالقديسون محقّونَ في دعوتك ميناء الحزانى، ودواء الشفاء من الشقاء، وعزاء الحزانى، وراحةً عند البكاء. فيا مريم الفائقة الصلاح، عزّيني أنا المثقل بالخطايا، والمحاط بالأعدء، ولا أمتلك فضائل. كما أنَّ حبي لك بارد، فعزّيني، عزّيني! لأبدأ حياةً جديدةً ترضي ابنك وترضيكِ.

†: بدّليني يا مريم، يا أمّي الحنون، بدِّليني، لأن اتكالي عليك.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

ألزيارة التاسعة والعشرون:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

"هاءَنذا واقفٌ على الباب أقرع" (رؤيا٣ :٢٠). أيها الراعي الفائق المحبة الذي لم تكتفِ بالموت على الصليب من أجل حبّ نعاجك، بل إختبأتَ أيضًا في هذا القربان على مذابح كنائسنا لتكون أكثر قرباً منّا،

وأكثر إتاحةً لتطرقَ أبواب قلوبنا وتدخلها. كم أفرح بالسَّكن بقربك، كما تفرح عروس نشيد الأناشيد: "اشتهيتُ ان استظل بظله فجلستُ" (نشيد ٢:٣).

لو كنتُ أحبُّك! نعم لو إني كنت أحبُّك حقاً أيها القربان الأقدس المحِبّ، لما كنتُ أقبل الانفصال عنك لا ليلاً ولا نهاراً. فهناك أتوقف قرب عزّتك الإلهية المحجوبة تحت ظل أعراض الخبز المقدس الطاهر. سأجدك هناك أيضاً، حيث النفوس المولعة بك. يا ربّ، خذني إليك بجاذبية محبتك، وبحق حبّك المتصاعد الذي تُظهره لي في القربان الأقدس: "اجتذبني خلفك فاسعى إلى نسيم طيوبك" (نشيد ١: ٣).

أجل يا مخلصي، أكفر بكل الخلائق وبكل مسرَّات الأرض، لأكون بقربك "كفروع الزيتون حول مائدتك" (مزمور١٢٧:٣). فكم من ثمارِ الفضيلة المقدسة أعطتها النفوس الطوباوية التي تغمر شعاع القربان الأقدس بالشوق إلى الله ومحبته كالنباتات اليافعة! لكنّني أخجل من المثول أمامك متجرّداً وخالياً من الفضائل. فقد سألتَ كل مَن يقتربُ من المذبح ليكرّمك تقديمَ تضحية قلتَ: "لا تظهروا أمامي فارغين" (خروج ٢٣ :١٥). فماذا عليّ أن أفعل، هل أتوقف عن زيارتك؟ لا فهذا سيُحزنك، سأذهب إذاً مع ضعفي، وأنت يا ربّ ستمنحني كل الهبات التي تشاء أن أنالها. فأنت لا تسكن في هذا القربان فقط لتبقى قريباً ممَن يحبّك، بل لتوزّع خيراتِك على المهمَّشين.

إني سأبدأ اليوم بالذات يا رب. إنّي أعبدك يا ملك قلبي، يا صديق البشر الحقيقي، أيها الراعي المولع بحبّ نعاجه، أقتربُ من عرشِ محبّتك، وبما أنّني أعجز عن إهدائك أيّ شيء، أُهديك قلبيَ الحقير ليتكرّسَ بكلّيته إلى حبّك وإرادتك. سأتمكن من أن أحبك بهذا القلب، كما أريد أن أحبَّك به بكل ما أقدر عليه، فاجذبه إليك يا رب، واربطه بإرادتك لأردد مسروراً ما كان يقوله رسول الامم المقيّد بسلاسل حبك: "أنا أسير المسيح يسوع" (افسس٣ :١). وحِّدني بك وهبني أن أنكر ذاتي كي أصل يوماً إلى مرحلة

التحرر التام، فلا أجد سواك وأحبك إلى الأبد. أحبّك يا إلهي وأعطيك ذاتي، وأتّحد بك، فهبني أن أجدك وأحبَّك ولا أنفصل عنك أبداً.

†: يا يسوع، أنت وحدك تكفيني.

المناولة الروحية

زيارة القديسة مريم البتول

يدعو القديس برناردوس مريم البتول: "الطريق الملكية للخلاص" أي الأكثر أماناً لإيجاد المخلص. نعم أيتها الملكة العظيمة وكما يقول هذا القديس "إنّكِ بالحقيقة محجةٌ تؤدّي بنا الى اللّه"، هذا يعني أنَّكِ المرشد فلا تتوقعي أن أتمكن من السير في طريق اللّه منفردًا، بل أحتاج إلى أن تحمليني على ذراعَيك. فاحمليني صوب اللّه، وإن قاومتُ فأرغميني بكل قوّتك وبجاذبية لطفك، وانتصري على إرادتي الثائرة التي رَفَضتِ التخلي عن الخلائق وتوانت في البحث عن اللّه، واجعليني استسلم أمامه. أظهري لسكان السماء مدى قوّتك، وأظهري بعد كل هذه المعجزات معجزة إضافية تتمثل برحمتك، فيربح اللّه خاطئاً كان بعيداً عنه.

†: يا مريم، أنت قادرةٌ أن تقدّسيني، وهذا ما أرجوه منك.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة الثلاثون:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

"لماذا تَصرِفُ وجهك عني" (ايوب١٣ :٢٤). كان أيوب يرتعد خوفاً حين يرى اللّه محتجب الوجه، فلا نرتعدنَّ مثله حين نرى المسيح يسوع محتجب الجلالة في القربان الأقدس. بل علينا الشعور بالثقة والحب الأكبر، لأنه اختبأ في شعاع القربان كي يُظهر حبه بشكل أفضل، ويُنمي بالتالي فينا الرجاء. فمَن ذا الذي يجرؤ على الاقتراب منه بثقة ويكشف رغباته وعواطفه، إن رأى ملك

السماء حاضرًا على مذابحنا بكل جلاله ومجده؟

يا يسوع، كم يبدو العمل الذي قمت به بحضورك في القربان الأقدس عملاً مليئاً بالمحبة، فتختبئ تحت شكل الخبز لتحملنا على محبتك، نقترب ممّن يريدك! لقد كان النبي أشعيا على حق حين أوصى البشر إذاعة ذلك في كل أرجاء الأرض ليظهر عظمة أعمال الحب الذي يكنّه الله لنا: "اشكروا الرب... واخبروا في الشعوبِ باعماله" (١٢:٤).

يا قلب يسوع الفائق المحبة والذي يستحقّ امتلاك قلوب كل الخلائق. أيها القلب المليء دومًا بشعلة حبّك النقي، يا ناراً متقدةً، احرقني وامنحني حياةً جديدةً ملؤها المحبّة والنعمة. وحِّدني فيك توحيداً قوياً فلا أستطيع الانفصال عنك بعد الآن. أيها الحب المنفتح، يا ملجأ النفوس، استقبلني. أيّها القلب المصلوب الذي أحزنَتّه خطايا العالم، إمنحني أن أتألّم من أجل خطاياي. أعلم أنّك، في هذا القربان الإلهي، تنتابك المشاعر عينها التي شعرت بها حين متّ من أجلي فوق الجلجلة. إنَّك تريد أن تتّحد بي، فهل يمكن أن أقاوم حبّك ورغبتك بعد ذلك؟

اجرحني وقيّدني وكبّلني يا يسوع، باستحقاقات آلآمك، حتّى توحّدني بكليّتي في قلبك. فقد قرّرت اليوم، وبقوّة نعمتك، أن أعمل كلَّ ما يرضيك، فأزدري ميولي والملذات والرفاهية وكل ما قد يُعيقني عن إرضائك إرضاءً كاملاً. هبني يا رب أن أنفّذ هذا العهد بتوافق أعمالي ومشاعري مع رضاك الصالح. يا حبّ الله، أزل من قلبي كلّ حبٍّ غريبٍ عن حُبِّكَ.

يا مريم، يا رجائي، أنت القادرة على كلّ شيء لدى الرب، نالي لي نعمة أن أكون خادماً له حتى الممات. وأن أشاركه حبّه الطاهر، آمين، آمين. أرجو في ذلك طوال حياتي، كما في الحياة الآتية، آمين

†: "مَن يفصلني عن محبّة المسيح".

المناولة الروحية

زيارة القديسة مريم البتول

يشهد القديس برناردوس أنّه لا يمكن أن تكون هناك محبّة أعظم من محبّة مريم لنا. فهي في محبّتها، مستعدة دائماً للتعاطف مع معاناتنا وإنقاذنا بالسلطان المعطى لها. فيا أيتها البتول الفائقة الطهارة، أنت الغنيةُ بالقدرة والتضامن، أنت قادرة على إنقاذنا جميعاً وتريدين ذلك! لذا أصلي لك اليوم ودائماً مع بوليسوس التقي: "أيتها السيدة دافعي عني انا المحارب وقوّيني انا الضعيف". يا مريم الفائق قدسها أنقذيني دوماً في معركتي الضارية ضدّ جهنّم. وحين ترينني أترنّح وأوشك أن أستسلم، مدّي لي يا ملكتي يدك سريعاً واعضديني بقوتك الفائقة.

يا إلهي، كم عليّ المحاربة وتخطّي التجارب، منذ الآن وحتى موتي؟ فلا تسمحي يا مريم، يا ملجأي وقوّتي ورجائي أن أخسر نعمة الله لأنّني أعتزم اللجوء إليك من دون أيّ توانٍ، وفي كل الظروف التي تدهمني فيها التجارب لتنال مني.

†: ساعديني يا مريم، ساعديني!

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

الزيارة الحادية والثلاثون:

* خذ برهةً لبدء صلاتك من الغلاف (A)

ما أروع رؤية فادينا الإلهي، مُتعباً من السفر، يجلس على حافة البئر، ينتظر سامريةَ لتتوب فيخلّصها (يو ٤: ٦). واليوم أيضاً ها إنَّ يسوع بانتظارنا على المذبح حيث نزل من مسكنه السماوي للتحدّث إلينا ببساطةٍ وهدوء. وكما جلس بالقرب من نبع النعم، هو هنا يدعو النفوس إلى مرافقته لبعض الوقت كي تمتلىء بحبّه الطاهر. ونسمع صوتاً فوق المذابح يقول: "أيها الإنسان، لماذا تهربُ من حضوري، لمَ لا تأتي، لمَ لا تقترب منّي، أنا الذي أحبّك حباً جماً

والذي أتنازل بالبقاء في هذا المكان لصالحك وخيرك؟ ممّ تخاف؟ فأنا لم آت الآن إلى الأرض لأحكم عليك، لكنّني اختبأت في قربان الحبّ هذا لأغدق عليك الخيرات، ولأخلّص كلّ مَن يلجأ إليّ: "لأنّي ما جِئتُ لأدينَ العالَمَ بل لأُخَلِّصَ العالَمَ" (يوحنا١٢: ٤٧).

فلنعلم إذاً أنَّ المسيح يسوع وهو في السماء يريد صالِحنا "ويشفع بنا على الدوام" (عبرانيين٧ :٢٥). وكذلك وهو في القربان الأقدس يرأف بالخطأة ويقدّم نفسه ليلاً ونهاراً أُضحيةً إلى الآب الأبدي، ليهبنا النعمة والرحمة. كان الطوباوي دو كيمبيس يقول: "علينا الاقتراب من يسوع في القربان الأقدس بلا خوفٍ من العقاب، بل كما نقترب من صديق نحبّه". فبما أنّك تسمح بذلك، يا ملكي وربي، سأعطيك قلبي بكلّ ثقة وأقول: يا يسوع الذي يحبّ النفوس حباً جمًا، أعرفُ يقيناً أنَّ البشر يرتكبون الخطايا بحقك. أنت تحبّهم وهم لا يُحبّونك. أنت تُبادر بالخير وهم لا يزورونك، انت تريد أن تُسمِعهم صوتك وهم لا يستمعون إليك، أنت تقدّم نِعمكَ وهم يرفضونها. فصحيح أنّني كنت يوماً من عداد ناكري الجميل الذين يرفضونك، لكن أريد يا يسوع أن أتوب إليك في الأيام التي بقيت من حياتي، وأعوّض عن كل ما أهنتك به لإرضائك وخدمتك.

قل يا رب ما تريده منّي! وسأفعل حالاً كلّ ما تريده. فهّمني إرادتك عبر المرشدين الروحيين، وسأطيعك يا إلهي. إني أعدك بعزم ألاّ أُهمل، من الآن فصاعداً، كل ما يوافق ذوقك حتى ولو اضطررتُ إلى خسران كل ما لي من أهلٍ وأصدقاء وصحةٍ وحياة. أخسر كلّ شيء بهدف إرضائك! طوبى لي إن خسرتُ وضحّيتُ من أجل إرضاء قلبك.

يا إله نفسي، أيّها الملك الصالح والمحبّ فوق كل شيء، أحبّك، ومن خلال محبّتك، أوحّد قلبي بقلوب السيرافيم أجمع، وبقلبَي يسوع ومريم. أحبّك من كل جوارحي. لا أحبّ احداً سواك، ولا أريد أن أحبّ سواك.

†: يا إلهي، يا إلهي، أنا لك وأنت لي.

المناولة الروحية

زيارة القديسة مريم البتول

يقول الطوباوي أمادوس إنّ ملكتنا القديسة مريم حاضرة دوماً قدّام اللّٰه كراعية لنا، تمنحنا المعونة بصلواتها، ولها الفَاعلية الكاملة لدى اللّٰه. ويضيف أن مريم الرؤوفة ترى شقاءنا والأخطار التي نتعرّض لها، فتشفق علينا بحبّها الوالدي وتأتي الى معونتنا.

فيا راعِيتي، أيتها الأمّ المليئة محبّةً، لقد سبق ورأيتِ شقاء نفسي والأخطار التي أَتعرَّضُ إليها، صلّي من أجلي. صلّي، صلّي، صلّي من أجلي ولا تملّي حتى تشاهديني في السماء مقدِّمًا لك الشكران. وكما يقول بولسيوس، إنَّكِ، بعد يسوع، ميناء الخلاص لكلّ مَن عاش خادماً مخلصاً لك يا مريم الفائقة الحنان.

فأنا أطلب منك اليوم نعمة أن أجاهد لأكون خادماً مخلصاً لك حتى الممات. وبعد موتي أباركك في السماء، فأتأكّد من أننّي لن أتعرّض إلى خطر الابتعاد عن قدمَيك المقدستَين، طالما أنّ اللّٰه هو إلهي!

†: يا مريم، يا أمي، أعطيني أن أكون دائماً لك.

* خذ برهةً لختام صلاتك من الغلاف (B)

يا خيري، يا إلهي أنت لي، أعطيك قلبي وكل نفسي ولا أريد سواك!
يا اللّٰه أنتَ إلهُ قلبي ونصيبي مدى الدهر وإلى الأبد.

ألفونس ماري دو ليغوري

مؤسس رهبنة الفادي الأقدس

الكتاب ألرابع

الصلاة حوار حميمي

تاريخ بدء التساعية

النوايا

....

....

....

....

....

....

....

....

....

الصلاة حوار حميميٌّ دائمٌ مع اللّٰه

بقلم القديس ألفونس دو ليغوري

الصلاة

"مَن يصلي فإنَّه بالتأكيد يخلِّص نفسه، ومَن لا يصلي فإنَّه بالتأكيد يدين نفسه".

لا تخف، ثق فقط

اللّٰه يحبّ الإنسان

إكتشف أيوب البار، منذ نعومة أظفاره، محبَّة اللّٰه للبشر، فأعلن أنَّ اللّٰه يحبُّ الانسان ويريد سعادته. أصدّقتم أم لا، فاللّٰه لا يرغب إلاّ في ان يجذب قلب الإنسان إلى محبَّته. وعندما شاخ أيوب، هذا الحكيم، سأل اللّٰه عن ماهية الإنسان ليمنحه كل هذه الأهمية الفائقة ويهبه كل هذا الإهتمام؟ فقد قيل قديماً: لا تحدّثوا اللّٰه إلاّ بالخوف والرعدة. وهذا عين الخطأ لأن عظمة اللّٰه اللامتناهية هي بغنىً عن خوفنا الذي يثنينا عن ثقتنا به، وعن اكتشاف قربه منا كالصديق والنديم.

أبانا الذي في السماوات

إنّ أسباب امِّحائنا أمام اللّٰه كثيرة، ومنها خطايانا الماضية ونكراننا للجميل، وهذا ما يُذكِّرنا بضعفنا. لكنَّ اللّٰه هو أبٌ على الدوام. وحين نرفع إليه الصلاة، علينا أنْ نمتلئ محبَّةً وثقةً. فصحيحٌ أنّ عظمة الرب لامتناهية، لكنه ،في الوقت عينه، مملوءٌ صلاحاً وحُبّاً لامتناهيَين. أجل، إنه المتعالي، واسمه قدوسٌ! لكنه العروس الفائق المحبة، الذي يجذب إليه كلَّ النفوس. وهل يسخط حين نأتي إليه، كما يأتي الطفل إلى أمه، وهو الممتلىء عاطفةً

وثقةً ببساطةٍ دائمة؟

فلنصغِ إليه على لسان أشعيا إذ قال: "ترضعون، وعلى الأيدي تُحملون، وعلى الركَبتَين تُدلَّلون، كإنسانٍ تعزيه أمُّه هكذا أعزيكم أنا". ففرحُ الأمِّ يكمُن في حملها ابنها على ركبتيها لتُغذِّيَهُ وتدلِّلَهُ، وفرح الرب يَكمنُ في أن يرى النفوس تسرع إليه، تحيط به من كل حدبٍ وصوب، وتضع آمالها وثقتها بصلاحه.

عندما يكون اللّٰه إلهاً يُحِبّ

لا أحد يعرف أن يحبّ مثل اللّه. لا أبٌ ولا أمٌ ولا أخٌ ولا زوجٌ باستطاعة أحدِهم أن يحبّ كمحبة اللّه. نعم، فالنعمة هي التي تصنع هذه المعجزة فينا كل يوم: والخلائق، التي شوهتها الخطيئة ورمتها في صفوف العبيد، ترتفع إلى مستوى كرامة أحبّاء الخالق الأعزاء.

إنَّ اللّه يؤكد لنا ذلك بالنبيّ القائل: "إن الحكمة (ونسميها اليوم نعمة) هي كنزٌ للناس لا ينقص، والذين نهلوا من مَعينها أشتركوا في محبة اللّٰه". إنَّ اللّه يريد عقد روابط ثقةٍ لامتناهية معنا، وقد أخذ على عاتقه تحقيق ذلك بذاته، كما كتب القديس بولس: "لقد أخلى ذاته"، فإن صحّ التعبير، لقد انحدر إلى مستوانا، ومكّننا بذلك من وصل الصداقات التي يريد أن يعقدها معنا. فالنبي باروك كتب مذهولاً: "أتى إلهنا ليعيش بين البشر".

إنحدر إلهنا، رغبةً منه بلقائنا فصار طفلاً وفقيراً بين الفقراء. ترك البشر يحكمون عليه ويصلبونه. وها نحن اليوم نجده كل يوم في سرّ القربان. حلَّ اللّه بين أبناء البشر. تحوّل إلى وعد وعهد من أجل كلٍّ منّا: "مَن أكل جسدي وشرب دمي ثبُتَ فيّ وأنا فيه"

اختارني اللّٰه

إنَّ اللّه يحبك وأنَّه لا يحبّ سواك، فبماذا تجيب؟ لا تبحث عن الإجابة. فليس هناك إلاَّ إجابة واحدة يصيغ الروح القدس كلماتها وقد نطقت بها عروس نشيد الأناشيد: "حبيبي لي وأنا له".

إنَّ اللّه يجد عروسه ومحبوبته في كل نفس ينتظر منها الكثير ويرجو. فهو يريد كلمة الحب الوحيدة التي تؤكد اختياره: "إختارني الرب حبيبة له، ومن بين الجميع أنا أختاره حُبِّيَ الوحيد"

تكلَّم أنت أيضاً إلى الربِّ، وقل له دائماً: "لِمَ يا ربُّ تحبني إلى هذا الحدّ؟ هل أنا جذّاب إلى هذا الحد؟ هل نسيتُ الخطايا والإهانات التي تسكنني ذكرياتها؟ عاملتَني يا رب بصلاح كبير جداً. فقد كان عليك إرسالي إلى الجحيم، وها أنت تعرض عليّ حبّكَ مجدداً! لكنك فزت يا رب! والآن لم أعد أريد أن أحبّ سواك يا ربي ويا كلّي. صحيح أنّي عشتُ حياتي بإهانتك، فأنا نادم كثيراً على ذلك، لا لأنّي كنت في خطر الموت، بل لأنّي جرحتُ محبتك أيها الصلاحُ اللامتناهي".

لقد قال داود التائب: "القلب المتخشِّع المتواضع لا ترذله يا اللّه". وأنا مثل داود أعود إليك يا ربّ وإلى الأبد. لا أريدُ سواك، واردد كل يوم كلمات المزمور: "مَن لي في السماء ومعك لا أريد شيئاً على الأرض. اللّهُ صخرة قلبي ونصيبي إلى الدهر".

في الحقيقة، أنت ربيَ الوحيد وخيري وفردوسي وأمل قلبي وحبه، ما دامت ليَ حياة، ورغبتي أن تكون كذلك!

لا تخف!

لا تتردد بعد الآن، وفكر في كلِّ ما فعله الرب من أجلك. هو الذي حفظك وحماك وخلّصك حين كنت بعيداً عنه؟ أليس ربّك مَن قادك إلى هذه الساعة التي فيها تحاول أن تحبَّه حقاً بعد أن فَطَرْتَ قلبَ مَن كنت تعبده منذ القدم؟

لا تشكك! فإنْ فقدتَ ثقتَك فستخسرُ كل شيء. لِمَ ترتجف؟ فقد جعلَك الربُّ تلمس رحمتَه لمساً! وسامحك عن ماضيك. أليس هذا دليلاً على أنّه يريدك له؟ فاللّه لا يحتمل قِلَّةَ الثقة مِن الذي يحبّ ويحبّه! فإن أردت أن تثلِج قلب ربك فرحاً، فضع فيه الثقة والمحبّة.

إسمع، هكذا يتكلم الرب: "هوذا على كفي نقشتك، وأسوارُك أمامي

دائماً". فإلى مَن يوجِّه كلامه هنا؟ يوَّجههُ إليك وإليّ وإلينا جميعاً. فاسمح له بأن يهمس أليك قائلاً: "لِمَ تخاف؟ حفرتُ اسمك على كفي لئلاّ أنساه أبداً، كما دافعتُ عنك وأنا لا أُبعِدُك عن ناظريّ!"

فردوسُ إله

كان داود يعيش على هذا الرجاء، وقد أنشَدَ: "أنت تُبارك الصديق يا رب، كأنه بترس تحيطه بالرضا". أمّا أنت فأنشِد بامتنانِك، وقد حصلتَ على نِعَم كثيرة من ربِّكَ! فكِّر بالعطيّةِ التي منحَكَ اللّه إياها في المسيح يسوع. فالقّديس يوحنا يذكرِّنا: "إن اللّه أحبّ العالم حتى بذَلَ ابنَهُ الوحيد كي لا يهلكَ كلُّ مَن يؤمن به". ويستنتج القديس بولس بقوله: "لم يضنَّ بابنه بل أسلمَهُ من أجلنا، فكيف لا يهبنا معه كل شيء؟"

إنَّ جنةَ اللّه تكمن فيك، وهي في قلب كل إنسان يُحبُّه. وقد أعلن في سفر الأمثال عن ذلك قال: "لذَّتي بين بني البشر". فجِد لذَّتَك أنت بوجوده معك، وليَدُم ذلك طوال حياتِك، وأنتَ تنتظرُ أن تلقاه في الأبدية.

تكلَّم إلى إلهِك باستمرار، تكلم إليه بدون تكلُّف، من القلب إلى القلب، فستجد فيه صديقاً، إنّه أفضل صديق يتمنَّاه جميعُ الناس.

أن تصلي: أمرٌ سهلٌ وجيِّدْ

هل تخاف منَ اللّه؟ هل ترتجف أمامه كما يرتجف العبدُ أمام سيّده؟ أنتَ على خطأ! فإن بدت لك الصلاة صعبة أو مملة فهذا خطأ فادح جداً. إسمع الكتاب المقدس في سفر الحكمة ماذا يقول: "وإذا دَخَلَتُ بيتي سكنتُ إليها، لأنه ليس في معايشتها مرارة، ولا في الحياة معها غِمة، بل سرورٌ وابتهاج". إستعلم واستفسر عن ذلك ممّن يصلّي. وسترى أنه سيعيد الكلام عينه. فإذا كان يعاني الكثير من المشاكل، فستنحلّ تماماً عندما يتكلَّمُ مع الرب عنها. سيختفي قلقه وسيعود سلامه وفرحه ليولد من جديد.

ستقول: "هذا صحيح، لكن لديّ عملٌ وواجبات مهنية أيضاً". قم بعملك

كالسابق وخذ الوقت الذي تحتاجُه، واحتفظ ببعضه مع الرياضة والاستراحة، لأنَّ المطلوب منك أن تعامل اللّه كما تعامل أعزّ صديق لك. إنّكَ تجد الوقت الكافي للجلوس مع مَن تُحب، فافعل ذلك مع اللّه وسيكون ذلك في غاية الروعة.

اللّه هنا!

إنَّ اللّه هنا، بقربِك، بل هو فيك! فحين كان بولس الرسول أمام حكماء أثينا هتف: "لنا به الحياة". لقد أخذ المقولة هذه من إيبمنيدوس الذي عاش ٦٠٠ عام قبل يسوع المسيح.

إذاً إنّه من المعروفِ جيداً أنّ اللّه ههنا وهو قريبٌ منك. فلست مضطرّاً للانتظار عند بابه. تكلَّمْ معه، قل له بغيةَ قلبِك، كلَّ همومِك وآمالِك وأحزانِك وعذاباتك. هذا يهمه. تكلم إليه بثقة وبقلبٍ منفتحٍ. فاللّه لا يحدّث مَن لا يجرؤ على المجيء إليه. وإن لم تأخذ المبادرة وتصلِّي فكيف تعرف صوته في أعماق قلبك؟ فقد اشتكى اللّه من ذلك في نشيد الأناشيد: "لنا أخت صغيرة ليس لها نهدان، فماذا نصنع لأختنا يوم تُخطب؟"

كل مَن يزدري نعمة الرب يجد فيه متسلِّطا، بل أقوى الأسياد وأكثرهم تخويفاً. لكن حين نصادقه يتغيّر كل شيء. فيصبح النديم، الذي نصل إليه بسهولة، فيما بيننا ليستمع إلينا ويعزّينا ويرفعنا إليه.

إنَّ احترام الجميع للّه حقٌّ له في كلِّ مكانٍ وزمان، لأنّه الرب! لكنه حين يأتي بنفسه إلينا ليُشعرنا بوجوده، فسنفتح بابنا لصديق محبوب. هو يأتي ليكلّمنا ويستمع إلينا. فلِمَ التردّد؟ فبإمكاننا أن نقول له كل ما نريد.

لقد كتب الروح القدس: "الحكمة تسبق مَن يريدونها بحيث تُعرّف بنفسها أولاً". ففي الحكمة ندرك إلهنا الذي اسمه المحبة. فهو لا ينتظر أن تأتي إليه قبل أن يُنبّهك إلى ذلك. ولم تكن قد نطقتَ بعد بما تفكّر فيه حتى يصبح لديك، بالقرب منك، وملؤه القوة والغفران. تناديه، وها أنت تكتشف وجوده فوراً، بصوت مألوف يتكلم في قلبك، وتعرف أنه ليس هنا إلاّ من أجلك.

عينا الرب نحو الصدِّيق

"عينا الرب نحو الصدّيق، وأذناه إلى صراخه"، يقول المزمور. الله في كل مكان. لكنه اختار من بينها كلها السكن في اثنتين: السماء حيث هو حاضرٌ بالمجد وقد جعل الصديقين يشاركونه به، ثمَّ الأرض في قلب المتواضعين. إنّه الربّ المُحِب، وقد قال أشعيا: "يسكن تعالى السماء، لكنه أيضاً مع منسحق القلب الذي يشعر أنه متواضعٌ بالروح"

إذاً، إلهنا الضابط الكل، يجد فرحه بين البشر. هم له أصدقاء، والذي يريده يمكن أن يلاقيه في الليل وفي النهار لأنّه يسهر عليه. بالتحدث إليه وسماع صوته أيضاً ومشاركته أسراره، وعيش أسراره الإلهية، يصبح فرح سيدنا فرحنا وسلامه سلامنا، ولن يتمكن أحد من انتزاعهما منّا. فالنبي داود يقول: "ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب". هذا صحيح، لأنّ برهةً واحدة نقضيها مع الرب تُشعرنا بفرحٍ لا يعرفه العالم بأكمله. ويبقى شرطٌ واحدٌ وهو أنَّه لن تحصل على أيَّة نعمة مِن ربك إلاّ إذا رغبتَ به هو أوّلاً.

الزمنُ هو دائماً زمن الرب

نقضي ساعات طويلة مع الأصدقاء المقرَّبين، لكن هناك دائما وقت نفكِّر فيه بالافتراق. إنَّما مع الله ليس الأمر كذلك. فأنت قادرٌ، إن شئتَ، أن لا تجعل بينك وبينه وقتاً ضائعاً.

اصغ إلى الروح القدس في أسفار الحكمة: "إِذَا نمتَ فَلاَ تَخَافُ، بَلْ تَضْطَجعُ وَيَلَذُّ نَوْمُكَ... لأَنَّ الرَّبَّ يَكُونُ مُعْتَمَدَكَ، وَمِنَ الفخِّ يَصُونُ خطواتِكَ" (أمثال ٢: ٢٤-٢٦). هل تريد أن ترتاح؟ فكر بإلهك الحاضر هنا بقربك. وحين تستيقظ في الليل فستجده. لا تكن ردَّة فعلكَ باردة، بل جاهر بحبك له، وقدّم إرادتك لخدمته، وبالأخص اشكره، لأنه فعل الكثير من أجلك.

حتى إنَّ نومك سيعلّمك، فهو لا ينام ونعمته حيَّة فيك. وهو يؤكد ذلك في سفر العدد: "في الحلم أكلمه" (عدد ١٢: ٦).

صلِّ إلى الرب في الصباح لأنه بقي بقربك. قل له إنك تحبه وأعلن عن

ثقتك به. قل إنك ستعمل مرضاته، فهل هذا صعبٌ عليك؟ حاول أن تتوقع قليلاً كيف سيكون نهارك، فللنهار لحظاته القاسية، لا تنتظر بل خذ ذلك على أنه نعمة من الربِّ، وقدّم جهدك مسبقاً لتمجيد اسمه. كان بقربك في لحظة استيقاظك، فافرح بوفائه. هل نسيت أنك فعلت كل ما يجعله يتخلى عنك؟ لكنَّه لم يشأ ذلك لأنَّه يحبك ويريد منك أن تحادثه مصلّياً بثقة ومحبة متناميتَين. فتذكّر وصيته إذاً حين قال: "أحبب الرب إلهك من كلِّ قلبِك".

أزمنة الصلاة القوية

صلِّ في كلِّ وقت

معظم الناس لا يفكرون أبداً أنَّ اللّه هنا، أما أنت فلا تنسَ، إنَّه موجود وهو إله مُحبّ.

تكلّم معه! ماذا تنتظر؟ هل تخشى أنْ تُزعجَهُ أسرارُك أم أن يطردَك من وجوده؟ هذا ما قد يفعله أسياد هذا الدهر. أمَّا إلهك فلا يفعل ذلك! يمكنك أن تحادثه بكل ما تريد، فهو يصغي إليك، لأنه أقربُ صديق إليك. فلندع أهل السياسة مع مشاكلهم الكبيرة، إنَّ اللّه يهمّه أمر كل واحدٍ منّا نحن الصغار. ويريد معرِفة رأينا بكلِّ ما يلمس قلبنا.

إنَّ اللّه يحبُّك. هو يهتمّ بك وبي وبالجميع، حتى يجعلنا نشعر بأنّ كلّ فردٍ منّا هو محور اهتمامه!

يسهر عليك. فقد حرّك كل قدرات خلقه كي يحفظك، مع غفرانه ورحمته وتضامنه لكي تعرف، بلا شك، أنه يريدك أن تكون له بالثقة الكاملة.

قل له كلَّ شيء. اُطلب منه خاصةً أن يقودك لتتمكن من إتمام مشيئته وتُفرح قلبَه. ما من أمرٍ أهم من ذلك. فأنت تعلم هذا. ردِّد مع المزمور: "علّمني طُرقك يا رب"، ومع طوبيا: "بارك الرب إلهك في كل حين، اطلب إليه أن يقوّم طرقك، وأن يجعل كل خطواتك مثمرة".

لا تقل أبداً: "ماذا يفيد ذلك؟" فالرب العَالِمُ بكل الأشياء أفلا يعرف

مشاكلنا؟ أجل، الرب عالِمٌ بكل شيء، لكنه يتصرف كما لو أنّه لا يعلمُ شيئاً احتراماً لحريتنا. فلنا الدليل في الإنجيل: ألمسيح كان يَعلَم بأنّ صديقه لعازر قد مات. لكنه لم يسمح بكشف أيّ شيء قبل أن تأتي مرتا ومريم لتحدثاه بذلك. ولكي يواسيهما، صنع معجزة عظيمة وأقام صديقه من الموت.

صلِّ إن ساءت الأحوال

ساءت الأحوال. أنت في وقتٍ عصيب. تشعر بالعجز أمام إحدى التجارب. أنت ثائرٌ أمام ظلم ما. لا تنتظر، عُد إلى الصلاة، واطلب منَ الرب أنْ يساعدك.

لا تُجدي نفعاً صياغة جملٍ منمّقة. قل فقط ما يثقِّل على قلبك. قل أي شيء مثل: "يا رب، أنا أعاني من كذا أو كذا، فهلمَّ سريعاً إلى مساعدتي لأنني أعاني ولا أرى بوضوح ما يجب فعلُه الآن".

سيأتي بالتأكيد. سيأتي لأنه المعزي، ولأنَّ منه تنبع كل قوة وكل أناة. ربما لن ينجّيَك من معاناتك إنْ رأى أنه من الأفضل لك أن تبقى فيها. فستنجلي الحقيقة يوماً، وتعلم أنه يحبّك حقاً، كما لا يُمكن لأحدٍ آخر أنْ يحبَّك مثله.

قل له ما يُضنيك. قل له ما يخيفك ويحزنك. قل كل شيءٍ ثمَّ أضف: يا رب، يا إلهي، أنت رجائي. منك أقبلُ هذا الألم الذي يجرحني، لأنّ ذلك ضمن إرادتك. رحماك: إمَّا نجّني أو أعطني قوَّة الاحتمال.

اللّٰه أمينٌ في وعوده

لا تخف. إنَّ اللّٰه أمينٌ في وعوده، وقد التزم بذلك حين قالَ في الإنجيل: "تعالوا إليّ يا جميعَ المُتعبين والمُثقلي الأحمال، وأنا أريحكم" (متى ١١: ٢٨).

تكلَّم إلى أصدقائك إن شئت، فهم هنا لمساعدتك، واللّٰه يعضد خطواتك. لكنهم لن يأخذوا مكان اللّٰه، لأنّه ينبغي أن تذهب أولاً إليه.

"ليس عند البشر إلاّ الكلام، يقول أيوب، وليس باستطاعتهم تعزيتي". لسوف تعرف كم كان هذا البار محقاً. حين يجهد أصدقاؤك ما بوسعهم

لمساعدتك، فستعود إلى الرب لتقول له: "يا رب، فيك رجائي وأنت نصيري. منك أنتظر النجدةَ والعدل والخلاص. ورغبتي الآن أن أعمل مشيئتك. فإن شئتَ أن أتالّم بعدُ، فأنا راضٍ بذلك. لكن تعالَ يا رب وساعدني، مدَّ يدك وامنع فشلي".

اشكُ إلى الرب همَّك حين تسوء الامور. لا تخف، فهو يعلم أنّ ذلك يريحك. صلِّ، مثلاً، كما صلّى داود: "لماذا يا رب، لماذا تقف بعيداً؟ لماذا تختفي في وقتِ الضيق؟" كرِّر هذه الصلاة بطريقتك الخاصة: يا رب، أنت تعلم أنّي أحبك وحدك ولا أحد سواك، فلماذا تبقى بعيداً عني؟ تعالَ وساعدني، أنقذني ولا تتخلَّ عني!

فأذا شعرتَ بأنّك مرهقٌ، ولا تقوى على عمل أيِّ شيء، فكّر في صلاة يسوع المنازع: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" لكن لا تنسَ أننا لا نستحق شيئاً أمام الربِّ لأنّنا خطأة. ومع ذلك فإننا سنجده لأنه أبٌ قبل كلّ شيء، هو أبونا الذي نثق به حتى ولو عاكستنا الأمور كلُّها.

اللّٰه ليس ببعيدٍ أبداً

إنَّ ما يعمله اللّٰه وما يسمح به هو دائماً لصالحنا. فالقديس بولس يقول: "إنّنا نعلم أنّ كل شيءٍ يسير لخير الذين يحبُّون اللّٰه، ومَن سبق واختارهم". فلنتشجع إذاً، لأنَّ اللّٰه ليس ببعيدٍ أبداً. وداود النبي يعطيك مثالاً وقد هتف: "الرب نوري وخلاصي فممّن أخاف؟" أو أيضاً: "عليك يا رب توكلت، فلا تدعني أخزى مدى الدهر". وأن شئتَ يمكنك الاستعانة بسفر ابن سيراخ حيث كتب: "انظروا إلى الأجيال القديمة، هل توكَّل أحدٌ على الربِّ وخزي، أو ثبُتَ على مخافته فخُذل؟".

إنَّ ألله يحبُّك أكثر ممّا يمكنك أن تحبّ نفسك، وتخاف؟ فداود، بعد أنْ فكَّر في ذلك، لم يعُد يرتجف بل قال: "أنا مسكين وبائس، لكنَّ الرب يتذكَّرني".

أجل يا ربّ، إسهر عليّ أكثر، فأنت صالحٌ، وأنا أُودِعُ نفسي بين يدَيك. ولا

أُريد سوى مرضاتك. أريد أيضاً كلَّ ما تُريده. يا أبتاه إنّي أعلم أنك تريد سعادتي. وترغب في أن أذهب يوماً للقائك في السماء. فافعل بي كل ما يحلو لكَ. وأنا أردِّدُ ما قاله داود الذي حفظته: "أضطجع بسلامة وأنام. لأنك وحدك يا رب في الطمأنينة تُسكِنني".

إلهٌ يخلّص

أسدى كاتبُ سفر الحكمة هذه النصيحة: "آمنوا بجدارة صلاح الله". فلنوضح الأمر، هذا ما يريد قوله: الرب صالحٌ قبل كلِّ شيء، واسمه اسم رحمة. وعظمته في صنع الخير، لا في العقاب. وأكَّد القديس يعقوب ذلك إذ قال: "الرحمة تفوق الدينونة". أمّا القديس بطرس فقال: "ألقوا بهمكم عند الرب وهو يعتني بكم".

"إنَّ إلهَنا هو إلهٌ يُخلِّص!"، هكذا كان داود ينشد في وجه أعدائه. فيا لجمال هذا الإسم الذي أعطاه إياه! هذا تعبير عن الحقيقة الصافية. فالكاردينال بيلارمين كان يردد مراراً: "ليس لدينا ربّ ديّان بل ربٌّ يخلّص جميع الناس". صحيح أنه يهدّد بالغضب كل مَن يعانده ويزدري به، لكنه يَعِدُ بالرحمة كل مَن يأتي إليه بثقة. والبتول مريم كانت تعرف ذلك جيداً حين أنشدت: "رحمتُه تمتدّ إلى أجيال وأجيال للذين يتّقونه".

لا يوجدُ سوى تعاسةٍ واحدةٍ وهي أنْ لا ننال الخلاص يوماً. هل فكرت في ذلك؟ فأنت تقول في الساعات المريرة: ماذا سيحلّ بي؟ اطمئنّ، فإن أردتَ أن تكون يوماً في السماء، فالرب يرغب في ذلك أكثر منك! ثق به. أحببه من صميم قلبك. سيخلّصك.

صلِّ إن حَسُنَتْ الأحوال

إن تلقيت خبراً ساراً، وكان قلبك في عيد، فسارع إلى شكر الرب. لا تفعل كما يفعل الكثيرون الذين يصلّون فقط حين تسوء الأمور، ويهملون الصلاة حين يغمرهم الفرح. هؤلاء هم ناكرو الجميل.

تصرَّف مع الرب بعفويّةٍ كما مع أصدقائك، حين تسرع لتبشِّرهم بخبرٍ

سار. إنَّ اللّه هو صديقك الحميم. هو يهتمُّ بأفراحك أكثر من أيّ إنسان. إنَّه مصدر سعادتك الأول. وقد كان النبي حبقوق يقول: "إني أبتهج فَرِحاً بفضل إلهي، أتهلّل بإله خلاصي". هذا، ودع قلبك يتكلَّم: "أباركك يا يسوع ربي ، وسأباركك إلى الأبد. فقد تناسيتَ خطاياي، وحوّلتَ عنّي دينونةً تنتظرني. وها إنَّكَ تمنحني دليلاً آخر على حبك الجديد هذا، فشكراً يا رب. أريد أن أتذكَّر كلَّ ذلك، الماضِ والحاضر وكل حياتي، وأرجو أن أشكرك طوال الأبدية.

تقول إنك تحب اللّه. فافرح لأنه سعيد بذلك. ألم تلاحظ؟ ففرح مَن نحبهم هو مصدرُ سعادةٍ كبيرة، بل قد تكون أكبرها. فافرح لأنّ اللّه سعيد، وسعادته لامتناهية. وقل له إذاً: "يا إلهي الحبيب، سعادتك الكبيرة هي كلّ فرحي. وأنا أزداد فرحاً لأنّي أحبك أكثر من حبّي لذاتي.

صلاة الخاطيء

هل ترغب رؤيةَ السماءِ ترقص فرحاً؟ إذهب، عند اقترافك الخطايا، وارتمِ عند قدمَي الرب. ففرح اللّه يزداد حين يمنح الغفران. وعندما نهرب منه، ونرضخ للعيش بدونه، يُجرح قلبُ الأُبوَّة فيه، أي المكان الأكثر رهافةً. خذ الكتاب المقدس واسمع إلهاً يتفجّعُ على فقدان أبنائه: "لمَ تريدون الموت يا أبناء إسرائيل؟ عودوا إليّ فتحيَون"! وها هو يلتزم: "إرجعوا إليّ، يقول الربّ، فأرجع إليكم، أنا الإله الكلّيّ الإقتدار".

لو كنتَ تعلم! بل لو كان خطأة العالم أجمع يعلمون صلاح الرب الذي ينتظرهم! لقد كان النبي أشعيا يقول: " ألرب ينتظر ليترأف بكم". وقد أكد ذلك كلَّ الأنبياء. وهذا مرتكز تعليمهم. وها حزقيال يقول: "قل لهم حيٌّ أنا يقول السيد الرب، إنّي لا أُسرّ بموت الخاطيء بل أن يتوب عن طريقه فيحيا". (حزقيال ١٨: ٢١)

اللّه لا يحب أنْ يعَاقِب

أللّه لا يحبّ معاقبة أحد، بل يهوله ذلك. فإنَّ فرحَه يكمن في استقبال أولاده الضالّين ليغمرهم بقلبه الأبوي. فما الذي لم يصنعه كي يقنعنا بذلك؟

فبمجرّد تفكيرنا بأننا نشكك بحبه حتى يعتبر نفسه مذنباً. فهل عاينتَ مرّةً أمراً كهذا؟ إلهاً ينتظر أن نحكم عليه؟ لكن إقرأ في سفر أشعيا حين قال: "تعالَوا نتحاجج، يقول الربّ. إن كانت خطاياكم كالقرمز فإنّي أُبيِّضها كالثلج، وإن كانت حمراء كالدوري تصبح بيضاءَ كالصّوف".

تعالوا نتحاجج. لكن علامَ؟ أعلى خطاياك؟ أعلى فظاعتها؟ لا! لن نتكلم على ذلك أبداً. فالمهم في هذه الآية هو الكلمة الأولى: تعالوا!

تعالوا. وإن لم أغفر لكم، فقولوا أنني كاذبٌ! لأنّي وعدت، ولا أقول سوى كلمة واحدة. لقد ذهب أكثر من ذلك ويمكنك أن تقرأ في كتاب حزقيال: "فإذا رجع الشرير عن خطاياه التي فعلها وحفظ فرائضي كلَّها، وفعل الحقَّ والعدلَ يحيا ولا يموت. وكل معاصيه التي فعلها لا تُذكر عليه".

إنَّ الذي تُحبّه مريضٌ

لقد أخطأتُ. لقد وقعتُ. هذا ماضٍ وانتهى. إرفع عينَيك نحو الرب، وقل له أنَّ ما فعلتُه شرٌّ. واطلب السماح، لكن إيّاك أنْ تخاف.

لم تدبِّج اختا لعازر جملاً طويلةً حين أعلنتا حزنهما. بل قالتا: "يا رب، مَن تحبّه مريض". فاعمل أنت على غرارهما لأنّك أيضاً: "مِنَ الذين يحبّهم الرب". فداود يعطيك مثالاً، يقول: "يا رب، إرحمني، إشفِ نفسي لأنّني خطئتُ إليك". صلاة كهذه تصعد دائماً نحو الله. هل أخطأت؟ لا تضيِّع وقتك في اختلاق الأعذار. بل اهرع وارتمِ في أحضان الله. وقل له: "يا رب، ما زلتَ اليوم تبحث عن أولادك الضالينَ فاستقبلني. لقد أخطأت إليك. لكنني أعلم أيضا أنك تريدني أن أحافظ على ثقتي بك. تريد الخير لي حتى بعد أن أخطأت إليك، وأنا أعلم أنّني ما زلت أحبك".

كم أنا نادم يا ربي! سامحني يا إلهي، "أنت الإله الطيب المسامح، أنت الغني بالوفاء تجاه كل مَن يناديك!". قل لي كما فعلت من قبل مع مريم المجدليَّة: "أحلّك من خطاياك"، وامنحني القوة لأبقى وفياً لك.

يقول السيد الرب، إنّي لا أُسرّ بموت الخاطئ بل أن يتوب عن طريقه فيحيا". (حزقيال ١٨: ٢١)

المسيح مات من أجلك

مات يسوع المسيح من أجلك. أنظره على الصليب إنَّه هناك من أجلك. هل يمكن أن تشكك بعدُ بحبه؟ هل يمكن أن تستسلم؟ أو تظنّ أنّ إهداء الابن استحقاقاته لأبيه لتنال الغفران أمرٌ بسيط جداً؟ فبسببك وبسبب هذا الخطأ أيضاً "لم يضنَّ اللّه بابنه الوحيد"، بحسب قول القديس بولس. فثق به وقل له: "يا رب، انظر إلى وجه مسيحك". أنظر يا رب إلى ابنك الذي مات من أجلي، وسامحني من أجل حُبِّه.

يجب أن تعود إلى اللّه دائماً. لكنك تقول أنك تهينه مئات المرات في اليوم. فعُد إليه في المرة المئة كما في المرة الأولى أو الثانية أو حتى العشرين التي سقطتَ فيها. ولا تثبّت ناظرَيك على خطيئتك. فما حصل قد حصل. لكن إن حملتك خطيئُتك على الاضطراب، فستفقد الأمل والشجاعة، وتترك كل شيء خلفك. فتزداد جبناً وخطيئة وتصبح مكبَّلاً بإحباطك.

تحرّك! واطلب السماح منَ اللّه، هو يفتح لك ذراعَيه. قل له إنَّك ستبذل جهداً، وتتبدَّل. فستحدث المعجزة، و ستزيدك خطاياك محبةً للّه.

ستقترف الخطايا دوماً. لكن انظر ما يحصل بين صديقَين: فحين لا يتّفقان مرَّة، فثمّة وخز أشواكٍ من الطّرفين، لكن ذلك لا يدوم لأنّهما يتحابّان حقاً. فالتسامح يسود مع نسيان ما حصل، وتعود مياه الصداقة إلى مجاريها، لتزداد حقيقة وعمقاً حقيقيين.

ليكن كذلك بينك وبين اللّه. ولتكن الخطايا حافزاً لتزيدك حباً حقيقياً له.

حين تشكك

الجميع يمرُّ بأوقات كهذه: فلا نرى بوضوح ولا نستطيع تركيز أفكارنا. ويبان المستقبل كحائطٍ مسدودٍ أمامنا، يهددنا ويهدد غيرنا. فما العمل؟ ما يفعله العاقلون يكمن في استشارة أصدقائهم، خصوصاً سديدي الرأي بينهم. أمّا أنت فإنَّ أفضل صديق لك هو اللّه. إنّك تفرِّحه كثيراً حين تأتي إليه بثقة لتعرض عليه مشاكلك!

صلّ لإلهك واطلب منه النور. اُطلب الطريق التي عليك اتباعها. قل له كما فعلت جوديت محرّرةَ بيت إيل: "يا رب، أعط شفتيّ الكلمات المقنعة، وكن أنت وراء مخططاتي". وصموئيل أيضاً كان يقول: "تكلَّم يا رب، فإنّ عبدك يسمعك".

علّمني يا رب ما يُرضيك، وقل لي ماذا تنتظر مني لأعمل به.

الصلاة الشاملة

صلّ لإلهك، لكن ليس من أجل نواياك فقط. فكِّر أيضاً بغيرك، فكِّر بأخيك الإنسان. فاللّه يرغب في أن نذكر ذواتنا، لكن حين يرانا نرمي بمصالحِنا الشخصية جانباً، لنكلِّمه عن مجده هو، فيصيرَ في السّماء عيد، فهو يفرح بالتماسنا رحمته على إخوتنا المتألّمين. صلّ من أجل الآخرين، صلّ من أجل الموتى، فالكثير منهم ينتظر الآن التحرر من عذابات المطهر. لا تنسَ أنهم أصدقاءُ اللّه وأبناؤه الأحباء، وكل ما تفعله من أجلهم يفرِّح قلبَ اللّه.

صلّ من أجل الخطأة، الذين فقدوا نعمة اللّه. فهذا هو الشقاءُ الأكبر الذي قد يحلُّ على الأرض. صلّ من أجلهم جميعاً. قل للربِّ الذي يناديهم: أيها الرب الصالح الذي يستحق المحبة فوق كل شيء، كيف تقبل أن يتخلّى هذا العدد كلَّه من البشر عن معرفتك ومحبتك؟ فهم يستهزؤن بك يا رب، وأنت تتركهم يفعلون ذلك!

أيّها الربّ المحبوب بلا انتهاء، عرِّفْ عن نفسك وادفعنا إلى محبتك. «ليتقدّس اسمك، ليأت ملكوتك»، وليعبد جميع البشر اسمك ويحبوّه. لتسُد محبتك على كل القلوب وفي كل مكان. يا رب، امنحني أن يرتدّ أحد إخوتي إلى محبتك بفضل صلاتي.

الرغبة في ربح السماء

"بالتأكيد إنّي أتمنى أن أذهب إلى السماء، لكن لديّ الوقت الكافي للتفكير في ذلك". هذه مقولةٌ شائعةٌ بين الناس. ربما قلت ذلك بنفسك وأنت تبتسم، لكن هذا عين الخطأ. فثَمَّةَ أناسٌ يتعذّبون في المطهر لقلَّةِ

رغبتِهم في السماء، وهناك اسمٌ لهذا الألم، إنّه عذاب الفاترين.

إنَّ الملكوت السماوي، وهو الخير الأعظم النهائي، يستحق ما هو أهمُّ من الابتسامة فقط. فقد ربحه يسوع لنا بالموت على الصليب. وهذا هو الثمن الذي دفعه، وهو ثمنٌ أبديٌّ لسعادة لا مثيل لها. فكِّر إذاً بالسماء، واطلب دوماً نعمة دخولها. قُل للرب إنَّك تتمنى الذهاب لمشاهدته ومحبته وجهاً لوجهٍ. ففي النهاية، إنَّ الأرضَ هي المنفى، وفيها خطر اقتراف الخطايا في كل يوم نواجهه، وكذلك خطر فقدان صداقة المسيح وتعريض كل شيء إلى الخطر.

استمرّ في القول أثناء صلاتك: "يا رب، طالما أنا حيّ على الأرض، فهنالك خطر كبيرٌ في الابتعاد عنك وفقدان محبتك. فمتى تأتي لتأخذني كي احبَّك في السماء، ولا أخاف أن أفقدك أبداً؟

لن تكون أوّل مَن يصلّي هكذا، لقد كانت القديسة تيريزيا الأفيلية تقول ذلك مرات عدة يومياً. وكانت تفرح مع دقّات الساعة فتقول: "ها قد مرت ساعة أخرى، ساعة من خطر فقدان اللّه". وكانت تريد الموت، كي تذهب لرؤية اللّه بسرعة أكبر، وهو موضوع أجمل قصائدها: "أموت لأنّي لم أمت".

حين يتكلم اللّه

سأُكلِّم قلبه

هل تريد أن تحبّ اللّه؟ تحدث إليه غالباً، أو حتى دائماً إن استطعت. ثِق، هو يسمع، وسترى يوماً، أنَّه سيكلمك هو أيضاً.

لن يَحدُث أدنى ضجيج، ولن يحرِّك أحدٌ ساكناً، وعلى الرغم من ذلك، سيكون هنا وستعلم ذلك من دون أيّ التباس، وقد أعلن هوشع النبي ذلك بكلمات لا تُنسى: "يقول الرب، ساغوي زوجتي التي خانتني، سأقودها إلى البريّة، وأتحدّث إلى قلبها". أنت محبوب اللّه الذي لا يتخلى عنك، وهو سيأتي بنفسه ليحدثك عندما تصمت في قلبك.

سيكون ذلك كالوحي غير المُدرك. وكالنورِ يبدِّل هيئتك. وستفهم أنّ الرب

ليس إلاّ صلاحاً لامتناهياً، وحبّاً وغفرانا، من غيرِ أنْ تتمكّن من إعلانِ ذلك.

حين يتكلَّم اللّه إلى قلبِ إنسان، يعطيه، في الوقت عينه، سلامه الذي لا يمكن لأحد أنْ ينتزعه منه، فيولَدُ حينئذٍ الفرح والرجاء، حيث يعتقد البعض أنّ هنالك موتٌ. فحُبُّ اللّه لا مثيل له على الأرض.

هكذا يكلّمك الرب، وستعلم، أنت أيضاً، كالكثيرين مثلك، أنه هو الرب الإله!

في الواقع العملي

ماذا نفعل كي نحبَّ اللّه اليوم، وغداً، وفي كلِّ يوم؟ حاول، لحظة استيقاظك، أنْ تفكِّر به، ثمَّ صلِّ صلاة الصباح التي تعلمتها في التعليم الديني، من أفعال المحبة والشكر والطلب ثم النوايا. وقُل للّه إنَّك تريد أن تقضي يومك وكأنّه اليوم الأخير من حياتك.

لا تنسَ مريم اُمَّنا الطيبة واطلب منها أن تساعدك.

تأمَّل

فكر الآن في التأمُل. يجب أن تتأمل كل يوم، لنصف ساعة أقلّه، ومن المفضَّل قبل القيام بأيّ عملٍ آخر. فليكن موضوع تأمُّلك الآلام والازدراءات التي عاناها يسوع، فهو أفضل موضوع يجعلك تكبر في محبته. هذا أمرٌ سهلٌ: إن أردت أن تصبح قدِّيساً فعلى قلبِك أن يُحبّ ثلاثة امورٍ: آلام يسوع المسيح، والقربان المقدس، والقدِّيسة مريم البتول.

لا تنسَ أن تصلّي أثناء التأمُّل. واندم على إهانتك للّه، ورِدْ أن يمتلكك، وارغب في أن تحبَّه أكثر من كل شيء. فهذا أمرٌ في غاية الأهميّة.

كان شارل كادافا المكرَّم، مؤسس جمعيّة العمّال الأتقياء يقول: "إن قُمتَ بعملٍ واحد فقط حباً باللّه، في الصّباح أثناء التأمُّل، فستبقى متحداً به طوال النهار".

إعترف و تناول في معظم الأوقات. و حين تبدأ بالعمل، قدِّم للرّب مجهودك واطلب منه أن يساعدك كي يكون عملك جيِّداً.

باسم الرب

قم بكل أعمالك مع اللّه ومن أجله. أترجع إلى بيتك؟ القِ السلام على والدة الإله. أتأكل؟ اشكر الرّب على خيراتٍ منحك إيّاها، على الرغم من إهانتك له في معظمَ الأوقات.

و هناك المزيد. كرّس نصف ساعة في اليوم لقراءة الكتاب المقدس. ثمّ مرّ بكنيسة لزيارة القربان الأقدس والعذراء مريم.

في المساء صلّ المسبحة. صم قم بفحص الضمير وأتل الصلاة التي تعلمتها في طفولتك: أفعال الإيمان، والمحبَّة والندامة. جدد نيتك في تقبُّل أسرار الكنيسة في أوقاتها.

والآن نمْ شاكراً اللّه على رحمته التي خلّصتك أنت الخاطئ. لانّك مُستحق الجحيم لكنَّ الرب منحك النعمة. "بسلام أضطجع وأنام"، يقول المزمور. فبحماية الرب سأرتاح بسلام.

أسبحك يا ربّ بحُبٍّ رؤوم

إنَّ ما تقدَّم ليس بكل شيء، فالحياةُ مليئةٌ باللقاآت والمشاكل الصغيرة، وبشريطٍ من الأحداث الذي يستفزّنا ويتطلَّبُ انتباهنا الدائم. فلِمَ لا تجعل ذلك مناسبةً ترفع فيها قلبك إلى الحقائق العلويّة؟

أتُرى الماءُ ينهمرُ، والنارُ تَنطفئ، وحياتك تمرّ وينتهي كلُّ شيء؟ ألا ترى في موت الآخرين تذكيراً لما سيحلُّ بك يوماً؟ إن رأيت مركبةً جميلة تمر في الطريق، عُد سريعاً إلى ذاتك وقل: "حسبيَ اللّه". وردد مع الروح القدس: "هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل يفرحون، أمّا نحن فباسم الرب إلهنا".

إن زرتَ مدفناً فاخراً، أو رأيت موكب دفنٍ مهيب يمرُّ، فقل حالاً: إنّ كان مصير هذا الإنسان إلى الهلاك، فما نفع المواكب الفخمة هذه؟

شجرة يابسة تجعلك تفكِّر بالإنسان التاعس، المنفصل عن صداقة اللّه، إنه طعامٌ للنار.

تشهد على جلسة محاكمة، والمتّهم يرتجف أمام القاضي: فما سيكون

موقفك أمام المسيح يسوع إن تخليت عنه الآن؟ حاول أن تتخيل يأس الخاطئ، قاسي القلب، الذي يرى الجحيم مشرَّع الأبواب أمامه ليصبح مسكنه الأبديّ.

كلّ شيء يدفعني إلى حبِّك.

إنَّ اللّه عادل، وبالأخصّ لمَن يبحث عنه، فهو أبٌ قبل كلِّ شيء. ألقِ نظرة إلى الحقول: فقد صَنعَ كل ما فيها لسعادتك، لكنَّ السماء ستكون أبهى بكثير.

ذُهِلت القديسة تيريزيا إعجاباً أمام روعة الخلائق من سهولٍ وهضاب، فتنهدت قائلة: "إنَّها تلوم نكراني لجميلك يا ربّ". أمّا الأب دو رانسي، مؤسس جمعية "الترابيست"، فكان يردِّد القول نفسه تقريباً: "إنَّها تدفعني إلى محبة اللّه". لكن القديس أغسطينوس العظيم قد أعلن ذلك في اعترافاته: "السماء والأرض وكل ما وُجد في الكون يدعوني إلى محبَّتك يا اللّه."

يقال إنّ قديساً كان يتمشَّى في الطبيعة، وكان مرافقوه يرونه يجرّح الأزهار والأعشاب بعصاه، ويسمعونه يحتجّ قائلاً: "أصمتي! ولا تلوميني على كوني ناكراً للجميل! أعلم أنّي لا أحب اللّه! فاصمتي، كفى!" وكانت ماري مادلين دو بازي، تمسك بثمرة جميلة في يدها، وتقول لمرافقيها: "لقد فكَّر اللّه فيّ منذ الأزل ليعطيني علامة على حبه في هذه الثمرة". وكانت عيناها تدمعان.

منح العالم صوته

كل الخلائق تنشد اللّه وترفع له صوتها، فالبحر يدفعك إلى التفكير باللّه بحراكه الذي لا يهدأ أبداً. والكلب الصغير يبقى على الوفاء لصاحبه مقابل قطعة خبز. أمّا أنت أفلا تفكر بإلهك لأنّه أعطاك الحياة والفرح؟ حين تسمع زقزقة العصافير، إفعل ما تفعله هي، وسبّح الرب. أرأيت؟ هذا الأمر في غاية البساطة.

هنالك في الباحة ديكٌ يصيح الآن، مع إنكار القديس بطرس، ليذكِّرك جبنك وخطاياك المميتة السابقة. فالتفت إلى الرب مع داود وقل: «أمّا خطايا صباي ومعاصيّ فلا تذكرها!"

ستجد في روعة وديان الأرض سير النعمة. فالسيول تنزل إليها لتزيدها خصباً، ولا يمكن للجبال أن تطلب نعمة الرب ولا المتكبرين: لأنّ المتواضعين وحدهم يرون اللّه آتياً.

سيُذكِّرك البحر بعظمةِ اللّه، والكنيسة الجميلة بمعبد الرب الحقيقي، إنّها نفسك الخالدة حيث ينجز الروح القدس عمله الخلاصيّ. وحين ترى السماء مغطاة بالنجوم، ستقول مع القديس أندريه دافيلان: "سأذهب يوماً إلى هناك، وستكون النجوم لي!"

نشيد المحبة

تنشد الخلائق حبّ المخلّص، وفي الوقت عينه، تعظِّمُ خالقها: فالاسطبلُ والمغارة وقشّ المذود تُذكِّر جميعها بسرّ الميلاد في بيت لحم. وورشة النجارة تحملنا على عيش السر الآخر، سرِّ الأعوام الثلاثين التي قضاها إلهٌ يعمل بالخشبِ في الناصرة. والأشواكُ والحبالُ تُعيدُ ذكريات آلام المسيح وعذابه.

كان القديس فرنسيس الأسيزي يبكي، حين يرى شاةً، فيقول: "أتذكَّرُ سيدي ينقاد إلى الموت كشاةٍ من أجل محبّتي!"

فكِّر بيسوع، خبز القربان الأقدس، حين ترى كأساً أو زينة مذبح، وتذكّر أنه أحبنا إلى هذا الحد.

ارتدّ إلى اللّه خلال النهار، حتّى ولو بتفكيرك للحظة واحدة. فقد كانت القديسة تيريزيا تفعل ذلك غالباً وتقول: "يا رب، هاءنذا، فافعل بي ما تشاء". لأنَّ عمل المحبَّة يُشبهُ كومةَ الحطَبِ التي نرميها في النار، فتدوم أكثر وتبقى مُصانة. واطلب السماحَ إن أهنتَ اللّه وقُلْ له إنَّك تريد أن تحبَّهُ محبةً تفوق ما قد مضى، وإنَّك لا تحبُّ سواه.

ستواجه المشاكل والضربات القاسية باستمرار، فبدَل الاستسلام والتذمّر، أخبر ربّك بما يؤلمك، وقلْ له إنَّك تستسلم لإرادته: "هذه هي أرادة الرب فأنا أريد ما يريد". فتكونَ بذلك خَطَوْتَ خُطوةً كبيرةً في محبةِ اللّه.

لا تتّخذ قراراً من دون أن تصلّي إلى اللّه. أوصِ الرب بنَفْسِك أوّلاً، فقد وضَعتِ الكنيسة ذلك حين طلبَتْ أنْ نبدأ صلاة الفرض بهذه الكلمات: "اللّهمّ بادر إلى معونتي". هذه هي طريقة القديسة روز دو ليما، فقد كانت تقول: "ساعدني يا رب، ولا تتركني لوحدي أبداً".

أما أنت، فألقِ بناظرَيك على المصلوبِ وصلِّ إلى العذراء القديسة ما استطعت، خاصة حين تكون مضطرباً، وحين تحيط بك التجربة. فللرب إرادة واحدة فقط وهي مساعدتنا، لكنه ينتظر أن نطلبها منه: «إسألوا تعطوا». وإلاّ رفع يده. لكنّهَ يفتحها تجاه مَن يناديه بثقة.

حتى الذي لا يبحث عنه

يقول سفر يشوع بن سيراخ: "هل توكل أحدٌ على الربِّ فخزي؟" وداود يردِّد: "لأنك يا ربُّ صالحٌ وغفور". فالربُّ كثيرُ الرحمةِ، ورحمتُه تمتدّ بلا حدود نحو كلّ مَن يناديه. يقول القديس بولس مردداً كلام أشعيا نفسه: "يا حريَّة إلهِنا التي لا توصَف تجاه مَن يبحثُ عنه، هو يسمعُ حتى لمن لا يبحثُ عنه". فكم كبيرة هي سعادته حين ينادي، مَن يبحث عنه لخدمته ومحبته، فيجده! هذا هو المثال بالنسبة إلى القديسة تيريزيا، وهو تقليد القديسين في السماء. فهم لا يتعاملون سوى مع اللّه، ولا يفكرون إلاّ به وبمجده ومحبته.

إنَّ اللّه هو فرحُك، في هذا العالم، وحبّك ومُبتغاك. وحين تأتي ساعة اللقاء الكبير، سيكون هناك ليستقبلك بفرح فردوسه.

ألفونس ماري دو ليغوري

رهبنة الفادي الأقدس

الكتاب ألخامس

إرادة الله في الإنسان

تاريخ بدء التساعية	النوايا
....	....
	....
	....
....	....
	....
	....
....	....
	....
	....

إرادة اللّٰه

لمؤسس رهبنة الفادي الأقدس
القديس ألفونس ماري دو ليغوري

في توحيد إرادتنا بإرادة اللّٰه[١]

إنّ كمالنا كله يكمن في أن نغرق في حبِّ إلهنا المحبوب للغاية، "ففعل الخير هو رابط الكمال". وإنَّ توحيد إرادتنا بمشيئة إلهنا المقدّسة، هو غاية المحبة الإلهية. يعلمنا القديس دنيسيوس الأريوباغي أنّ مبدأ الحب الأساسي يكمن في توحيد الإرادتين بشكل تام، فلا يبقى سوى إرادة واحدة لكائنين متحابّين. وهكذا، كلما ازداد اتحاد إرادة الذات بالإرادة الإلهية، كلما ازدادت المحبة لها.

يفرحُ اللّٰه بالإماتات والتأملات والمناولة المقدّسة، وأعمال البرّ تجاه القريب. لكن كيف؟ فقط حين يكون الدافع إتمام إرادته! وعلى العكس، إذا غابت مشيئة اللّٰه، فهو لا يستسيغ أعمالنا، بل يمقتها ويعاقب عليها. فلنفترض أنّ هنالك خادمَين، أحدهما في حراك دائم بلا راحة ولو للحظة واحدة، لكنه لا يعمل إلاَّ إرادته هو، والآخر في حراك أقل لكنه مطيع لسيده. فأيٌّ منهما سيرضي سيّدَه؟ بالطبع الثاني، لا الأوّل.

فكيف تمجد أعمالنا اللّٰه إن لم تمتثل إلى إرادته القدّوسة؟ لقد قال النبي لشاول بأنّ اللّٰه لا يريد أضحية، بل يريد العمل بمشيئته: "هل إنّ مسرّة الرب تكمن بالمحرقات والذبائح، أم في الطاعة لصوته؟ فالتمرّد جريمة توازي عبادة الأصنام". إنَّ الإنسان الذي يدّعي اتباع إرادته الخاصة من دون العمل بمشيئة اللّٰه هو كعابد الوثن، إذ أنَّه بدَل إتمام مشيئة اللّٰه عبد مشيئته

١ نُشر هذا الكتاب عام ١٧٥٥ في القسم الثاني من الأوبريت سبيريتوالي، الطبعة السادسة، في نابولي، لدى غيساري.

الخاصّة.

إنّ أعظم مجدٍ يمكننا أن نرفعه للّه يكون في تتميم مشيئته القدوّسة. لأنَّ فادينا، الذي انحدر إلى هذه الدنيا لتمجيد أبيه، علّمنا أن نقوم بالتمجيد مثله، وذلك هو أهمّ التعاليم. وقد أوضح القديس بولس ذلك حين تكلَّم إلى الآب الأزلي، قال: "إنَّك لا تريد ذبيحة ولا قرباناً ولكنّك أعددت لي جسداً، فقلت حينئذٍ، هاءنذا آت أللهمّ لأعمل بمشيئتك، فقد رفضتَ الذبيحة التي قرّبها لك الناس وأردت أن أقرّب أنا جسدي ذبيحة، فهاءنذا مستعدٌّ لأتمّم مشيئتك".

لقد أعلن ربّنا مرات عدة أنه قد أتى إلى الأرض ليتمّم لا مشيئته بل مشيئة أبيه: "لقد انحدرتُ من السماء لا لأتمّم مشيئتي، بل مشيئة الذي أرسلني". فأيّة إشارة أراد أن يعطيها للعالم عن حبه لأبيه؟ إنَّها في إطاعته لمشيئة اللّه، وقد أوصلته إلى ذبيحة الصليب لخلاص البشر. وقد أعلن ذلك في بستان الزيتون حين توجّه لملاقاة أعدائه وقد أتوا للإمساك به وسوقه إلى الموت. "وما ذلك إلاّ ليعرف العالم أنّي أحبّ الآب، وأنا أعمل بما أوصاني الآب، قوموا نذهب من ههنا". يريدنا أن نجد إخوتنا في كل إنسان، بشرط واحد وهو إتمام مشيئة اللّه: "لأنّ مَن يعمل مشيئة أبي الذي في السماوات، هو أخي وأختي وأمّي"

لم يُحدِّد القديسون هدفًا واحدًا نصب أعينهم سوى إتمام المشيئة الإلهية. وقد أدركوا إدراكاً جيداً أنّ كمال النفس لن يتحقق بأيّة طريقة اُخرى. فكان الطوباوي هنري سوزو يقول: "إنّ اللّه لا يريدنا أن نسعى إلى نيل أنوار عظيمة، بل يريد فقط أن نستسلم بكلّيتنا إلى مشيئته". والقديسة تيريزيا كانت تقول: "إنّ السعي الوحيد لكلّ مَن يكرّس ذاته للصلاة هو أن يعمل بشجاعة تامة على أن تتطابق إرادته مع إرادة اللّه". فلنقتنع بأنّ الكمال الأعلى في دروبنا الروحية يكمن فقط في إتمامها. ومَن يبرع في ذلك سيحظى بالنّعم الكبيرة وسيترقّى بحياته الداخلية. إنَّ الطوباوية ستيفاني

دو سونسينو الدومينيكانية قامت يوماً برحلة روحية إلى السماء، فقابلت بين جوقة السيرافيم عدة أشخاص عرفتهم، فقيل لها إنّهم استحقوا هذا المجد الإضافي بسبب الاتحاد الكامل بإرادة اللّه. والطوباوي هنري سوزو الآنف ذكره كان يقول: "أفضّل أن أكون أصغر دودة بمشيئة الرب على أن أكون من السيرافيم بمشيئتي الخاصة".

لكي نتعلم محبة اللّه في هذه الدنيا، علينا أن نتّبع مدرسة ساكني السماء. فحبهم النقي والكامل للّه ليس سوى اتحادهم الكامل مع إرادة اللّه. فإن طلب اللّه من السيرافيم أن يسمعوا إرادته في عيش أبديّتهم كلّها بتكديس رمال الشواطئ في البحار، أو إزالة الأعشاب الضارة من الحدائق، فسيفعلون ما يريده بكامل إرادتهم بفرح عظيم. ناهيك عن أنّ اللّه طلب منهم إشعال نار جهنّم، فسارعوا إلى تلك الهاوية إنفاذًا لمشيئته. كما علّمنا يسوع المسيح أن نطلب في صلواتنا نعمة إتمام مشيئة اللّه على الأرض كما يفعل القديسون في السماء: "لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض".

يسمي الرب داود بالرجل الّذي يرتضيه قلبه، ذلك لأنه كان ينفِّذ كل ما أراده اللّه منه: "وجدت داود رجلاً يرتضيه قلبي، وسيعمل بكل ما أُريد". في الواقع، كان داود مستعداً إلى تنفيذ المشيئة الإلهية، وقد أعلن ذلك مرات عدة: "قلبي مستعد يا اللّه، قلبي مستعد". وكانت صلاته الوحيدة: "يا رب، علمني ان أعمل بمشيئتك". فعل استسلام تام ووحدة تامة مع مشيئة الرب لتقديس الإنسان. لقد كان شاول يضطهد الكنيسة، فأعطاه المسيح يسوع نوره ودفعه إلى الارتداد. فماذا فعل شاول؟ ماذا قال؟ لم يقل سوى أنه يقدّم نفسه لإنفاذ مشيئة اللّه: "ماذا تريدني أن أعمل يا ربّ؟". وها إنَّ الربّ يسمِّيه: "أداةً مُختارةً، ورسولاً للأمم". أجل، فمَن يعطي الرب إرادته، يكون قد أعطى الرب كل ما لديه. لكنّنا بالصدقة نعطيه خيراً، وبالجَلْدِ نعطيه دمنا وبالصوم الغذاء، لكنّنا لا نعطيه سوى القسم اليسير ممّا لدَينا. إنَّما بمنحه إرادتنا، نعطيه كل شيء، ومنذئذٍ، يحق لنا أن نقول: "يا رب، أنا بائس، لكنّني

أعطيك كل ما يمكنني أن اعطي، فكل إرادتي لك ولم يعد لديّ ما أقدّمه لك". إنما الرب يريد من كلٍّ منّا هذا "الكل": "يا بنيّ، أعطني قلبك"، أي إرادتك. لقد كان القديس أغسطينوس على حق حين قال: "لا، لا، لا يمكننا تقديم أيّ شيء أحبّ إلى الرب ولا أغلى على قلبه أكثر من قولنا له: إملِك علينا". ها نحن نتخلى عن إرادتنا لك، فاجعلنا نعرف ما تريده منّا، لننفّذه.

إن أردنا إرضاء قلب الله تماماً، لنمتثل لمشيئته. أو بالحري ليس الامتثال بالمصطلح المناسب، بل علينا توحيد إرادتنا بكل ما يعطينا إياه الله. فالامتثال يفترض فكرة توافق إرادتنا مع إرادة الله. لكن توحيدها هو أمرٌ أعمق من ذلك. هذا يعني أنّ إرادتنا وإرادة الله، لم تعودا سوى إرادةٍ واحدةٍ، بقدرِ ما أنّنا لا نريد سوى ما يريده الله، وأنّ المشيئة الإلهية وحدها تصبح كل ما نريده. هذه هي قمة الكمال الذي علينا الاندفاع نحوه من دون هوادة. وهذا الهدف الذي علينا أن نصبو إليه في كل أعمالنا ورغباتنا وتأمّلاتنا وصلواتنا. ولهذا الهدف، علينا أن نتوسل إلى شفعائنا القديسين، وملائكتنا الحارسة وخصوصاً أمّنا السماوية مريم أن يساعدونا. فمريم نفسها كانت أكمل القديسين لأنّها اتّحدت بكلّيّتها بالله، طوال الأزمان.

إنَّ الصعوبة تكمن في تقبّل مشيئة الله في كل الامور، سواءً أأرضت رغباتنا أم ناقضتها. ففي الأحداث المفرِحة يعرف الخطأة أن لا إرادة لهم سوى أرادة الله. والقديسون يعرفون ذلك أيضًا حتى في الأحداث التي لا ترضي رغباتنا. وهنا تظهر مدى محبّتنا الكاملة لله. وقد قال الطوباوي يوحنا الأفيلي: "ليتبارك الله الواحد! في الأحداث المؤلمة أكثر ممّا في ألف نعمة من ساعات نجاحنا الدائم".

بالمقابل، علينا توحيد إرادتنا بمشيئة الله، ليس فقط في الآلام التي تأتينا مباشرة كالأمراض والكآبة الروحية والفقر والحداد على أفراد العائلة وكل ما شابه، إنّما في الآلام التي تأتينا من الإنسان، كالاحتقار والتشهير والظلم والسرقة وكل إساءة على أنواعها.

وهنا علينا أن نفهم جيداً أنّه حين يطلق أحدهم حكماً مسبقاً عن سمعتنا وشرفنا وأملاكنا، فاللّه لا يريد، من هؤلاء الذين يطلقون هذه الأحكام، أن يسيئوا إلينا، بل يريد تواضعنا وفقرنا وإماتتنا. فمن المؤكد أنه، وفق إيماننا، لا يحدث شيء ممّا يحدث في العالم إلاّ بمشيئة اللّه: "أنا الرب، أنا مبدع النور وخالق الظلمة ومجري السلام وخالق الشر". فكل الخيرات تأتي من الرب. والآلام تعني كل ما يزعجنا، فندعوها آلاماً. لكنّنا على خطأ، لأنّه في الحقيقة هذه خيرات نقبلها من يد اللّه. لقد كان النبي عاموس يتساءل: "أيُنفَخ في البوق في المدينة ولا يفزع الشعب؟ أم يكون في المدينة شرّ ولم يفعله الرب؟" وكان قد قال النبي الحكيم قبل ذلك: "الخير والشر والحياة والموت والفقر والغنى من عند الرب".

وكما سبق وقلت، صحيح أنه حين يهينك إنسان ظلماً، فاللّه لا يريد الخطيئة التي ارتكبها، ولا يقف إلى جانب إرادته الماكرة، بل يقف إلى جانب الفعل المادي لمَن يضربك أو يسرقك أو يشتمك، أو فعل الأذى الذي تناله، وإن كانت يده ترسله إليك. وهذا ما أعلنه الرب لداود أنّه هو مَن يسبب إساءة إرتكبها ابسالون الذي أهان بيته أمام عينَيه، وذلك عقاباً على خطاياه في المقابل فإنَّ اللّه يعلّم الاسرائيليّين أنّه عقاباً على عدم أمانتهم سيرسل الأشوريّين لنهبهم وتدميرهم: "ويل لأشور عصا غضبي، الذين عكّاز أيديهم هي سخطي. سأبعثه على أمة كافرة وآمره في الشعب الحال عليه حنقي ليسلب السلب وينهب النهب ويطأهم كوحل الشوارع". فقد كانت وحشية الأشوريّين بحسب شرح القديس أغسطينوس لهذا المقتطف: "كان عصا غضب الرب"، وهم الأداة التي استخدمها لمعاقبة بني إسرائيل.

يسوع نفسه قال للقديس بطرس إنّ آلامه وموته كانا من عمل أبيه أكثر ممّا كانا من عمل الإنسان: "أفلا أشرب الكأس التي ناولني أبي إياها؟".

وحين أتى مُرسلٌ وهو الشيطان نفسه ليُعلن لأيوب أنّ الصابئة خطفوا قطعانه وأنّ أبناءه ماتوا، بمَ أجاب هذا الصدِّيق؟ "الرب أعطى، والرب

أخذ". لم يقل: "إنّ الرب منحني أبناءً وأموالاً فهدمني الصابئة وحرمني حادث غير متوقع أولادي"، بل قال: "إنّ الرب الذي منحني كل شيء، أخذ منّي كلّ شيء". فقد فهم أنّ سوء حظّه كان بمشيئة الله، فأضاف: "الرب أعطى والرب أخذ فليكن اسم الرب مباركًا!".

يجب إذاً ألاّ نعتبر أنَّ الآلام التي نتلقاها هي وليدة الصدفة المحضة، وليست من إرادة الناس السيئة، فلا نتردّد في إدراك وجود المشيئة الإلهية. يقول القديس أغسطينوس: "إعلم جيّدًا أنّ كلّ ما يحدث على الأرض ويعارض إرادتنا، لا يحدث إلاّ بإرادة الرب".

أمّا أبكتاتوس وأستيون وهما شهيدان مكرّمان ليسوع المسيح، فقد عانيا التعذيب بسبب طاغية ظالم، مزّقهما بمخالب من حديد وشواهما بمشاعل من نار، لم يتوانيا عن ترداد: "يا رب، فلتتحقق مشيئتك فينا" وحين وصلا إلى مكان العذاب الأخير، صرخا بأعلى صوتهما: "ليتبارك الرب الأزلي، لأنّ إرادته التامة تحققت بنا".

كما ينقل الكاتب سيزير أنّ رجل دين، لم يتميّز عن زملائه ظاهرياً بأيّة ميزة، لكنَّه بلغ درجة من القداسة بأن المرضى شُفوا بملامسة بسيطة لملابسه. فمع الذهول بهذه المعجزة، في رجل كانت حياته نموذجية كما كل راهب، سأله الرئيس عن السبب في ذلك! فأجاب بأنّه كان أوّل مَن ذُهل، وأنّه يجهل السبب. فاعاد الأب الرئيس السؤال: "أيّ عمل خير تعمل؟ فأجاب الراهب بأنّه لا يفعل أيّ شيء يزيد عن الآخرين، بل قام بأعمال صغيرة، لكنّه حرص دوماً على ألاّ يريد إلاّ ما يريده الرب. فأنعم عليه الرب بأن يتخلّى عن إرادته الخاصة تماماً في سبيل ارادته. فلا ترفعه البحبوحة ولا يدمّره الأعداء، وينال كلّ شيء من يد اللّه، ولا يبحث في كل صلواته إلاّ في أن تتمّ مشيئة اللّه كاملة فيه. فأجابه الأب الرئيس: "وهذه الإساءة التي سببها عدوّنا بسرقة لقمة عيشنا وإحراق مزرعتنا حيث كل محاصيلنا وماشيتنا، ألم تشعر بالأسى حيالها؟ لا يا أبتِ، على العكس، بل شكرت الرب كما اعتدت أن أفعل

في حوادث مشابهة. فأنا أعلم أنّ اللّه لا يفعل شيئاً ولا يسمح بحدوث شيء إلاّ لتمجيده، ولخيرنا الأكبر، لذا أفرح دائماً مهما حصل." وبإصغائه إلى هذه القصة التي اتحدت فيها الإرادة تماماً بمشيئة الرب، لم يعد الأب الرّئيس مستغرباً لأنّ الرّبّ يصنع على يد هذا الراهب هذا الكم من العجائب. فمَن يعمل بذلك يصبح قديساً حتماً، وزيادة على ذلك، يتمتّع بسلام لا منازع له.

سئل ملك أراغون ألفونس الخامس يوماً عمّن يكون برأيه أسعد إنسان في العالم. فأجاب هذا الملك الفائق الحكمة: "هو الّذي يستسلم تماماً لمشيئة اللّه ويتقبّل كل شيء من يده الإلهية في السراء كما في الضراء".

"وإنّنا نعلم أنّ جميع الأشياء تعمل لخير الذين يحبون اللّه" فأصدقاء اللّه الحقيقيون دائمو الفرح. فإنّهم حتى في الآلام سيجدون سرورهم الوحيد وهو إتمام المشيئة الإلهية. فتصبح المحن نفسها مصدر سرور لهم وحين يقبلونها يُسعِدون قلب ربهم الحبيب. "بكلّ ما يصيبهم لا شيء يدعو الى الأسى".

في الواقع، هل يمكنكم تخيل سرور أكبر من توصل إنسان إلى كل ما يريده؟ إنّما هذا هو حظّ مَن لا يريد سوى مشيئة اللّه ليسعد، فلا شيء يحدث في العالم، عدا الخطيئة، إلاّ بإرادة اللّه. ويتحدث كتاب سيرة الآباء على أحد الفلاحين الذين تنتج حقوله أكثر ممّا تنتجه حقول الجيران. فحين سُئل عمّن له الفضل في هذا الازدهار أجاب: "لا تستغربوا بتاتاً، فأنا أحصل دوماً على الطقس الذي أريده! وكيف ذلك؟ أجل، فأنا لا أريد أيّ طقس، سوى الطقس الذي يرسله اللّه لي. وبما أنّني لا أريد سوى ما يريده اللّه، فهو يعطيني الثمار التي أتمنى الحصول عليها". إنّ مشاهدة سالفيان تنطبق على النفوس المستسلمة لمشيئة اللّه: "هل هي مذلولة؟ هل هذا ما تريده؟ فقيرة؟ أفي هذا الفقر عذوبتها؟ فكيف لا نصفها بالنفوس السعيدة" حتى منذ هذه الدنيا؟ في البرد والحر في الأمطار والرّياح ، مَن يتّحد بإرادة اللّه سيقول: أريد البرد والحرارة أريد أن يهطل المطر وتخف الرياح لأنّ اللّه يريد ذلك.

ليحلّ الفقر والمرض والاضطراب بل الموت، ويريد أيضًا أن يعيش الفقر والمرض والاضطهاد، بل الموت أيضًا لأنّ اللّه يريد ذلك.

هذه هي الحرية االرائعة التي ينعم بها أبناء اللّه، والتي ترفعهم إلى ما يفوق سيّد أسياد وملوك الأرض كلّها. هذا هو السلام العميق الذي يذوقه القديسون: "الذي يفوق كل عقل". فبالمقارنة، ماذا تعني كلّ الملذّات والأعياد والموائد والمكرّمات، بل، المسرات التي يمكن للعالم توفيرها؟ إنّها بقدر ما هي عقيمة تذهب سدًى، فخلال اللحظات القليلة التي نعيشها تدغدغ حواسنا لا تترك، مقرّ الفرح الحقيقي، لا تترك بعدها السلام بل الحزن. فسليمان الذي خبر كل ملذّات الحياة، كان يزداد مللاً: "كلّ شيء ليس إلاّ بباطل وكآبة للروح". وقال الروح القدس: "الجاهل متقلّب كالقمر" إنّما الرّجل البار في حكمته الّذي يحافظ على ذاته فهو كالشمس". فالجاهل، أي الخاطئ، كالقمر الذي ينمو اليوم ويصغر غداً، فترونه اليوم يضحك لكنّه يبكي غداً، ولن يكون اليوم إلاّ حملاً وديعاً، وغداً يتحوّل إلى نمر كاسر، لمَ؟ لأنّ هدوءه رهنٌ بتغيرات الأحداث التي تتوالى، وتكون تارة سعيدة وطوراً مزعجة. فتجرفه تغيرات الأحداث في الحياة. أمّا الصدّيق فيشبه الشمس، إذ تجدونه دوماً في صفاء مستمر مهما حلّ به. فهو يضع سروره في الاتحاد بإرادة اللّه، ويشعر بسلام لا يمكن لأحد تعكير صفوه. فقد قالته الملائكة يوماً للرعاة: "والسلام في الأرض للناس أهل رضاه". فمَن هم أهل رضى اللّه إن لم يكونوا مَن اتّحدوا بمشيئته، وهي مشيئة إلهية طيبة وكاملة؟ أجل، "إنَّ مشيئة اللّه هي كل ما هو صالح وما هو مرضيّ وما هو كامل".

وجد القديسون على الأرض في اتحادهم بمشيئة اللّه فردوساً مسبقاً. وبحسب شهادة القديس دوروثي، هذا سرّ الآباء القدماء لئلاّ يفقدوا بتاتاً هدوءهم الصافي. فقد كانوا يتقبلون الأمورعلى أنّها من يد اللّه. فلمجرّد سماعها هذه الكلمة: "مشيئة اللّه" غمر القديسة ماري مادلين دو بازي العزاء واعتراها الابتهاج في نشوة الحبّ.

هذا لا يعني أنّ المعاكسات ستجد فينا مستساغًا هيّنًا لنهمها إنّما لا بدّ انّها ستطبع النّفس في الأعماق. لكن سيسود السلام والصفاء في نفوسنا، ما إن تتّحد ارادتنا بإرادة اللّه. فالفادي الإلهي كان يقول لرسله: "لا أحد ينزع منكم فرحكم هذا ... ثمّ يضيف: "فيكون فرحكم تامًّا".

فمَن يتّحد بمشيئة اللّه، يمتلك فرحًا كاملاً ودائمًا، فلا ينقصه شيء ممّا يريده. وهذا ما شرحناه آنفاً: لا يمكن لأحد أن يسلبنا فرحنا الدّائم، إرادة اللّه تتحقّق ولا أحد يستطيع منع حصولها.

نقل لنا الأب جان تولير ما جرى معه، فقد كان يتوسّل إلى الرّب منذ أعوام أن يبعث له بشخص يدرّبه على الحياة الروحية الحقيقية. فسمع يوماً صوتاً يقول: "إذهب إلى هذه الكنيسة ، فتجد مَن تبحث عنه." أطاع تولير الصوت فالتقى على باب الكنيسة متسولاً حافي القدمَين يرتدي ملابس رثة. فسلّم عليه قائلاً: "نهاراً سعيداً يا صديقي!" فأجاب الفقير : "يا سيدي، لست أذكر يوماً أنّني عرفت نهاراً سيئاً". فأجابه : "ليعطك الرب حياة سعيدة!" فأجاب المتسوّل: "لم أكن تعيساً يوماً" أضاف: "إسمع أيها الكاهن، لم أقل لك إنّني لم أعرف يوماً نهاراً سيئاً بلا سبب، فحين أجوع، أسبّح الرب، وحين يهطل المطر أو الثلج أباركه، ويزدريني النّاس أو يطردونني، أو أختبر أيّة آلام أخرى، لا أتوانى عن تمجيد اللّه. كما قلت لك إنّني لم أكن تعيساً يوماً وهذا صحيح أيضاً، لأنّني اعتدت أن أريد كل ما يريده اللّه دونما تحفظ. ومهما حصل لي، أحلوًا كان أم مرًّا، أتقبله من يدَيه بفرح، وأعتبره الأفضل لحياتي. وهذا ما يجعلني سعيدًا.

وإذا لا سمح اللّه، شاء أن تكون مدانًا، فماذا تقول؟ إن أرادني أن أكون كذلك، فلي ذراعان أغمره بهما: وهما التواضع والحب، وسأغمره وأضمّه بقوّة لأنّه إن أراد أن يرميني في جهنم، فسيضطرّ إلى أن ينحدر معي. سيكون شعوري أفضل إن كنتُ معه في الجحيم ممّا إن فرحت بكل طيّبات السماء من دونه.

أين وجدت اللّه؟

وجدته هناك، حيث تخلّيت عن كل الخلائق.

ومَن أنت إذًا؟

أنا ملك.

وأين مملكتك؟

في نفسي، حيث أنظّم كل الأشياء من الميول التي أُخضِعها للعقل، والعقل أُخضعه للّه".

فسأل توليرالمتسوّل أخيراُ عمّا قاده إلى هذه الدرجة المرتفعة من الكمال فأجابه: "الصمت. الصمت مع الناس لأحدّث اللّه، والوحدة مع ربي الحبيب. ففيه وجدت السلام وأجده إلى الأبد".

في النّهاية، وبنعمة اتّحاده مع الإرادة الإلهية، توصّل هذا الفقير على ما هو عليه. لقد كان في عريه أغنى من أعظم السّلاطين، وأكثرهم سعادة في محنه من كل الأثرياء العالميّن.

يا لفرط الجنون في الامتناع عن التّسليم لمشيئة اللّه. فالمحن لا بدّ أن تأتي، إذ لا أحد يمنع مخطّط اللّه: "فمَن يقدر على مقاومة مشيئته؟"، سنعاني من دون استحقاق، وسنجذب لأنفسنا عقوبات أقسى للحياة الأخرى، ناهيك عن التفكير في عذاب نفاد الصبر: "فمن ذا الذي قاوم اللّه وبقي بسلام؟". وأيّ مريض تذمّر من آلامه محتجًّا في بؤسه؟ لقد كان القدّيس أوغسطينوس يسأل: "أيّها الإنسانُ المسكين، لِمَ تضِلُّ في بحثكَ عن السعادة؟"

أحبب وابحث عن الخير الأوحد إذ فيه تكمن الخيرات كلّها" فكل أبحاثك باطلة دون اللّه. فجِد اللّه واتّحد وتعلق بمشيئته، وستعيش سعيدًا إلى الأبد في هذه الدّنيا وفي الحياة الأخرى.

وفي النهاية، ماذا يريد اللّه شيئاً سوى سعادتنا؟ مَن يمكنه أن يحمل عاطفة أكبر منه؟ فلا مشيئة له سوى مشيئة واحدة، وهي ألاّ يضلّ أحد

منّا وأن نخلص جميعاً ونصير قديسين. "لأنه لا يريد لأحد أن يهلك، بل أن يتوب الجميع" . "إنّ مشيئة اللّه إنّما هي تقديسكم" فقد وضع اللّه مجده في سعادتنا، وهو بطبيعته الطيبة اللامتناهية . لقد أشار القديس ليون إلى ذلك: "إنّ طبيعته هي الطيبة بحدّ ذاتها". ومن المسلّمات أن ترغب الطيبة الانتشار. فبغنى اللّه بالنّعم لديه رغبة إلهية في التواصل مع النفوس. وربما يتلقّى في هذه الحياة المحن، لكنها تأتي فقط لصالحنا: "إنّ كلّ الأشياء تعمل لخير الذين يحبون اللّه" . حتى عقاباته عينها لا تهدف إلى تهديمنا بل إلى رفعتنا وخلاصنا. فإننا مع القديسة البطلة يهوديت نؤمن أنَّ "تأديبات اللّه إنّما هي للإصلاح لا للإهلاك".

إنّ اللّه بهدف أنْ ينجّينا من العذاب الأبدي يغمرنا بعنايته: "إنّك أنت يا رب تكتنفنا بحبك كالنّعجة. "هو يريد خلاصنا بل يطلبه لنا: "السيد يعتني بي" . فقد كان القديس بولس يقول: "ماذا سيرفض لنا اللّه وهو الذي وهبنا ابنه الوحيد، إنّ الذي لم يضنّ بابنه نفسه، بل أسلمه إلى الموت من أجلنا جميعاً، فكيف لا يهبنا معه كلَّ شيء؟" .

علينا التّسليم بهذه الثّقة للمشيئة الإلهية التي لا تهدف إلاّ لخيرنا. فلا نتوانى عن القول، في كل ما يحدث معنا: "بالسلام أضطجع وأنام" . لا تتردّد أبداً في الاستسلام التّامّ بين يدَيه، فلن يسيء إلينا بتاتًا: "ألقوا عليه همّكم فإنه يُعنى بكم" . فلنفكّر في اللّه. ولنعمل على إتمام مشيئته القدوسة وهو يعتني بنا ولا يتغاضى عن صالحنا. هذا ما قاله ربنا يوماً للقديسة كاثرين السّيانيّة: "يا ابنتي فكّري بي فسأفكّر بك دائمًا" . ونردّد دائمًا الكلمات التي قالتها العروس المقدسة: "حبيبي لي وأنا له" . فالّذي اُحبُّهُ يفكر في ما يلزمني. وانا لا أريد أن أنشغل إلاّ بإرضائه والاتحاد بمشيئته المقدسة.

ينصح الأب القديس نيل بأن لا تكون صلواتنا إلى اللّه من أجل نجاحٍ نتمنّاه، بل من أجل اكتمال مشيئته فينا. وحين نواجه المصاعب لنقبلها منَ يد اللّه من دون استثناء، ليس بصبر فقط بل بفرح. فلنحذو حذو الرسل

الذين: "انصرفوا من مجلس الشّعب فرحين بأنّهم وُجدوا أهلاً لأن يهانوا من أجل اسم يسوع". أجل، علينا أن نعلم انه في مواجهة محنة ما، إن نحن احتملناها بصبر وعزم، سنقدّم للّه أعظم فرح يمكننا أن نقدّمه له.

هل يمكن لنفس أن تنال سعادة أكثر عمقًا من ذلك؟ فمعلّمو الحياة الرّوحيّة يوصوننا بأنّ الله ربما يوافق على عذابات بعض النفوس راضيًا، لكن فرحه يزداد في توحيد إرادتنا بإرادته. فلا نرغبن بالفرح ولا بالعذاب بل في التّسليم لإرادته القدوسة من دون تحفّظ ولا نضمر رغبة إلاّ في تحقيق إرادته.

إنّ أنتِ رغبتِ، أيتها النفس الأمينة، في إرضاء ربك والتّوصّل الى الفرح الحقيقي على هذه الأرض، فاتّحدي بالإرادة الالهيّة في كل شيء. وتذكّري أنّ أخطاء ماضيك وانتفاضاته ومرارته، ليس لها إلاّ مصدرٌ واحدٌ وهو مخالفة إرادتك لإرادة اللّه. فتعلّقي في إرضاء إلهنا الطيب واستمرّي في القول: "نعم يا أبتِ، هذا ما كان رضاك". وحين تشعرين باضطراب بسبب حدث ما، فكري في أنه من اللّه، فلا تتأخري في القول: "إنّ هذه مشيئة اللّه" ولينعم قلبك بالسّلام. "سأصمت ولن أفتح فمي لأنّك أنت فعلت"، أنت وجّهت هذا الأمر، وليس لي أن أجادلك بل أن أقبله. فتفكيرك وابتهالاتك كلّها تتّجه في هذا الهدف، وهذا ما عليك العمل من أجله وهذا ما عليك طلبه من اللّه بلا هوادة في تأمّلك، في المناولة وفي زيارة القربان الأقدس. فيحملك على إتمام مشيئته.

ولا تتوانَ عن تقدمة نفسك باستمرار قائلاً: "يا إلهي، ها أنا، فتصرّف بي وبكل ما لي على هواك. هذا ما كان يشغل القديسة تيريزيا باستمرار، فقد كانت تقدّم نفسها للرب خمسين مرّة يوميَا على الأقل، ليتصرف بها كما يشاء.

طوبى لك أيها القارئ الحبيب إن تصرفت هكذا على الدّوام! فقداستك ستصبح مؤكّدة، وستعيش سعيد القلب، وسيكون موتك أهنأ من حياتك. فحين يغادر مسيحيّ إلى العالم الآخر، ماذا يؤكّد لنا الرّجاء في خلاصه؟

إنّما مدى استسلامه في الساعة الأخيرة. فيا أخي، إن فتحت ذراعَيك للموت بعد تقبلك مختلف أحداث الحياة، كما لو انّها آتية من لدن اللّٰه، وتتمّم مشيئته، فسيكون مصيرك معروفًا ويصبح موتك موت قدّيس.

فلنسلّم إذاً متخلّين عن ذاتنا بلا تحفُّظ إلى مشيئة ربنا الطيبة، فحكمته لامتناهية، وهو يعلم ما هو الأفضل لنا، لأنّه يحبنا بشكل لامتناهٍ وقد أعطانا حياته. وهو أيضاً يريد الأفضل لنا. فلنقتنع جيداً، كما يدعونا القديس باسيليوس، بأنّ الرب يحكم حياتنا لصالحنا، بشكل أفضل، ولا داعي لمقارنة ذلك بما يمكننا نحن أن نتحكم بحياتنا أو نرغب في ذلك.

فلنهتمّ الآن بالجانب العملي. ولنرَ بالتفاصيل كيف يمكننا توحيد إرادتنا بمشيئة اللّٰه.

أولاً، علينا ألاّ نملك إلاّ إرادة واحدة مع اللّٰه في كل ما يحدث في الطبيعة التي تحيط بنا، من حرّ شديد وبرد قارس وأمطار، وسنين من الجفاف وأوبئة وما شابه... ولنتنبه لئلاّ نتلفّظ بهذه العبارات: "يا للحرارة الشديدة! يا للبرد الذي لا يُحتمل! يا للملل! يا للحظ السيّئ! يا لهذا الوقت النحس!" وكل العبارات الأخرى من النوع نفسه ما يشير إلى نفورنا من مشيئة اللّٰه. بل علينا أن نقبل كل شيء كما هو فلا شيء إلاّ ويد اللّٰه فيه. فالقديس فرنسيس دو بورجيا، حين وصل إلى بيت لرهبانيته في ليلة مثلجة، قرع الباب مرات عدة ولم يستيقظ أحد ولم يفتح أحد له الباب. وحين طلع النهار، عبّروا له عن أسفهم العميق على حمله على الانتظار هكذا في الهواء الطلق، لكنّ القديس أجاب انّه في هذه الساعات، شعر بتعزية حنونة حين فكر في أنّ اللّٰه سُرّ بنثر هذه الثلوج على كتفَيه.

ثانياً، علينا الاتحاد بمشيئة الرب في كل ما يؤلمنا في داخلنا كألم الجوع والعطش والفقر والندم والمذلة. بل استغنموا الفرصة دوماً في القول: "يا رب، أحسن او أسئ إليّ على هواك وأنا سعيد دائمًا، فأنا لا أريد سوى ما تريده أنت" وفي هذا السياق، يعرض علينا الأب رودريغيز طريقة الإجابة عن

بعض التخيلات التي يوحيها لنا الشيطان في فكرنا أحياناً، ليُحدث فينا خطأ داخلياً، أو على الأقل ليزرع الاضطراب في قلبنا: "إن حدّثك أحدهم بهذه الطريقة، أو استخدم معك هذا الأسلوب، فماذا ستقول؟ وماذا ستفعل؟" لتكن لنا إجابة واحدة فقط: "سأقول ما يريد الله قوله، وأفعل ما يريد الله أن أفعله فقط"، وهكذا لن نخطئ ولن نقلق.

ثالثاً، إن كان فينا عيب طبيعي في النّفس أم في الجسد، وذاكرة ضعيفة أو بطء في الذّكاء أو نقص في المهارة، او صحّة هشّة فلا نتذمّر. فأيّ حقّ لنا بروح أكثر ارتفاعاً أو بجسد أفضل؟ وما يرغِم الله على إعطائنا إياهما؟ ألم يكن ممكناً أن يصنع منّا مخلوقات غير عاقلة أو يرمينا في عدَمِنا؟ فليس علينا أن نجادل في ما أعطانا إياه اللّه من حرّيّة. فلنشكر الرب على ما أعطت لنا طيبته الصافية ولنفرح على ما صاغنا به .

فمَن يعلم أنه وإن كنا نملك عقلاً لآمعاً أو صحةً أكثر جاذبية، لن نضلّ؟ فكم من أناس كانت موهبتهم وعلمهم مدعاةً لضلالهم بسبب حبهم لأنفسهم وازدرائهم الآخرين، وهو الخطر الذي يتعرّض له أكثر مَن يتمتّع بمواهب فكرية ممتازة. كم من أناس آخرين كان جمالهم أو قوتهم الجسدية مهلكَين، لأنّ مَن يحملها قد تصرّف أحيانا بنذالة؟ وبالمقابل، كم من أناس آخرين كان يمكن لغناهم أو صحتهم أو جمالهم أن يرميهم في جهنّم، لكنّهم نالوا القداسة والخلاص بنعمة فقرهم وإعاقتهم وشكلهم غير الجذاب. أجل، لنكتفِ بما أعطانا الله إياه لأنّ "الحاجة إلى أمر واحد"، والأمر اللازم الوحيد لا يكمن في لفت الأنظار ولا الصحة الجيدة ولا في الفكر اللامع، بل في خلاص نفسنا.

رابعاً، يجب علينا خاصّة أن نستسلم عند الأمراض والعجز الجسدي. علينا أن نقبلها بكامل إرادتنا وكما يريدها الله وفي الوقت الذي يريد. وبالطبع، علينا استخدام الأدوية العادية لأنّ هذه أيضاً مشيئة لله، لكن إن لم تنفع الأدوية، فلنتّحد بمشيئة الله التي ستنفعنا أكثر من منفعة صحتنا

بكثير، ولنقل إذاً: "يا رب، لا أريد أن أشفى ولا أن أبقى مريضاً، بل أريد فقط ما تريده أنت!".

من المؤكّد أنّ الفضيلة الكبرى في المرض هي في الامتناع عن التذمّر عند المعاناة، ومع ذلك حين تكون هذه المعاناة كبيرة وساحقة، ليس خطأً أن نبوح لأصدقائنا بها، ولا أن نضع رجاءنا في الرب بأن يخلّصنا منها. هنا أتحدّث عن العذابات الكبرى لأنه في المقابل، من العيوب أن نبتغي أن يتعاطف العالم معنا ويرثي لحالنا عند أصغر انزعاج كالبعض. وفي ما تبقّى حين رأى ربّنا نفسه في بداية آلامه الفائقة المرارة، انفتح لتلاميذه حيال آلامه قال: "نفسي حزينة حتى الموت". ورجا بل توسّل إلى الآب الأزلي بأن يبعد عنه هذه الآلام المبرّحة: "يا أبتِ، إن أمكن الأمر، فلتبتعد عنّي هذه الكأس". لكن يسوع نفسه بعد صلاة كهذه يعلّمنا ما علينا فعله، وهو أن نستسلم فوراً للمشيئة الإلهية حين أضاف: "لا مشيئتي بل مشيئتك".

ثمّة مَن يقرّون بأنهم يودّون أن يحظوا بصحة جيّدة، لكنهم يقولون إنهم لا يريدون ذلك لتجنّب الآلام، بل لخدمة الله بشكل أفضل، فبصحتهم الجيدة يمكنهم أن يطبقوا القوانين ويفيدوا المجتمع، ويذهبوا إلى الكنيسة ويتناولوا القربان الأقدس ويتوبوا، ويختلوا للدراسة والعمل على خلاص النفوس في كرسي الاعتراف والوعظ. وهذا خطأ فادح. فأنا أسأل مَن يتكلم هكذا: "أيتها النفس العزيزة، لمَ ترغبين في فعل كل ذلك؟ أليس لإرضاء اللّه؟ لمَ تستمرّين في البحث إن كنت حتماً تعرفين أين مسرّة الرب فيك؟ فهي ليست في الخطابة والتناول والتوبة والدراسة والوعظ، بل في تحمّل المرض والآلام التي يرسلها الرب إليك بصبر. ومنذ ذلك الحين، وحّدي آلامك بآلام يسوع المسيح.

لكنّني أنزعج من أنّه مع هذا المرض سأكون عديم الفائدة وعبئاً على المجتمع وعلى عائلتي.

هيا، إستسلم من ناحيتكَ إلى إرادة الرب، وآمن، كما يجب عليك أن تفعل، إنّ مرؤوسيك وأهلك يستسلمون مثلك، فهم يعلمون جيداً أنّ العبء الزائد لا

يحمله كسلك، بل مشيئة الله. وباختصار، هذه الرغبة وهذه التذمرات لا تأتي من محبة اللّه، بل من حبّ النفس، وهو يبحث عن أعذار لتبتعد عن مشيئة اللّه."

هل نريد إرضاء اللّه؟ لنتكلم إليه حين نُحتجَز في السرير، بهذا القول الفريد: "لتكن مشيئتك". ولنكرّرها من دون هوادة، مئات المرات بل آلاف المرات، ففي هذه الكلمة وحدها سنرضي اللّه بشكل أكبر ممّا لو أهديناه كل إماتاتنا وكل أعمال إخلاص ممكنة. فلا سبيل لإرضاء اللّه أفضل من الامتثال لمشيئته بفرح. فقد كتب الطوباوي جان الأفيلي إلى كاهن مريض: "يا صديقي، لا تجهد نفسك في التكهّن لما كان سيحصل لو كنت في صحة جيدة، فاكتفِ بكونك مريضاً طالما يريد اللّه ذلك. فإن بحثت عن مشيئة اللّه، فما همّك بين الصحة والمرض؟" انّه ما من قول أجمل من هذا، فاللّه يتمجّد، ليس بإنجازاتنا، بل باستسلامنا لمشيئته الإلهية وامتثالنا لها. وهكذا قال القديس فرانسوا دو سال: "لنتفانَ في خدمة اللّه، متقدّسين في الآلام أكثر ممّا في العمل.".

وغالباً ما سينقصنا الأطباء والأدوية، وربما لن يعرف الطبيب ما مرضنا. وهنا علينا مرة أخرى الاتحاد بمشيئة اللّه، التي قررت ذلك من أجل صالحنا. لقد حدث أنّ مريضاً، متشفّعاً للقديس توما دو كانتوربيري، ذهب إلى قبر القديس ليطلب منه الشفاء، فناله. وحين عاد إلى منزله بدأ بالتفكير: "إن كان هذا المرض أنفع لنفسي، فبمَ تنفع الصحة؟" وحين نضجت هذه الفكرة في داخله، عاد الى زيارة الحجّ، وتوسل إلى القديس أن يطلب له إلى اللّه أن يمنحه الأفضل لخلاصه الأبدي. فعاد مرضه واعتبر نفسه فائق السعادة مطمئنّاً إلى أنّ الرب يهتمّ هكذا بما هو لصالحه. كما نقل سوريوس واقعةً مشابهةً، بحيث شُفِيَ أعمى بشفاعة القديس فاست، لكنه لم يتردد في أن يطلب إلى المطران القديس أن يعيد إليه عماه إن كان هذا الأفضل لحياته الرّوحيّة، وبعد صلاته، عاد أعمى.

إذاً حين نمرض، من الأفضل ألاّ نعبّر عن تفضيل لا للصحة ولا للمرض، وأن نضع نفسنا بين يدَي الله حتى يتصرّف بنا كما يشاء. لكن إن أردنا أن نصلي لنشفى، فلنصلّ وقلبنا مستسلم، مسبقاً على الأقل، بشرط ألاّ تتعارض صحّتنا مع الخير الأبديّ لنفسنا، وإلاّ كانت صلاتنا باطلة ولن تؤدّي إلى شيء. الرب لا يستجيب الصلوات التي يغيب فيها استسلامنا إليه.

وادعُ وقت المرض، وقت الاختبار للحياة الروحية، لأنَّ ما يكشف حقيقة الفضيلة التي تملكها النفس. إن حافظت على صبرها، وامتنعت عن التذمّر، ولم تطلب شيئاً بل أطاعت أوامر الأطبّاء والمرؤوسين، وإن بقيت هادئة واستسلمت تماماً إلى مشيئة الله، فهذه إشارة إلى أنّ أسس فضيلتها حقيقية. وبالمقابل، فيمَ نفكّر حين يتذمّر مريض من دون هوادة، تارة لأنّ أحداً لا يهتمّ به، وتارة من آلامه التي لا يمكن احتمالها، وطوراً من الأدوية عديمة النفع أو من الطبيب الجاهل، أو حتّى أحياناً من الله الذي يضرب بقوّة؟

تحدّث إلينا القديس بونونتورا بهذا المقتطف عن حياة القديس فرنسيس، حين كان يعاني آلامه الاعتيادية بشكل أقسى، وقال له أحد رهبانه بابتسامة متناهية البساطة: "يا أبتِ، صلّ إلى الله ليعاملك برفق أكبر، لأنّه يبدو أنّه ضغط بيده كثيراً عليك" وبسماع ذلك، أطلق القديس صرخة وأجاب: "إسمع يا أخي، لو لم أكن أعلم أنّك تكلّمت هكذا بسبب بساطة روحك، فلن أحتمل رؤيتك، بعد أن تجرّأت على إيجاد ما تعيد النظر فيه في حكم الله عليّ". ومنذ ذلك الحين، على الرغم من ضعفه بسبب المرض حتى الإرهاق، أسرع في النهوض من سريره مرتمياً على الأرض وهو يقبّلها ويقول: " يا رب، أشكرك على الآلام التي ترسلها إليّ. أتوسّل إليك أن تزيدها مئة ضعف إن شئت، ففرحي في أن تسحقني بالآلام.

وكما نشعر تجاه مرضنا الشخصيّ، علينا أن نتقبّل مرض مَن تربطنا بهم علاقة أو مصلحة دنيوية أو روحية حتى الى درجة فقدانهم.

فغالباً ما تفتقد النفوس المؤمنة الى هذه النّاحية الأخيرة بسبب نقص في الاستسلام إلى المشيئة الإلهية. فليس آباؤنا الروحيون مَن يعطوننا القداسة

بل الله. ومن المؤكد أنّ الله يريدنا أن نستفيد من توجيهات مرشدينا الروحيّين حين يحفظهم لنا، لكنه حين يأخذهم منّا يريدنا أن نستسلم له، مضاعفين ثقتنا في صلاحه ونقول: "يا رب، أنت منحتني هذا المرشد الاجتماعيّ، وأنت أخذته منّي أيضاً. فلتكن مشيئتك دائمًا! وعليك الآن أن تستجيب الى ما أحتاج إليه، وأن تعلّمني ماذا أفعل كي أخدمك. هذا ما يجب أن يكون موقفنا وقبولنا، بالأخصّ كلّما وضع الله صليباً ما على كتفَينا.

قد تقولون لي: "بعض المحن ليست سوى عقابٍ" فسأجيبكم: ألا يمكن أن يكون العقاب الذي يرسله الله في هذه الحياة هو نعمة وخير؟ فإن أهنّاه، علينا ان نرضي عدالته الإلهية بطريقة ما، إمّا في هذه الحياة وإمّا في الحياة الاخرى. لذا علينا أن نجعل صلاة القديس أغسطينوس صلاتنا إذ قال: "أحرقني يا ربّ وقطّعني ولا تترفّق بي بتاتاً في هذه الدنيا، كي ترأف بي في الأبدية" وكذلك قول أيّوب: «فتبقى لي تعزيةٌ أبتهجُ بها في عذابٍ لا يرفق، لأنّي لم أجحد أقوال القدّوس» أليست رؤية الله وهو يعاقب في هذا العالم، هي تعزية لمَن استحقّ الحجيم؟ أليس العقاب هنا هو تشجيع كبير ورجاء كي ننجو من العقاب الأبدي هناك؟ إذاً حين يضربنا الرب، فلنقل مع الكاهن الكبير عالي: "هو الرب فما حسن في عينَيه فليفعل"

علينا أن نستسلم في أوقات الكآبة الروحية. فحين تخطو نفس خطواتها الأولى على طريق الحب الإلهي، يعتاد الرب أن يغمرها بتعزيات عدة ليحرّرها من تعزيات الأرض.. لكن حين تثبت في روحانيتها قليلاً، سينسحب لاختبار محبتها له: فهو يريد أن يرى إن هي ستخدمه وتحبه من دون مقابل حسّي في هذا العالم. لقد كانت القديسة تيريزيا تقول: "لا تكمن الفائدة الروحية من الاستمتاع بمسرات الرب دائماً، بل بإتمام مشيئته" زيادة على ذلك، "إنّ محبة الله ليست خالية من الحنان، لكنها تتمثل في الخدمة بقوة النفس والتواضع" ناهيك عن أنه: "بالجفاف يختبر الرب أصدقاءه".

إنَّ النفس حين تنال من الرب الخيرات والمسرات الحسية، فلتعترف

بجميله، لكن عليها ألاّ تدع الحزن وقلة الصبر يغلبانها في ساعات غياب هذه التعزيات بل على هذا أن يلفت انتباهنا. فقد نلتقي في الواقع نفوساً محدودة تتخيل عند حلول التجربة أنّ اللّه تخلى عنها، أو أنها ليست موجودة لتعيش الحياة الروحية، فتتخلى عن الإيمان وتفقد بذلك ثمار جهودها السابقة.

ليس هناك أيّ وقت أفضل من وقت الجفاف والتجارب للتمرّن على الاستسلام لمشيئة اللّه. فأنا لا أطلب إليكم ألاّ تتألّموا بغياب ربكم حسياً. فلا يمكننا إلاّ أن نشعر بألم كهذا وأن نشكوه، وقد اشتكى الرب بنفسه على الصليب: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني؟" لكن على النفس المتألمة أن تستسلم، من دون تحفظ، إلى مشيئة الرب الإلهية. فإنَّ أيّ قديس لم يتجنّب المرور بهذه الكآبة وهذا التخلي الروحي. وقد كان القديس برناردوس يقول: "كم جفّ قلبي وقسا! لم يعد لديّ رغبة في المطالعة ولا سهولة في التأمل ولا فرح في الصلاة" . لم تكن التعزيات هي الشائعَة بين القديسين بل الألمُ. فلا يمنحها الرب التعزية إلاّ نادراً، وربما يفضل ذلك للنفوس التي يتطلب ضعفها هذه المعونة لتكمل مسيرتها. أمّا المسرات التي تهدف إلى المكافأة فيتركها للفردوس. فالأرض مكان استحقاق، استحقاق بالآلام أمّا السماء فمكان المكافأة والسرور. كما أنّ القديسين لا يعملون على الأرض بحرارة للبهجة الحسية، بل بحرارة الإرادة في قلب الآلام. وكان الطوباوي جان الأفيلي يقول: "أفضّل ألف مرة أن أبذل جهدي في الآلام والتجارب بإرادة الرب، بدلاً من تذوّق حلاوة السماء في التأمل خارج إطار هذه المشيئة الإلهية" .

ستقولون لي: "لو كنت أعلم أنّ هذه الكآبة تأتي من اللّه، فسأكون بسلام، لكن ما يزعجني ويقلقني، هو خشية أن يكون هذا خطأً إضافياً وأن يكون هذا عقاباً على فتوري." من الرائع أن تصحّحوا هذا الفتور وتعيدوا إحياء اندفاعكم، لكن بما أنكم في ظلام، فلمَ تنجرفون إلى الإضطراب وتضعون الصلاة جانباً فتضاعفون ألمكم هكذا؟ لنقبل كما أكّدتم أنّ فتوركم عقاب، أليس اللّه مَن يرسل هذا العقاب؟ فاقبلوه إذاً واعترفوا بأنكم تستحقونه

وتقبلوا مشيئة الله. ألا تحتجّون حين تقولون إنكم تستحقون الجحيم؟ هل تدّعون في الوقت عينه أنكم تستحقون تعزية الله؟ فلمَ تتذمّرون إذاً؟ فدعوا الله إذًا يعاملكم على حسب ما يريد، وكونوا واثقين في صلواتكم، وأكملوا طريقكم ولا تخافوا بعد الآن بتاتاً سوى أن تأتي شكواكم نتيجة قلة تواضعكم ونقص استسلامكم إلى المشيئة الإلهية.

حين نعود إلى الصلاة، ما هي أكبر فائدة يمكننا نيلها؟ إنّها الاتحاد بمشيئة الله. لذلك، قدّموا أفعال استسلام وقولوا: "يا رب، إنّي أقبل هذه الآلام من يدَيك، أقبلها طوال المدة التي تريدها، وإن أردت ان أبقى في هذا العذاب طوال الأبدية فسأكون سعيداً." وهكذا، مع أنّ صلاتكم هذه كانت قاسية، فستفيدكم أكثر ممّا تفيدكم أيّ تعزية.

بالإضافة إلى ذلك، علينا ألاّ ننسى أنّ ليس كلّ ألم عقاباً، بل أحياناً تشكل مشيئة العناية الإلهية دفعاً لزيادة تقدّمنا ولنستمرّ في العيش بالتواضع. فإنَّ الرب لم يكن ليريد أن يفتخر القديس بولس بالمواهب التي نالها، ولهذا، سمح بأن يتعذّب بالتجارب الحسية: "ومخافة أن أتكبّر بسموّ المكاشفات، أوتيت شوكة في جسدي: رسولاً للشيطان وُكِلَ إليه أن يلطمني لئلاّ أتكبّر". فليس بالأمر الباهر أن نجد مسرّاتنا بالصّلاة: "فتكون كصديق يشترك في مائدتك ولكنه لا يثبت في يوم ضيقك". فلن تعتبروا مَن لا يبقى معكم سوى على طاولتكم صديقاً حقيقياً، بل مَن يقف إلى جانبكم في ساعات الضيق حيث لا يربح شيئاً. فحين يُغرق الله النفوس في الظلام والكآبة، سيعرف حينئذٍ مَن هم الأصدقاء. لم يكن بالاديوس مثلاً يجد في الصلاة إلاّ الملل، وحين شكا ألمه إلى القديس مكاريوس فقال له: "حين تحملك أفكارك على ترك الصلاة، أجب: "سأبقى هنا بإرادتي لأحرس جدران زنزانتي من أجل حبّ يسوع المسيح". هذه الإجابة هي لكم أيضاً حين تحاولون أن تتركوا الصلاة، لأنه قد يبدو لكم أنكم تضيعون وقتكم هناك لكن رددوا: "سأبقى هنا لارضي إلهي".

أمّا في الصلاة، فلن تفعلوا شيئاً سوى طرد التّشتّت والتجربة، وهذا، بحسب القديس فرانسوا دو سال، هو أمر رائع. كما يؤكد توليـر أنّ مَن يثابر على الصلاة رغم التجربة، سيرفعه الله نحو كمال أعلى بكثير ممّا ترفعه الصلوات الطويلة المليئة بالإيمان الحسي. نقل الأب رودريغيز أنّ أحد خدّام الله، لم يشعر بأيّة تعزية على الإطلاق خلال أربعين عامًا من الصلاة، لكن في الأيام التي أخلص فيها إلى صلاته، كان يشعر بأنه مليء بالقوة ليقوم بالفضائل، وبالمقابل، حين كان يغفل ذلك، كان يشعر بالضعف والعجز عن القيام بأيّ عمل خيّر. كما يقدّر القديس بونونتورا وجان جيرسون أنّ نفوساً كثيرة حُرمت من التأمل الذي رَغِبَتْ به، تخدم الرب بشكل أكبر بكثير، لأنّها تقوم هكذا بجهد أكبر وتزداد تواضعاً، فإن كان الأمر مغايراً، ربما يغلبها الغرور أو الفتور حين تظنّ أنّها بلغت هدف رغبتها.

ما يقال عن الجفاف يدعى أيضاً تجربة. بالطبع علينا مداراة نفسنا لتجنبها، لكن إن أراد الله أن تمسّنا أو سمح بذلك، إن كانت ضدّ الإيمان أو الطهارة أو أيّة فضيلة أخرى، علينا ألاّ نتذمّر، بل علينا الإستسلام إلى المشيئة الإلهية في ذلك أيضاً. فقد أجاب ربنا القديس بولس الذي كان يسأل توقف تجربة في الحواس: "تكفيك نعمتي". وهذه حالنا نحن حين نتعرّض للهجومات المؤلمة، ونسأل الله أن يخلّصنا وهو لا يحقق مشيئتنا، فلنقل: "يا رب، إفعل ما يسرّك واسمح به، فنعمتك تكفيني، لكن اعضدني لئلاّ أفقدها يوماً".

ليست التجربة هي التي تُفقِدنا النعمة الإلهية، بل بالتواطؤ معها. فحين نبعِد التجارب، نتشبّث بالتواضع، فننال استحقاقات أكبر، وتلهمنا باللجوء إلى الله بوتيرة أسرع. بالنتيجة، نبقى بمنأى عن إهانةِ اللّه، ونقوّي روابط اتّحاد المحبة به.

في النهاية، علينا أن نتّحد بمشيئة الله في ما يتعلّق بساعة موتنا، إمّا من حيث الزمن، أو الظروف التي يحددها الله بحسب مشيئته.

كانت القديسة جيرترود تتسلق يوماً تلّة عالية، فزلت قدمها ووقعت في واد عميق. فسألتها مرافقاتها إن خافت من الموت من دون تناول القربان المقدس. فأجابت: "أريد كثيراً أن أتناول القربان المقدس في ساعة موتي، لكنّني أتعلق أكثر بمشيئة الله، فأنا اظنّ أنّ أفضل ظروف الميتة الصالحة هي في استسلامي إلى ما يريده هو، وأنا أتمنّى أيضاً الميتة التي يوافق عليها ربي الحنون". أمّا القديس غريغوريوس، فقد نقل، في كتابه "الحوارات"، أنّ شعب اللومبارد الذين حكموا على كاهن يدعى سانكتولوس بالإعدام، تركوا له خيار طريقة عقوبته. فتجنّب هذا القديس استخدام هذه الحرية قائلاً: "أنا بين يدَي الرب، وسأنال الموت الذي سيسمح لكم بأن تخضعوني له، ولا أريد سواه"، هذا الاستسلام كان مرضيًا جدًّا في عيني الرب، فبعد ان اتّخذ القرار بقطع رأس هذا الكاهن، أوقف الربّ بنفسه يد الجلاد بطريقة فاجأت الجميع، فحفظوا حياة القديس سالمة.

ففي ما تعلق بموتنا أيضاً علينا أن نقبل أنّ أفضل موت هو الموت الذي يريده الرب لنا. فكلما فكّرنا في الموت، فلنقل: "يا رب، إمنحني الموت في حال من السلام، وعدا ذلك، إمنحني أن أموت بالطريقة التي تريدها". لتتّحد إرادتنا بمشيئة الله في ما يتعلق بساعة موتنا. فما الأرض إلاّ سجن نتعذّب فيه ويكون فيه خطر فقدان الله كبيراً في كل لحظة؟ ومن هنا صرخة داود: "اَخْرِجْ من الحبس نفسي". ومن هنا أيضاً، كانت القديسة تيريزيا تعيش شقاء الحياة، والتنهّدات المليئة بلهفة الموت، والفرحة بصوت دقات الساعة التي فيها، مرّت ساعة من حياتها، ساعة من الخطر! ولهذا السبب، باحتمال فقدان النعمة الإلهية الذي يرافق هذه الحياة دوماً، كان القديس يوحنا الأفيلي يفكر في أنّ كلّ مَن يستوفي الشروط المناسبة، عليه أن يتمنى الموت على الحياة.

يا لعظمة الميتة الصالحة ويا لأهميّة الرغبة فيها، بحيث تحمل الأمان باستحالة انتزاع نعمة إلهنا بشكل لا منازع له! لكنكم قد تقولون إنّكم لم تفعلوا

شيئاً بعد ولم تكتسبوا شيئاً لخلاص نفسكم. لكن إن أراد الله إنهاء حياتكم الآن، فما الصالح الذي ستفعلونه في ما بعد إن امتدّ وجودكم بما يعاكس مشيئته؟ مَن يعلم إن كنتم لاحقاً ستحظون بميتة أقلّ صلاحاً من الميتة التي تأملونها في هذه الساعة؟ ومَن يعلم أنه حين تغيرون هذه المشيئة، قد تقعون في خطايا أكثر بكثير فتحل اللعنة عليكم؟ وفي جميع الأحوال، إن طالت حياتكم فسترتكبون الخطايا، على الأقل الخطايا العرضية. وبالتالي، صرخ القديس برناردوس: "لمَ؟ لمَ نرغب هذه الرغبة في الحياة التي لا تطول سوى بزيادة أخطائنا؟" إنما من المؤكد أنّ خطيئة عرضية واحدة فقط تزعج الله أكثر ممّا تفرحه كل الأفعال المقدسة التي نحن قادرون على فعلها مجتمعة!

وأضيف أنّ رغبتنا القليلة في الفردوس هي شهادة منّا على قلة محبتنا لله. فمَن يحبّ، يتلهّف ليكون بوجود مَن يحبّه، إنّما لا يمكننا ان نرى الله إن لم نغادر الأرض، فقد تمنّى القديسون الموت ليذهبوا ويتمتّعوا برؤية ربهم الحبيب. فاسمعوا تنهدات القديس أغسطينوس: "دعني أموت يا رب لأذهب فأراك" وتنهدات القديس بولس: "فلي رغبة في الرحيل لأكون مع المسيح!" وتنهدات داود: "متى آتي وأحضر أمام الله؟" وهذا ينطبق على كل النفوس المغرمة بالله. أخبر كاتب أنّ رجلاً نبيلاً ذهب للصيد مجتازاً غابة. وفجاة سمع صوت رجل يرنم ترنيمة عذبة. فتقدّم فوجد نفسه أمام أبرص مسكين أكل البرص نصف جسده. فسأله عمّا إذا كان هو مَن يرنّم بهذه الطريقة.

- أجل، أيها الخيّال، هذا أنا.

وكيف يمكنك الترنيم والفرح مع هذا الألم الذي يعذّبك ويبدو أنّه قريب من أن ينال من حياتك؟

أيها الخيّال الطيب، لا فاصل بيني وبين الله الحنون سوى هذا الحائط الوحلي الذي هو جسدي، وحين يسقط هذا السياج، سأذهب لأتمتع برؤية إلهي. وها أنا أراه ينهار كلّ يوم قطعة قطعة، فأفرح وأرنّم".

وثمة نقطة أخيرة. ليست درجة النعمة ولا المجد هما بين السببَين

الوحيدَين لاتّحادنا بمشيئة الله. فمن دون أيّ شك، علينا أن نعطي أهمّيّة كبرى لكل ما يتعلق بمجد الله، لكن علينا منح أهمية أكبر لمشيئته. وعلينا أن نرغب في محبة الله بحرارة أكبر من محبة السيرافيم، ومع ذلك، علينا ألاّ نرغب إلاّ في درجة الحب الذي قرر الرب أن يمنحنا إياها.

كان الطوباوي يوحنا الأفيلي يقول: "لا أظنّ أنّه بين القديسين، من لا يريد أن يكون أفضل ممّا كان عليه، لكنّهم لم يفقدوا سلامهم الداخلي بتاتاً لأنّ رغبتهم لم تأتِ من طموح شخصي، بل من محبة الله. لذا باركوا الله على توزيعه لنعمه، واكتفوا بحصّتهم مهما كانت صغيرة، وهم يقدّرون أنهم يُظهرون للرب محبة حقيقية بالاكتفاء بما أعطاهم الله من الرغبة في الحصول على المزيد". وكما شرح الأب رودريغيز بأنَّ ذلك يعود إلى أمرَين: من جهة، علينا أن نضع كل اهتمامنا وكل جهودنا على اتّباع الكمال، ولنتنبّه من أن نستعمل فتورنا أو حتى كسلنا كعذر، ونقول ظاهرياً: "على الله أن يعطيني هذا أو ذاك، وأنا ليس باستطاعتي فعل المزيد". ومن جهة أخرى، حين نعاني أيّ فشل، علينا ألاّ نفقد السلام، ولا امتثالنا إلى مشيئة الله الذي سمح بهذا الفشل، ولا أن نفقد الأمل، فلنقم فوراً بتوبة مليئة بالتواضع، ولنطلب إلى الله نجدةً أقوى ولنعد إلى طريقنا. كما يمكننا أن نرغب في الصعود إلى السماء إلى جوق السيرافيم، لا لنزداد مجداً، بل لنمجّد الله ونحبه بشكل إضافي. لكن علينا أن نقبل مشيئته المقدسة فنكتفي بالمكان الذي يريد أن يمنحنا إياه في رحمته.

أمّا من حيث الرغبة في نيل حالات من الصلاة التي تفوق الطبيعة، وبالتحديد النشوة والرؤية والانخطافات، فسيشكل ذلك خطأً فادحاً. فحتى المعلّمين الروحيّين يعلّمون أنّه إن حظيت نفس بهذا النوع من النعم، فعليها أن تطلب إلى الله أن يأخذها منها لتسير في الحب بطريق الإيمان الصافي الذي يوفر المزيد من الأمان. فالكثير من الناس قد بلغ الكمال من دون معونة هذه النعم الفائقة الطبيعة، لأنَّ الفضائل ترتفع بالنفس إلى حد القداسة،

وأهمّ هذه الفضائل اتّحاد إرادتنا بإرادة اللّه.

حتى ولو لم يشأ اللّه أن يرفعنا إلى درجة مطلقة من الكمال والمجد، لنمتثل إلى مشيئته القدّوسة من دون تحفّظ، ونتوسّل إليه على الأقلّ أن يخلّصنا برحمته. فإن تصرّفنا بهذه الطريقة، لن تكون المكافأة ضغيرة، فسيمنحنا الرب الحنون إياها بحريته، لأنَّه يُحبّ قبل كل شيء النفس المستسلمة.

باختصار، علينا أن نعتبر كل ما يحدث معنا أو ينتظرنا في المستقبل، أنّه يأتي من يد اللّه. وعلينا توجيه كل أعمالنا إلى هذا الهدف الوحيد: وهو إتمام مشيئة اللّه وعلينا ألاّ نعمل إلاّ لأنّ اللّه يريد ذلك.

وللسير بأمانٍ تام في هذا السبيل، علينا الاعتماد على تصرّف مرؤوسينا في نشاطنا الخارجي، وتصرف آبائنا الروحيين في ما تعلق بحياتنا الداخلية. فاللّه سيُعلمنا ما يريده من خلالهم. ولنؤمن إيماناً كبيراً بأقوال المسيح القائل: "مَن سمع إليكم سمع إليّ".

ولنتمرّس خصوصاً في خدمة اللّه متى يريد ذلك وفي أيّ مكان! وأنا أقول ذلك لتجنّب أوهام كل مَن يضيّع وقته في التنعّم بالأوهام فيقولون: "آه، لو كنت أعيش في الصحراء، لو دخلت ديراً، لو أمكنني مغادرة هذا المنزل، فأبتعد عن عائلتي، وأغيّر محيطي، كم سأقوم بأعمال التوبة، وكم سأكرّس حياتي للصلاة!" وفي هذه الأثناء، سنحمل الصليب الذي منحنا إياه اللّه بنكران للجميل، ولا نخدم اللّه في المكان والزمان اللذَين يريدنا أن نخدمه فيهما، والنتيجة، لا نبلغ القداسة بتاتاً، بل تتدهور حالنا. ففي هذه الرغبات التي تبعِدنا عن مشيئة اللّه، لنجد تجارب الشيطان، فيكمن واجبنا في إبعادها من تفكيرنا، ولنتّخذ قرار السير في السبيل الوحيد الذي اختاره الرب لنا. وهكذا سنخدم اللّه ونتمّم مشيئته ونصبح قدّيسين حتماً مهما كانت الحال التي وضعتنا فيها يد اللّه.

خلاصة ما تقدّم: فلنتنبّه فقط إلى أن نريد ما يريده اللّه دوماً ، وبهذه الطريقة، سنبقى متّحدين بقلبه اتحاداً وثيقاً. ولهذا الهدف، لنضطلع في

بعض المقاطع من الكتاب المقدس التي تدعونا إلى الاتحاد باستمرار بمشيئة الله: "ماذا تريدني أن أفعل، يا رب؟ إحملني على معرفة ما تريده منّي لأنّني أريد تنفيذه من دون تحفّظ. أنا لك فخلّصني، لم أعد لنفسي، بل أنا ملك لك، يا ملكي وسيّدي، فافعل بي ما تشاء". فإن واجهتم خصوصاً محنة أكثر إهلاكاً، كموت أحد الأهل أو خسارة ثروة طائلة، أو أيّة محنة أُخرى، فلا تتوانوا عن القول: "نعم يا أبتِ، هذا ما كان رضاك، أجل، يا إلهي وأبي ليكن كذلك لأنّك أنت أردته أن يكون!" وفوق كل شيء، أحبّوا الصلاة التي علّمنا إياها يسوع المسيح وردّدوها: "لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض". فقد أوصى المسيح القديسة كاثرين دو جين في كلِّ وقت تصلّي فيه الأبانا، أن تتوقف عند هذه الكلمات وتصلّي لتتمّ المشيئة الإلهية فيها كما تتمّ في السماء مع القديسين بشكل كامل. لنقم بهذه العبادات بنفسنا، ومن دون أيّ شك، سنبلغ القداسة.

فلنحبّ ونعظِّم المشيئة الإلهية، كذلك الطوباوية مريم البتول الطاهرة إلى الأبد!

ألفونس ماري دو ليغوري

رهبنة الفادي الأقدس

فهرس القديسين:


Daccache
s.a.r.l.
PRINTING HOUSE
Amchit, Jbeil - Tel: 00961 9 622280
E-mail: daccacheprinting@gmail.com

مبدأ صلاتنا والعودة الى ذاتنا
من خلال هذا الكتاب

† كيف نصلّي في هذا الكتاب: ضع نفسك في وضعية المطواع المستعد لاستقبال الرب. آمن بمحبة اللّه اللامتناهية لك شخصيًا. خذ مكانًا هادئًا بعيدًا عن الضجيج، واجلس أو اسجد دون أن يشغلك ما حولك عن التركيز والتوجه الى اللّه الحاضر، هنا والآن.

آمن بحضور اللّه الحيّ: الرب هنا وهو يدعوك؛ ضع كل الهموم خارجًا.

اطلب إلهام الروح القدس: نحن لا نعرف ان نصلي، لكن الروح القدس يصلي فينا.

أطلب من اللّه أن يعلّمك الإصغاء لكلامه. تعمّق بما تقرأ. بالصمت إصغِ الى الرب.

أشكر اللّه على كل عطاياه وانظر إلى الكون بعيني اللّه.

فيا إخوتي الأحباء، وفيما يفتش عالمنا عن الآلهة الكاذبة، والأبراج والمنجّمين والمبصرين وألعاب المقامرة، وقد اصبحَتْ كلّها المرجع الأساسي لمجتمعنا الإستهلاكي، اُناشدُكم اليوم وأطلب أن تبادروا إلى إتّخاذ خطوة جريئة بالإتّكال على اللّه وحده، خالق السماء والأرض، فهو الحبُّ الحقيقي الوَحيد. ولتكن لديكم الجرأة في مباشرة الصلاة حالاً، من القلب الى القلب، لأن اللّه ساكنٌ في قلوبنا.

ولنرفع الصرخة من الأعماق، إلى الآب السماوي الحاضر أبداً، صرخةً ملؤها الحب، كي نعيش التوبة الحقيقة. ولنقدّم ذواتَنا للّه من خلال الروح القدس المعزّي. ولنرفع ضعف حياتَنا إلى قلب اللّه الساكن فينا، له المجد إلى الأبد. آمين.

صلاة الختام

(هذه الصلاة تلاها أطفال فاطمة- البرتغال مرّات كثيرة كما علّمها الملاك لهم ١٩١٦)

† يا إلهي، إنّي أؤمن بك وأعّبدك وأضع رجائي فيك وأُحِبُكَ، وأسألك أن تغفر لكلّ الذين لا يؤمنون ولا يعبدون ولا يرجون ولا يحبونك.

أيها الثالوث الأقدس، الآب والإبن والروح القدس، الإله الواحد، إنّي اعبدك من الأعماق واقدم لك جسد ودم ونفس وروح سيدنا يسوع المسيح، القدّوس والثمين للغاية، الموجود في كنائس الأرض كلّها. تعويضًا عن الإهانات والتحقير اللاّحقين بكنيستك. فبفضل إِستحقاقات قلبه الأقدس، وشفاعة قلب مريم الطاهر والبريء من الخطيئة، أسألكَ ارتداد الخطأة والتوبة الى الأبد. آمين

† قدُّوسٌ أنتَ يا ألله قدُّوسٌ أنتَ أيُّها القوي قدُّوسٌ أنتَ يا مَنْ لا يَموت. إرحمنا (٣)

† أيّتها العذراء القدّيسة، أنت التي بدون تردّد قدّمت نفسك للكلّي القدرة لتحقيق مشروعه الخلاصي، أحيي الثقة في قلوب الشبّان والشابات لكي يبقى هنالك رعاةٌ متحمّسون، يقودون الشعب المسيحي على طريق الحياة، ونفوسٌ مكرّسة قادرة على الشهادة بالعفّة والفقر والطاعة، للحضور المحرِّر لابنك القائم من بين الأموات. آمين

† أبانا الذي في السماوات... السلام عليك يا مريم...

† المجد للآب والإبن والروح القدس كما كان في البدء والآن وعلى الدوام وإلى أبد الآبدين آمين